

الحروب الصليبية

(المقدمات السياسية)

د. عليّ عبد السميع الجنزوري



الهيئة المصرية
العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة:

د. سمير سرسكان

رئيس التحرير:

د. عبد العظيم رمضان

مدير التحرير:

محمود الجزار

تصدر عن

الهيئة المصرية العامة للكتاب



الحروب الصليبية

(المقدمات السياسية)

د. عليّ عبد السميع الجندوري



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٩

محمود الجزار

تقديم

يسرني ان اقدم للقارئ العزيز هذا الكتاب المهم عن المقدمات السياسية للحروب الصليبية الذي كتبته الاستاذة الدكتورة عليه الجنزوري ، استاذة تاريخ العصور الوسطى بكلية البنات جامعة عين شمس . وقد سبق لها ان قدمت في هذه السلسلة « تاريخ المصريين » دراسة عن هجمات أوروبا على مصر في العصور الوسطى .

ويرجع اهتمام هذه السلسلة بالحروب الصليبية الى أن مصر في ذلك العصر كانت جزءا لا يتجزأ من العالم الاسلامي ، وبالتالي فكل ما يتعلق بتاريخ العالم الاسلامي يتعلق - بالضرورة - بتاريخ مصر ، فلم يكن الفكر القومي قد ظهر في ذلك الحين ، وانما كانت الجامعة الاسلامية هي التي تربط الجميع ، وكانت كل أرض ترتفع فيها راية الاسلام وطنا لكل مسلم ، أو أن الامبراطورية الاسلامية في ذلك الحين كانت كالجسد الواحد اذا اشتكى عضو منه تداعى له بقية الاعضاء ! وكان العالم كله ينقسم الى قسمين : العالم المسيحي في مواجهة العالم الاسلامي . ولم ينقص من هذه الحقيقة انقسام الخلافة الاسلامية الى « خلافت » متصارعة أحيانا ، لأن علم الاسلام في مواجهة علم المسيحية كان يظل للجميع .

وقد تحدثت الدكتوراة علية الجنزورى فى الباب الأول من هذا الكتاب المهم عن الحياة السياسية فى بلاد الشام فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) وموقف أهل الشام من الخلافتين : العباسية والفاطمية . وتناولت مظاهر النفوذ التركى فى الشام ، والعلاقات البيزنطية الشامية فى القرن الخامس حتى قدوم السلاجقة .

وقد خصصت الباب الثانى للحديث عن الشام فى العصر السلجوقى . فتناولت العلاقات السلجوقية الفاطمية ، والعلاقات السلجوقية البيزنطية ، ثم العلاقات بين السلاجقة والقوى السياسية فى الشام قبل قدوم الصليبيين كما تعرضت لانتشار المذهب الباطنى فى بلاد الشام وأثره .

أما الباب الثالث ، فقد تناولت فيه الدكتوراة علية الجنزورى دوافع الحروب الصليبية ، والحملة الصليبية الأولى على بلاد الشام ، التى كانت بداية الحملات الأخرى ، والتى جرت مصر الى منطقة الصراع بالضرورة ، باعتبار مصر حاضرة الدولة الفاطمية التى تمتلك الشام . وتعرضت للعلاقات المعقدة والمتشابكة بين الدولة الفاطمية والدولة السلجوقية ، وكيف تحرك الفاطميون لمواجهة الصليبيين عندما بدأوا يستولون على الممتلكات الفاطمية فى بلاد الشام .

والكتاب — على هذا النحو — يعد دراسة تاريخية مهمة موثقة ، جدير بالقراءة .

رئيس التحرير

د . عبد العظيم رمضان

كان الغزو الصليبي للوطن العربي من أهم الأحداث التاريخية التي جذبت اهتمام الكثير من الباحثين والدارسين لدراسة تاريخ تلك الفترة الحاسمة في تاريخ العصور الوسطى عامة ، وتاريخ العالم العربي خاصة .

قام هؤلاء الباحثون بدراسة العوامل والظروف التي أدت إلى قيام الحروب الصليبية مما أضاف كثيرا من الدراسات العلمية إلى المكتبة التاريخية ، إلا أننا لاحظنا أن معظم هذه الدراسات نظرت إلى الحروب الصليبية من الزاوية الأوروبية ، واقتصرت اهتمامها على العوامل النابعة من الظروف الداخلية في أوروبا والتي أدت إلى قيام الحروب الصليبية ، بينما لم تهتم هذه الدراسات بالعوامل والظروف التي انبعثت من داخل الوطن العربي عامة وبلاد الشام خاصة ، مما جعل هذه الدراسات قاصرة ، لا تمد الباحثين بصورة كاملة للمناخ السياسي داخل بلاد الشام الذي ساعد على بداية الغزو الصليبي لهذه البلاد ثم تهديده لسائر أرجاء الوطن العربي .

ولذا رأينا أن نقوم بدراسة علمية منهجية تفصيلية جديدة للتاريخ السياسي لبلاد الشام في تلك الحقبة التاريخية المهمة لنقف

على البواعث والأسباب الداخلية التي تفاعلت فيما بينها لتخلق ظروفا سياسية ملائمة تشجع دول أوروبا على الغزو الصليبي لبلاد الشام .

وإذا أضفنا العوامل السياسية الداخلية في بلاد الشام الى الظروف التي كانت سائدة حينئذ في القارة الأوروبية ، أصبحت الصورة متكاملة ، وتبرز لنا جميع عوامل قيام الحروب الصليبية في تلك الفترة أى في أواخر القرن الخامس الهجرى .

ويدرس بحثنا هذا « الحياة السياسية في بلاد الشام في القرن الخامس الهجرى » ، ويسلط الأضواء على الظروف الداخلية والعوامل السياسية التي جذبت الحملات الصليبية الى الشرق العربى الاسلامى .

وهذه الفترة التاريخية التي ندرسها من الفترات الخطرة الحرجة ، اذ هي حافلة بالأحداث ، وبصراع القوى السياسية ، وقد اختلفت المصادر التاريخية ، القديمة والحديثة ، العربية والافرنجية ، في نظرتها الى هذه الأحداث وفي تقييمها لهذه القوى مما يضع الباحث أمام سيل متدفق من الحقائق والآراء المتناقضة المتضاربة ، مما يحتم ضرورة دراسة تاريخ هذه الفترة دراسة تحليلية جديدة .

ودراسة الحياة السياسية في بلاد الشام في القرن الخامس الهجرى تبرز الصراع بين قوى سياسية عديدة حول النفوذ السياسى في بلاد الشام ، مثل الصراع بين الدولتين : الفاطمية والبيزنطية ، والصراع بين الفاطميين والقوى القبلية ، من مرداسيين وكلبيين وطائيين ، والصراع بين الفاطميين والعناصر التركية ، سواء أكان هؤلاء الأتراك من الولاة المعينين من قبل

الخلفاء الفاطميين أو من السلاجقة . ثم يبرز العنصر السلجوقي في بلاد الشام ويتخذ الصراع صورة مذهبية بين الفاطميين الشيعة والسلاجقة السنيين ، ولم ينته الصراع بسيطرة السلاجقة على الشام في السبعينات من القرن الخامس الهجرى ، بل ظلت حالة الاضطراب والقلق مسيطرة على بلاد الشام رغم عودة المذهب السنى اليها مرة أخرى ، وذلك نتيجة استمرار الصراع بين الفاطميين الشيعة والسلاجقة السنيين من ناحية ، وبين السلاجقة والبيزنطيين من ناحية أخرى ، ثم ازدادت الحالة تدهورا واضطرابا نتيجة قيام الخلافات الداخلية والانشقاقات الأسرية بين أبناء البيت السلجوقي نفسه .

والى جانب هذه العوامل ، كانت بلاد الشام قد عانت من خطرين خارجيين هدداهما في القرن الرابع الهجرى ، وكان لهما أثرهما في أحوال الشام الداخلية والخارجية . وأولهما خطر القرامطة الذى ظهر واضحا في النصف الثانى من القرن الرابع ، وتانيهما الخطر البيزنطى الذى أصبح مصدر قلق واضطراب دائمين لبلاد الشام لفترة طويلة من الزمن ، وظهر هذا الخطر في السبعينات من القرن الرابع الهجرى وأصبح بمثابة ومضات صليبية لم تحقق آمالها المنشودة واستمرت حوالى قرن وربع قبل التحركات الصليبية الغربية .

وقد كان للصراع الطائفى في بلاد الشام ، وللسياسة التى انتهجتها حكومة الشام تجاه أهل الذمة في تلك الفترة ، أثرهما في إثارة مسيحيي الغرب ، فاتخذوها ذريعة لإرسال الحملات الصليبية .

وامتزجت هذه العوامل كلها في بوتقة واحدة لتصبح دوافع لقدام الحملات الصليبية الى بلاد الشام خاصة وإلى الشرق العربى عامة .

والحقيقة أن القرن الخامس الهجرى ، يعتبر قرنا حافلا بالأحداث السياسية المهمة في بلاد الشام . ولما كانت الدراسة المتخصصة تحتاج الى شئ كثير من الدقة ، لذلك رأينا أن نتناول دراسة تاريخ هذا القرن في ثلاثة أبواب رئيسية تدرس فيها الفترات السياسية الثلاث الكبرى التى شهدتها بلاد الشام في ذلك القرن .

فيتناول الباب الأول ، الحياة السياسية في بلاد الشام في النصف الأول من القرن الخامس الهجرى ، أى زمن الفاطميين . ويضم هذا الباب أربعة فصول : فيدرس الفصل الأول ، موقف أهالى الشام من الخلافتين : العباسية والفاطمية ، ويدرس الفصل الثانى ، مظاهر النفوذ التركى في بلاد الشام منذ العصر الفاطمى حتى قدوم السلاجقة ، ويتناول الفصل الثالث العلاقات البيزنطية الشامية في القرن الخامس الهجرى الى قدوم السلاجقة كما يدرس الفصل الرابع الصراع القبلى والطائفى والمذهبى في بلاد الشام قبل قدوم السلاجقة .

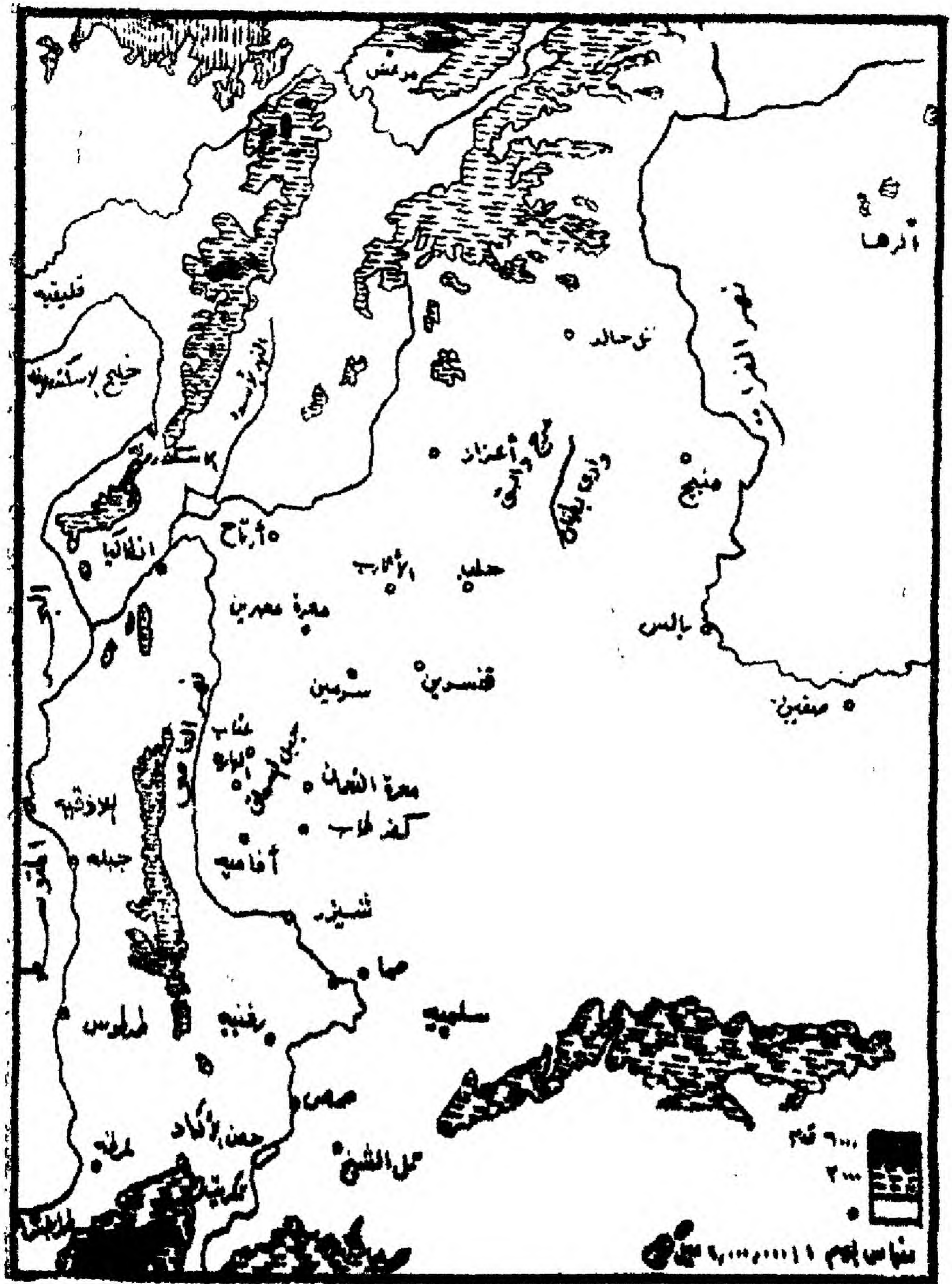
ويدرس الباب الثانى الحياة السياسية في بلاد الشام في العصر السلجوقى ويشمل هذا الباب خمسة فصول فيبحث الفصل الأول العلاقات بين السلاجقة والفاطميين ، ويتناول الفصل الثانى العلاقات السلجوقية البيزنطية ، ويدرس الفصل الثالث العلاقات السياسية بين السلاجقة والقوى السياسية في بلاد الشام قبل قدوم الصليبيين . أما الفصل الرابع فيدرس انقسام السلاجقة والصراع بين القوى السلجوقية ثم الفصل الخامس ويتناول أثر انتشار المذهب الباطنى في بلاد الشام .

أما الباب الثالث والآخر فيدرس قدوم الحملات الصليبية الى بلاد الشام . ويضم هذا الباب أربعة فصول ، يدرس الفصل

الأول منها ماهية الحروب الصليبية ، ويتناول الفصل الثانى دوافع هذه الحروب ، ويدرس الفصل الثالث استيلاء الصليبيين على بلاد الشام ، ويبحث الفصل الرابع موقف القوى المختلفة من الغزو الصليبي لبلاد الشام .

ولما كان التشابك بين أحداث القرن الخامس الهجرى وأحداث نهاية القرن الرابع الهجرى واضحا ، لذلك آثرنا أن نقدم للبحث بتمهيد يتناول العوامل المؤثرة فى الحياة السياسية فى بلاد الشام قبيل القرن الخامس الهجرى فدرسنا فى هذا التمهيد أربع نقاط رئيسية هى : امتداد النفوذ الفاطمى الى بلاد الشام وموقف الأهالى منه ، وتحديثنا عن الحميدانيين وعلاقتهم بالبيزنطيين وبالخلافتين : العباسية والفاطمية ، ثم درسنا الصراع بين القرامطة فى الشام فى أواخر القرن الرابع الهجرى ، وبحثنا عن دور بنى الجراح فى إثارة القلاقل فى جنوب بلاد الشام .

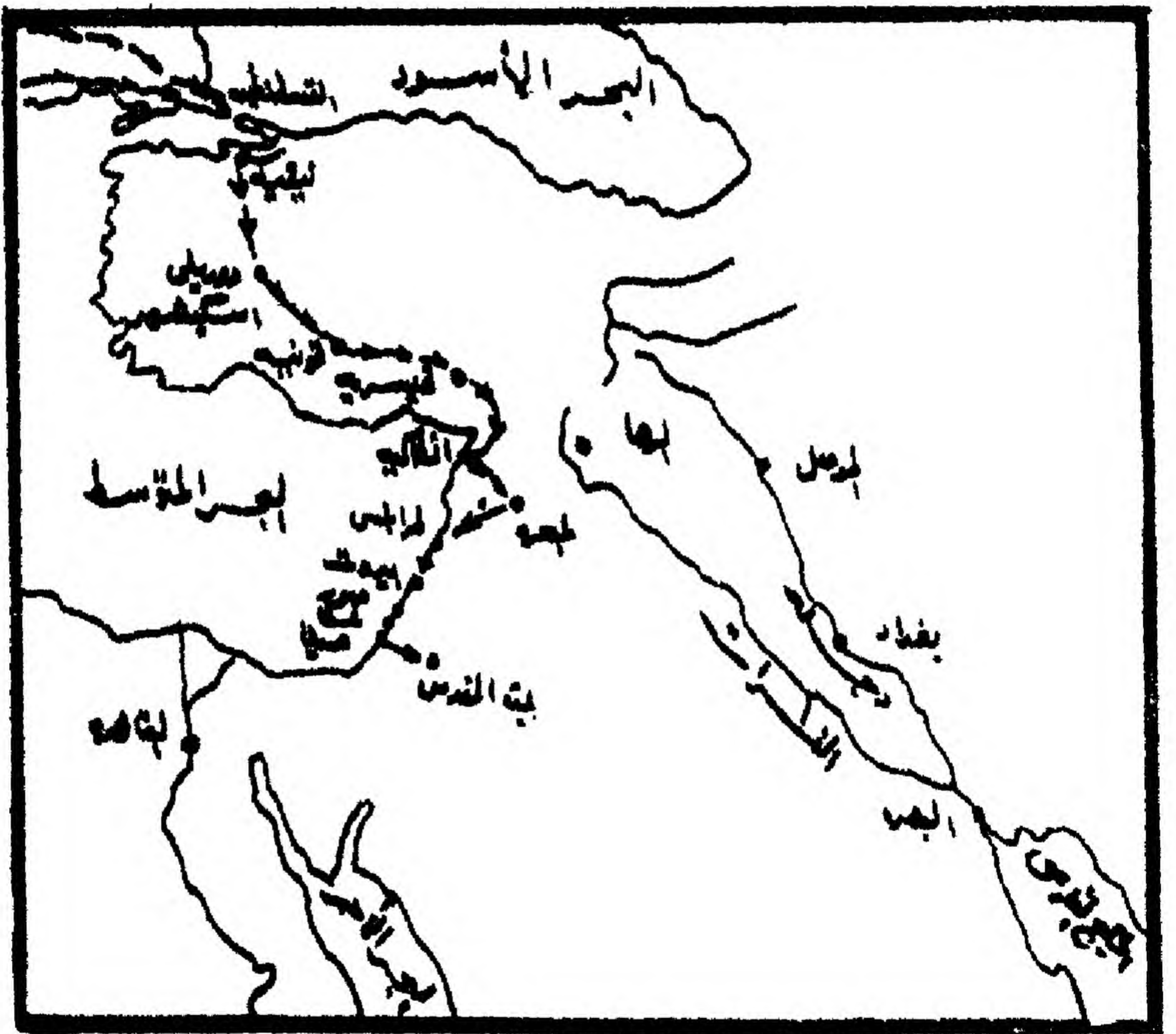
وأبواب هذا البحث وفصوله تقدم صورة متكاملة للحياة السياسية فى بلاد الشام فى القرن الخامس الهجرى ، والله عز وجل ولى التوفيق .



خريطة طبيعية لشمال سوريا



خريطة طبيعية لجنوب سوريا



مسيرة الحرب الصليبية الأولى من نيقية
الى بيت المقدس

بحث في مصادر الرسالة

في تقصى نقاط بحثنا هذا استعنا بالكثير من المصادر سواء المطبوعة أو المخطوطة ، وشملت الكتب المطبوعة المصادر الأصلية القديمة والمصادر الحديثة ، عربية أو أجنبية . وقد أمدتنا المصادر الرئيسية بمادة تاريخية وافية ، أفادتنا في معظم فصول البحث ، وأبرز هذه المصادر :

أولا : مصادر قديمة مثل : « زبدة الحلب من تاريخ حلب » لابن العديم ، « ذيل تاريخ دمشق » لابن القلانسي ، « التاريخ الكبير » لابن عساكر ، « اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء » للمقرئزي ، « أخبار مصر » لابن ميسر ، « الدررة المضية في أخبار الدولة الفاطمية » لابن أيك الدواداري ، « منتخبات التواريخ لدمشق » لتقى الدين الحصني . هذا الى جانب الكتب الأخرى المعروفة للباحثين مثل « الكامل في التاريخ » لابن الأثير ، و « النجوم الزاهرة » لأبي المحاسن ، و « البداية والنهاية » لابن كثير ، « تاريخ ابن خلدون » ، وغيرها .

ثانيا : مصادر حديثة مثل « خطط الشام » لمحمد كرد علي ، و « تاريخ سورية » ليوسف الدبس ، و « أعلام النبلاء بتاريخ

حلب الشهباء « للطباخ الحلبي ، و « تحف الأنباء في تاريخ حلب
الشهباء » لبیشوف الجرمانی .

ثالثا : مخطوطات و (ميكروفيلم) مثل « اتعاض الحنفا »
للمقریزی ، و « مرآة الزمان » لسبط بن الجوزی ، و « عقد
الجهان » للعینی ، و « عیون التواریخ » لابن شاکر الکتبی .

وسنحاول فيما يلي ان نتناول كل مصدر من المصادر السابق
ذكرها بشيء من التفصيل ، ثم نتبع ذلك بالمصادر التي أفادتنا
في فصول معينة ، وكانت أكثر تخصصا .

فمن ناحية المصادر القديمة نبدا بكتاب « زبدة الحلب من
تاريخ حلب » لابن العديم (٥٨٨ هـ — ٦٦٠ هـ) الذي عني بنشره
وتحقيقه ووضع فهرسه الدكتور سامي الدهان . ذكر الناشر في
مقدمة الكتاب أن ابن العديم اعتمد على الآثار الباقية والسجلات
والمخلفات المكتوبة واتخذ النقود والعملة والسكة سبيلا الى تحديد
أسماء الولاة والحكام والقضاة ، واتخذ الأحجار والنقوش
والأبنية مصدرا لمعرفة السنين والشهور . وبسط العادات
والألبسة والتقاليد ونقل الكتب والتوقيعات والرسائل ليصل الى
الغاية التي أرادها ، وهو في هذه الخطة لا يختلف عن مؤرخي
العالم الغربي اليوم ، ومن الغريب أن يتبع المنهج الحديث رغم
وفاته سنة ٦٦٠ هـ .

وزبدة الحلب هو في الحقيقة تاريخ لبلاد الشام كلها وليس
تاريخا لمدينة حلب فحسب اذ يبدأ بتاريخ العصور الأولى للشام ،
وينتهي عند منتصف القرن السابع للهجري أي قبل عشرين سنة
من وفاة المؤلف . ولكنه يدرس تاريخ الشام في ايجاز .

وقد أدرك الغربيون أهمية هذا الكتاب فاقتبس المستشرقون منه فصولا معينة حينما أرادوا دراسة تاريخ الشام في عهد الأمويين والعباسيين والحمدانيين ، وترجموا الفصول التي تتناول المرداسيين والصليبيين ، حين لمسوا أن الكتاب رغم إيجازه ، فإنه أوسع مصدر لتاريخ الشام ، وأشمل تاريخ لأحداث الدول التي تعاقبت عليها (١) .

انتزع ابن العديم زبدة الطلب من تاريخه الكبير « بغية الطلب » وهو مرتب حسب السنوات الهجرية حتى سنة ٦٤١ هـ ، وتوجد منه نسخة في بطرسبرج في المكتبة العمومية ونسخة منه في باريس في المكتبة العمومية أيضا رقمها (١٦٦٦) وقد ترجم إلى اللغة الفرنسية وطبع في باريس سنة ١٨٩٦ ، ١٨٩٨ ونشر في مجلة الشرق اللاتيني (٢) .

أما كتاب « ذيل تاريخ دمشق » لابن القلانسي (ت ٥٥٥) ، فهو تاريخ لمدينة دمشق من سنة ٣٦٣ هـ إلى سنة ٥٥٥ هـ وهو ذيل لتاريخ هلال الصابي . ويذكر ابن القلانسي « أنه اعتمد في أجزاء منه على الثقات وفي أجزاء أخرى على البحث والتنقيب بنفسه » (٣) .

والحقيقة أن هذا الكتاب يعتبر من أهم الكتب التي كتبت عن تاريخ بلاد الشام بأكملها في الفترة التي تناولها بحثنا ، ولذا فهو يعتبر مصدرا أصليا لا ذيلًا كما يعرف عنه .

وكتاب « التاريخ الكبير » لابن عساكر (٤٩٩ — ٥٧١ هـ) الذي هذبه ابن بدران (ت ١٣٤٦ هـ) هو في الأصل كتاب كبير يقع في ثمانين مجلدا ، أرخ فيه لمدينة دمشق على نحو تاريخ

بغداد للخطيب البغدادي (٤) . بدأ ابن عساكر في تاريخه ثم توقف ، فلما قدم السلطان نور الدين زنكي الى دمشق (٥٤٩ هـ - ١١٥٤ م) طلب منه ان يكمله . والحقيقة انه كان لقدم نور الدين زنكي الى دمشق اثره في حياة ابن عساكر العلمية ، فقه تم بعده امران لهما شأن : الأول انجاز تاريخ مدينة دمشق والثاني بناء دار الحديث النورية (٥) .

وهذا الكتاب يشتمل على ذكر من « نزل دمشق من أمثال البرية أو اجتاز بها أو بأعمالها من ذوى الفضل وأبنائها وخلفائها وولاتها وقضاتها وعلمائها وقرائها وشعرائها ورواتها الخ . . » (٦) .

أما كتاب « اتعاط الحنفا » للمقریزی (٧٦٦ - ٨٤٥ هـ) فهو من تحقيق المرحوم الدكتور جمال الدين الشیال . وهو يذكر في مقدمة الطبعة الثانية (٧) « انه حتى الأربعينات من هذا القرن ، كان المعروف انه لا توجد من هذا الكتاب في مكتبات العالم الا نسخة وحيدة ناقصة في مكتبة جوتا بألمانيا تحت رقم ١٦٥٢ . وهى التى نشرها المستشرق (هوجوبونز Hugo Bunz) فى ١٩٠٩ وطبع النص العربى فى مطبعة الأيتام السورية بالقدس . والواقع ان طبعة (بونز) جاءت مليئة بالأخطاء المطبعية ثم ان بونز لم يفعل ، اكثر من نسخ نص المقریزی وتحقيقه .

وقد ظهرت طبعتى الاولى لهذا الكتاب ، المعتمدة على مخطوطة جوتا الناقصة التى تنتهى بالحديث عن دخول المعز لدين الله الى مصر ، فى سنة ١٩٤٨ ، وسرعان ما وصلنى من المستشرق (كلود كاهن Claude Cahen) استاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة ستراسبورج خطاب ينبئنى فيه بوجود نسخة كاملة وحيدة من هذا الكتاب فى مكتبة سراي أحمد الثالث باستانبول ، فكلفت رجلاً

الجامعة العربية ، الذين كانوا في ذلك الوقت يصورون بعض المخطوطات المهمة في ذلك الوقت ، بتصوير المخطوطة ، فلما وصل الفيلم صورت منه نسخة كبيرة ثم عكفت على دراستها فتبينت أنها تضم بين دفتيها ثروة علمية نادرة لأنها النسخة الوحيدة لمصر والشرق الأدنى في العصر الفاطمي . وبعد الاطلاع الدقيق على المخطوطة عرفت أن ما نشر من الكتاب يساوي نحو السدس فقط من النص الكامل .

والنص الكامل يتضمن تاريخا مفصلا للخلفاء الفاطميين في مصر ووزرائهم وقواد جيشهم ورجال دولتهم ، كما أن به معلومات قيمة عن الحياة العلمية والأدبية وعن نظم الحكم وعلاقات مصر الخارجية في العصر الفاطمي وتفصيلات وافية عن الحركات الصليبية الأولى وموقف الفاطميين منها .

وثرجع أهمية المخطوطة الكاملة الى ان المقرئ اعتمد فيها على الكثير من الكتب المفقودة الآن مثل كتاب (اتمام اخبار امراء مصر للكندي) و (سيرة المعز لدين الله للحسين بن زولاقي) ، و (تاريخ أفريقية والمغرب لابن شداد) ، و (تاريخ ابن الطوير) و (الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة لابن عبد الظاهر) وكتب أخرى كثيرة .

والمخطوطة الكاملة الموجودة في مكتبة سراي أحمد الثالث باستانبول تحت رقم ٣٠١٣ هي النسخة الوحيدة من هذا الكتاب في العالم . وتقع في ١٧٢ ورقة (٣٤٤ صفحة) من القطع الكبيرة .

ولكن للأسف بعد أن تم نشر الجزء الأول من كتاب اتعاط الحنفا توفي محققه الدكتور جمال الشيال ، ولم يكمل نشر بقية

الاجزاء ولذلك اضطررنا الى أن نلجأ الى الميكروفيلم الموجود بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية للاستفادة من بقية المخطوطة .

وكتاب « أخبار مصر » لابن ميسر (ت ٦٧٧ هـ — ١٢٧٨ م) كُتبه مؤرخه المصرى كذيل على تاريخ المؤرخ الفاطمى المسيحى ، وقد بقى منه جزء نشره المستشرق الفرنسى ماسيه تحت عنوان (الجزء الثانى من أخبار مصر) ضمن مطبوعات المعهد الفرنسى بالقاهرة سنة ١٩١٩ . والمخطوطة التى اعتمد عليها ماسيه عند نشر الكتاب كانت موجودة فى المكتبة الأهلية تحت رقم ١٦٨٨ وتشتمل على الجزء الثانى من الكتاب فقط وبها حوادث السنوات ٤٣٩ — ٥٥٣ هـ (٨) .

والملاحظ على الكتاب عند اطلاعنا عليه أنه يبدأ من سنة ٤٤٣ هـ فى حكم المستنصر بالله الفاطمى ويتسلسل بالسنوات حتى ٥٠١ هـ من عهد الأمر بأحكام الله ثم يعود فيتناول سنة ٣٦٣ هـ الى سنة ٣٦٥ هـ ، ثم من ٣٨١ — ٣٨٧ هـ ، وأخيرا يعود الى ٥١٥ هـ ، ثم ينتهى عند ٥٥٣ هـ بالتسلسل وبذلك يغفل بعض السنوات .

أما كتاب (الدرة المضية فى أخبار الدولة الفاطمية) لابن أبيك الدوادارى (ت ٧٣٦ هـ — ١٣٣٥ م) وهو الجزء السادس من كتاب (كنز الدرر) الذى يتكون من تسعة مجلدات وهو يبدأ التاريخ من بدء الخليقة حتى عصر المؤلف . وقد جعل كل جزء يختص بدولة ، واختص كل جزء باسمين ، خاص وعام . أما الاسمان الفرعيان : فالأول يتعلق بفلك من أفلاك السماء التسعة والثانى يرتبط بموضوع الكتاب ، وإذا كان الاسم العام هو

(كنز الدرر) فقد جعل المؤرخ عنوان الكتاب الثانى درة دائما لان الكنز كله درر .

والجزء السادس عنوانه الفرعى الاول : (الفائق صحاح الجوهري من قسمة فلك المشتري) ، وعنوانه الثانى (الدرّة المضية فى اخبار الدولة الفاطمية) وهو يختص بذكر الخلفاء الفاطميين بمصر ، والدول المنقطعة والمتصلة التى قامت اثناء دولتهم . ويبدأ بحوادث سنة ٣٥٩ هـ وينتهى الى سنة ٥٥٤ هـ . تحدث فيه مؤلفه عن الدعوة الفاطمية بالتفصيل وعن القرامطة وبنى حمدان والسلاجقة وملوك البويهيين والسامانيين والصلبيين باليمن . واستمد مواده التاريخية من مصادر أغلبها مفقودة مثل (اخبار الشام) للسميساطى (ت ٤٥٣ هـ) . وان كنا لا نعرف كتابا يتعلق بهذه الفترة من تاريخ دمشق الا تاريخ ابن القلانسي . وعلى ذلك أصبح هناك مصدران مهمان لتاريخ دمشق الفاطمية ، وبالأحرى لتاريخ بلاد الشام بأجمعها فى عهد الفاطميين ، وهما تاريخ ابن القلانسي والدرّة المضية لابن أبيك (٩) .

أما كتاب « منتخبات التواريخ لدمشق » لتقى الدين الحصنى (ت ٨٢٩ هـ) فيذكر مؤلفه أنه يشتمل على مقدمة وأحد عشر بابا وخاتمة . فالمقدمة فى ذكر من ألف فى تاريخ دمشق وفضائلها قديما وحديثا . أما الأبواب فيهما منها الاول والثانى . ويتناول الباب الاول تاريخ عمارة دمشق وتحديثها ، وأول من أسسها ودعاها بهذا الاسم ويدرس الباب الثانى من سكن دمشق من الأمم ، ومن ملكها من الملوك واتخذها قاعدة لملكه . والدول التى قامت فيها ، ويشمل الباب ستة فصول يدرس الخامس منها عهد الدولة العباسية وينتهى الى عهد الدولة العثمانية (١٠) .

أما المصادر الحديثة التى استفدنا منها فى معظم أبواب البحث فمنها : كتاب (خطط الشام) لمحمد كرد على ، والمعروف ان

الخطط يراد بها كل ما يتناول العمران ، ودراسة تخطيط المدن ومعالج حضارتها . وكتاب خطط الشام في الحقيقة — كما ذكر مؤلفه — هو « زبدة الوقائع والكوائن والاخبار والمظاهر الغربية التي ظهرت بها هذه الديار في غابر العصور » وقد استمد المؤلف مادته التاريخية من الكتب المطبوعة ومن أوراق البردى ومن النقوش التي على الاحجار (١١) .

أما كتاب « تاريخ سورية » ليويسف الدبس ، مطران بيروت الماروني ، فقد استفدنا بالجزء الثالث من المجلد الخامس . وهذا المجلد يتضمن تاريخ سورية في أيام الخلفاء الى نهاية القرن الحادي عشر الميلادي ، وقد سلك فيه مؤلفه نفس مسلكه في الاجزاء المقدمة ، فيدون أولا التاريخ الديني ثم يعقبه بالتاريخ الديني (١٢) .

أما كتاب « اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء » للطبّاخ الحلبي فهو مقسم الى مقدمة ثم الى قسمين رئيسيين : أما القسم الأول من الكتاب فيذكر من حكم حلب ، ومن تولى حكمها من الفتح الاسلامي سنة ١٦ هـ حتى سنة ١٣٢٥ هـ ويذكر اخبار ملوكها وامرائها والاحداث التي وقعت في عصورهم وما خلفوه من آثار . وقد وقف المؤلف عند هذه السنة أي بعد قيام الانقلاب العثماني الدستوري فيها ضد السلطان عبد الحميد الثاني ، أما القسم الثاني من الكتاب فيضم تراجم اعيان حلب (١٣) .

أما كتاب « تحف الانبياء في تاريخ حلب الشهباء » فقد ألفه الدكتور بيشوف الجرمانى ، الذى كان قنصلا لمانية في حلب . وقد ذكر الطبّاخ الحلبي انه بمقارنته هذا الكتاب بكتاب زبدة

الحلب لابن العديم ، وجد انه نسخة مكرزة منه اقتبسها الدكتور
بيشوف ونسبها لنفسه بغير حق (١٤) .

فاذا ما انتقلنا الى المخطوطات و (الميكروفيلم) :

نجد أولا (ميكروفيلم) لمخطوطة (اتعاط الحنفا) للمقریزی
مصورة عن مخطوطة استانبول — السابقة الذكر — وهى موجودة
بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية رقم ٦ تاريخ . استعنا بها في
الاحداث التى تبدأ من سنة ٣٨٦ هـ اى بعد الجزء الذى نشره
المرحوم الدكتور جمال الشيال . وعلى ذلك فالاجزاء المأخوذة عنها
تنشر لأول مرة .

ومخطوطة (مرآة الزمان) لسبط بن الجوزى ، الموجودة
بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٥١ تاريخ ، فقد استعنا بالجزعين
١١ ، ١٢ ، والجزء ١١ عبارة عن ٣ مجلدات من ٣٥٩ هـ الى ٤٣٩ هـ
والجزء ١٢ عبارة عن ٣ مجلدات أيضا من ٤٤٠ هـ الى ٥١٧ هـ
وقد استعنا به لدراسة الاحداث حتى سنة ٤٩٥ هـ ، ثم استخدمنا
الجزء المطبوع من مرآة الزمان (القسم الاول من الجزء الثامن) .

ومخطوطة « عقد الجمان » للعيني (٧٦٢ هـ الى ٨٥٥ هـ)
عبارة عن تاريخ ، مؤرخ على طريقة السنوات من بدء الخليقة
الى ٨٥٠ هـ وفى كل سنة يؤرخ المؤلف الاحداث ثم وفيات الاعيان .

والمخطوطة مصورة تصويرا شمسيا وموجودة بدار الكتب
المصرية تحت رقم ٥٨٤ تاريخ ، والموجود منها ٢٣ جزءا في ٦٩
مجلدا . استعنا بالجزعين ١٤ ، ١٥ . والجزء ١٤ يبدأ من سنة
٣٣١ هـ حتى سنة ٤٣٠ هـ ويقع في خمسة مجلدات ، اما الجزء ١٥
فيبدأ من ٤٣١ هـ حتى ٥٢٠ هـ ويقع في أربعة مجلدات .

أما مخطوطة (عيون التواريخ) لابن شاطر الكتبي ، فهي موجودة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤٩٧ (تاريخ) وقد استعنا بالأجزاء الآتية : ج ٨ وينتهي عند سنة ٣٥٨ — ٣٥٩ هـ ، وج ٩ من ٣٦٠ هـ الى ٣٩٠ هـ ، ج ١٠ من ٤٠٤ هـ الى ٤٣٧ هـ ، ج ١٢ من ٣٧٣ هـ الى ٤٠٣ هـ .

وهناك مخطوطة أخرى بنفس العنوان برقم (٩٤٩ تاريخ) استعنا فيها بالجزء ١٣ من ٤٠٤ هـ — ٤٣٧ هـ .

فاذا ما انتقلنا للحديث عن المصادر التي أفادتنا في بعض الفصول فنلاحظ أنه الى جانب المصادر الرئيسية التي تحدثنا عنها ، أننا استعنا بمصادر أخرى أساسية سنذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر .

ففي الفصلين اللذين تناولنا امتداد النفوذ الفاطمي الى بلاد الشام ، واثار بني الجراح في اثارة القلاقل في جنوب بلاد الشام استعنا بمصادر كثيرة أهمها كتاب النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين : الرابع والخامس الهجري للدكتور محمد جمال الدين سرور ، الذي تناول تاريخ تلك الفترة بشيء من التفصيل الى جانب كتاب تاريخ فلسطين للبرغوثي وطوطح ، وخاصة في الجزء الخاص بالثورات التي قامت في جنوب بلاد الشام وموقف أهالي فلسطين من النفوذ الفاطمي . كذلك كتاب أولسرى (O'Leary (A Short History of The Fatimid Khelifate) الذي يعتبر من المصادر المهمة التي تناولنا بعض آرائها بالشرح والتعليق . كما أفادتنا مخطوطتان مهمتان في تلك الفترة هما مخطوطة (زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة) لركن الدين بيبرس الدوادري وهي موجودة بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٤٠٢٦ ،

ولكن الجزء الموجود منها والذي استعنا به هو الجزء السادس الذى يتناول الفترة ما بين ٣٢٥ هـ الى ٣٩٩ هـ ولو أن نصوصه احيانا غير كاملة كما فى ص ٢١٢ عمود (١) ، ص ١٢٧ عمود (١) ايضا .

والمخطوطة الثانية هى مخطوطة (اخبار الدول المنقطعة) لجمال الدين منصور ظافر بن حسين الأزدي ت ٦٢٣ هـ الذى تناول تاريخ السنوات من ٣٢٨ هـ — ٥٧٥ هـ بشيء من التفصيل وهى موجودة فى دار الكتب المصرية تحت رقم ٨٩٠ تاريخ .

أما فى دراستنا للقرامطة والمذهب الباطنى ، فمن أهم المصادر التى رجعنا اليها كتاب افانو Ivanow .

(The Alleged Founder Of Ismailism)

الذى تناول عقائد القرامطة وتأسيس مذهبهم بشيء من التفصيل . هذا الى جانب كتاب برنارد لويس (The Origin Of Ismailism) B. Lewis كما افادنا كتاب دى جويه

(Mémoire Sur les Carmathes) — Le Goeje

خاصة فى معرفة العلاقات بين القرامطة والفاطميين . كما استعنا فى هذا الموضوع أيضا بكتاب (باندلى جوزى) عن تاريخ الحركات الفكرية فى الاسلام . ومخطوطة نهاية الأرب للنويرى ، وهى موجودة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٤٩ تاريخ ، وهو يتناول فيها تاريخ الدول الاسلامية بالتفصيل ويتحدث عن القرامطة باسهاب .

وفى الفصول الخاصة بالعلاقات البيزنطية الشامية ، استعنا بمصادر كثيرة أهمها : كتاب تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكى (من رجال القرن الخامس الهجرى) ولذا فهو يعتبر معاصرا للبحث ،

وكتابه هو ذيل على نظم الجواهر المعروف بالتاريخ المجموع على التحقيق والتصديق لابن بطريق ، تحدث فيه عن بطارقة الاسكندرية وبيت المقدس وانطاكية والقسطنطينية والخلفاء المسلمين والملوك والسلاطين واخبارهم وسيرهم وغير ذلك ، وابتدا المؤرخ تاريخه من السنة السادسة عن خلافة الرازي وهي سنة ٣٢٦ هـ وانتهى فيه الى سنة ٤٢٥ هـ في خلافة ابي الحسن على الملقب بالظاهر لاعزاز دين الله . وبالكتاب مقدمة وملاحظات باللغة اللاتينية للأب لويس شيخو اليسوعي . كذلك استعنا بكتاب (نهر الذهب في تاريخ حلب) للشيخ حسين الغزي الحلبي وهو كتاب في أربعة مجلدات يدرس تاريخ حلب وفتوحها وآثارها وخططها واعمالها وتراجم اعيانها واحداثها .

ومن المراجع الحديثة التي افادتنا كثيرا في دراسة تلك العلاقات كتابا الدكتور عمر كمال توفيق وهما : مقدمات العدوان الصليبي على الشرق العربي ، وتاريخ الامبراطورية البيزنطية .

كما استعنا ببعض المخطوطات وأهمها : مخطوطة (بغية الطلب في تاريخ حلب) لابن العديم ، وهي مخطوطة مصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٦٦ تاريخ . والمخطوطة في ثلاثة أجزاء استعنا بالجزء الثاني الذي يتناول المدن ، والعلاقات بالروم ، والعلاقات بالصليبيين . كما استفدنا من مخطوطة (كنوز الذهب في تاريخ حلب) لسبط بن العجمي ت ٨٨٤ هـ . وهي مخطوطة بدار الكتب تحت رقم ٨٣٧ (تاريخ تيمور) . وهو ذيل على الدر المنتخب لعلاء الدين بن محمد بن سعد الجبريني الشهير بابن خطيب الناصرية المتوفى سنة ٨٤٣ هـ ، وهو ذيل على تاريخ حلب للعلامة ابن العديم المتوفى سنة ٦٦٠ هـ .

كذلك استفدنا من كتاب (فازيليف — Vasiliev)
(History Of The Byzantine Empire)
الى جانب كتاب جروسيه Grousset وهو (L'Empire Du Levant)
فقد تناول الكتابان تلك العلاقات بشيء من التفصيل .

اما الباب الخاص بالسلاجقة وعلاقتهم بالقوى الخارجية
والداخلية في بلاد الشام ، فقد استعنا فيه بمصادر كثيرة نذكر هنا
الجديد منها فقط مثل كتاب (اخبار الدولة السلجوقية) تأليف
صدر الدين ابي الحسين على بن ناصر بن على الحسينى ، الذى
تناول بالتفصيل اخبار الدولة السلجوقية ، وقد عنى بتصحيح
الكتاب محمد اقبال استاذ اللغة الفارسية بجامعة فنجان والكتاب
من نشریات كلية فنجان . كذلك كتاب (تلخيص الكشف والبيان)
لابو الفضائل الحموى الذى امدنا بالكثير عن تاريخ تلك الفترة .
هذا الى جانب رسالة الدكتوراة التى اعدھا ، الدكتور حسين امين
والخاصة بتاريخ العراق في العصر السلجوقى ، التى افادتنا
كثيرا في هذا الباب .

وفي الباب الثالث الخاص بالحملات الصليبية استعنا بمصادر
كثيرة بعضها اجنبى والآخر عربى ، وقد ساهمت المراجع الأجنبية
بجزء كبير من معلوماتنا عن هذا الباب .

فمن المراجع المهمة والمعاصرة لاحداث الحروب الصليبية
الاولى بالذات كتاب (اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس) الذى
وضعه مؤلف مجهول ، وترجمه لنا الدكتور حسن حبشى الى العربية
— فائدة كبرى . وهو يعرف بكتاب الجستا . وهو يتناول الفترة
ما بين دعوة مؤتمر كلير مونت وموقعة عسقلان يوم ١٢ اغسطس
سنة ١٠٩٩ م ، عقب فتح بيت المقدس . وترجع أهمية مادة الكتاب
الى ان صاحبها شهد الحرب الصليبية الاولى . وهو يخص

(بوهيموند) دون بقية الامراء الصليبيين بكلمة السيد مما يدل على انه كان في جيشه ومن اتباعه . ولكنه لم يكن من طبقة الامراء ، فهو يذكر في اثناء الاستعداد للزحف على بيت المقدس ، « بعد أن فرغ زعمائنا من ذلك كله . . . » كذلك لم يكن من غمار الناس بل كان من الطبقة الوسطى — ان جاز استعمال هذا التعبير في مثل هذا العصر . ولكن هناك نص يوضح مكانته تمام الايضاح ويدل على انه كان من مجلس المستشارين لكبار القادة حيث يقول : « عقدنا فيها بيننا مجلسا حربيا للتشاور فيما نصنع . . . » وقد طبع كتاب الجستا هذا منذ وقت مبكر يرجع الى مستهل القرن السابع عشر .
نقد طبع في هانوفر سنة ١٦١٢ م في كتاب *Gesta Dei Per Francos*
ثم طبع في مجموعة *des Croisades (Occidentaux)*
Recueil des Historiens ج ٢ ص ١٢١ — ١٦٣ باريس ١٨٦٦

كما طبع طبعة مستقلة في هيدلبرج ١٨٩٠ قام بنشرها المؤرخ الصليبي جنماير . ثم ترجم الى الفرنسية سنة ١٩٢٤ في نسخة بريبية وارفقها بمقدمة وتعليقات باسم *Histoire Anonyme de la Première Croisade* وترجم سنة ١٩٢٥ الى الانجليزية باسم *The First Crusade by S. di Chair* اما هذه فهي الترجمة العربية الاولى التي نقلها لنا الدكتور حسن حبشي والمطبوعة في القاهرة سنة ١٩٥٨ ، بعد ان اضاف اليها بعض اطلاعاته من المراجع المعاصرة والمؤلفات الحديثة وكتابات مؤرخي العرب والمسلمين .

كذلك افادنا كتاب روسيه *(La Caractère de la Première Croisade)* Rousset في دراسة ماهية الحروب الصليبية ودوافعها ، وعلاقة هذه الحروب بالحروب الاقطاعية في أوروبا ، ومقارنة الحروب الصليبية في المشرق بتلك التي كانت موجودة في الغرب

وخاصة في أسبانيا . تناول عرض هذه النقاط جميعا بطريقة
مسهبة وتحليلات شائقة .

كما استعنا بكتاب جروسيه

(Histoire des Croisades) Grousset

وكتاب رنسيهان Runciman — (A History Of The Crusades)

في دراسة الحملة الصليبية الاولى وموقف القوى المختلفة
في بلاد الشام وخارجها منها .

هذا الى جانب كتاب جب (The Damascus Chronicle Of

The Crusades) Gibb الذي اعطانا في مقدمته تحليلا للصراع بين
القوى المختلفة في بلاد الشام في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر
الميلادي) واثّر ذلك في نجاح الصليبيين في مهمتهم في بلاد الشام .
الى جانب دراسته للحملة الصليبية الاولى على بلاد الشام في
الباب الاول من هذا الكتاب ايضا .

والى جانب الكتب العربية القديمة مثل ، الكامل لابن الاثير ،
ونيل تاريخ دمشق لابن القلانسي والنجوم الزاهرة لابو المحاسن
استعنا بكتاب (تاريخ الحروب المقدسة في المشرق) تأليف
مكسيموس مونروند الذي استخرجه عن أصله الفرنسي الى اللغة
العربية السيد كيريوكير يومكسيموس مظلوم البطريك الانطاكي .
الذي تناول بشكل مفصل تاريخ تلك الحروب ، وأعمال الصليبيين
الوحشية بعد استيلائهم على بيت المقدس . والكتاب مكتوب
باسلوب غاية في الركاكة وربما يرجع ذلك الى التعريب . هذا الى
جانب كتاب (الاخبار السنية عن الحروب الصليبية) لسيد على
الحريري الذي يتناول تلك الحروب بالتفصيل من سنة ٤٩٠ هـ الى
سنة ٦٩٠ هـ بأسلوب بسيط .

هذا وقد أفادنا كتاب (العرب والروم واللاتين) للدكتور جوزيف نسيم وكتاب (الشرق الأوسط والحروب الصليبية) للدكتور السيد الباز العرينى كثيرا فى هذا الباب .

ومن المخطوطات الجديدة فى هذا الباب مخطوطة (الاعلام والتبيين فى خروج الفرنج الملاحين على بلاد المسلمين) لأحمد بن على الحريرى وهو موجود بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٨٦ تاريخ تيمور . ومخطوط (تاريخ أبو الهيجاء) وهو عبارة عن ميكروفيلم بمعهد المخطوطات تحت رقم ٩٤٥ تاريخ وهو يتناول السنوات من بداية عهد الرسول ﷺ الى عهد السلطان صلاح الدين سنة ٥٨٩ هـ وهو غير مرقم الصفحات ، لذلك رقمناه عن طريق السنوات بقولنا فى حوادث سنة كذا .

الهوامش

- (١) ابن العديم . زبدة الحلب ، مقدمة الناشر ، ص ١٠ - ١١ .
- (٢) الطباخ الحلبي : اعلام النبلاء ، ج ١ ، ص ١٥ - ١٦ .
- (٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق . ص ٢٨٣ .
- (٤) ابن عساكر . التاريخ الكبير ، طبعة روضة الشام ، مقدمة ابن بدران ، ص ٣ .
- (٥) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، دمشق سنة ١٣٧١ هـ ، ص ٢٣ .
- (٦) ابن عساكر : التاريخ الكبير ، تهذيب ابن بدران ، ص ١١ من المقدمة .
- (٧) المقرئزي . اتعاظ الحنفا ، تحقيق جمال الشبال ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٦٧ ، ص ١٤ - ٣٠ من المقدمة .
- (٨) المقرئزي . اتعاظ الحنفا ، الطبعة الثانية ، ص ٢٤ - ٢٥ من المقدمة .
- (٩) ابن ابيك : كنز الدرر ، ج ٦ ، مقدمة صلاح الدين المنجد ، ص ١٥ .
- ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ .
- (١٠) الحصني : منتخبات القوارئخ لدمشق ، ج ١ ، ص ٩ ، ١٠ .
- (١١) كرد علي : خطط الشام ، المقدمة ، ص ٦ .
- (١٢) مقدمة الكتاب .
- (١٣) الطباخ الحلبي : اعلام النبلاء ، ج ١ ، ص ٤ ، ٥ ، ٦ .
- (١٤) نفس المصدر ، ص ١٦ .

العوامل المؤثرة في الحياة السياسية في بلاد الشام قبل القرن الخامس الهجري

لكي نتعرف على عناصر الحياة السياسية في القرن الخامس الهجري تجدر بنا العودة الى الخلف قليلا للتعرف على جذور تلك العناصر منذ أواخر القرن الرابع الهجري .

كانت بلاد الشام قلب العالم الاسلامي طوال العصر الأموي، اذ كانت دمشق عاصمة الخلافة الأموية العربية ، ثم تضاعفت أهمية بلاد الشام بعد انتقال العاصمة من دمشق الى بغداد في العصر العباسي . وبعدت دمشق عن التأثير في مجريات السياسة ولكن بلاد الشام أصبحت منذ اللحظة الاولى لقيام الدولة العباسية مثارا للقلق والاضطرابات ، فقد عز على اهالي الشام أن تنتقل الخلافة من مصرهم وأن يصبحوا تابعين للدولة العباسية في بغداد فقد فقدت بلاد الشام مركز الصدارة في الدولة الاسلامية وانتفض اهالي الشام فرصة ضعف الخلافة العباسية في عصرها الثاني وسايروا ذلك التيار الانفصالي المنبعث من مصر ومن كثير من اقاليم

الدولة العباسية . واصبحت بلاد الشام تخضع للطولونيين ثم للاخشيديين في مصر . وكان الفريقان يدينان بمذهب اهل السنة مما ساعد على توطيد هذا المذهب في بلاد الشام .

قام سيف الدولة الحمداني بدور بارز في سياسة بلاد الشام في تلك الفترة التي ندرس تاريخها ، فقد تقدم سيف الدولة سنة ٣٢٣ هـ الى حلب واستولى عليها من يانس المؤنس ، ثم اتجه الى حمص فاقتتل مع جند محمد بن طغج الاخشيد بقيادة مولاه كافور ، فانهزم الجيش الاخشيدى واستولى سيف الدولة على حمص ، ثم زحف الى دمشق فحاصرها ولكنه لم ينجح في فتحها (١٥) .

قاد الاخشيد جيشا الى الشام فالتقى بسيف الدولة بقتسرين ، الا ان احدهما لم يظفر بالآخر ، وعاد سيف الدولة الى حلب وانسحب الاخشيد الى دمشق (١٦) ، وبعد وفاة الاخشيد سيطر كافور على الامور في مصر واصبح انو جورين الاخشيد لا يملك من السلطة سوى الاسم فقط ، واصبحت الفرصة سانحة لسيف الدولة ليسيطر على دمشق ، ولكن اهلها استنجدوا بكافور فقدم اليهم برفقة انو جور ، ونجحا في اخراج سيف الدولة من دمشق سنة ٣٣٦ هـ ، وطارده الى حلب ، حيث استقر انو جور بها فترة ، ثم اتفقوا جميعا على ان ينسحب سيف الدولة الى حلب وانو جور الى مصر (١٧) .

الا انه رغم امتداد نفوذ الاخشيديين الى سوريا منذ سنة ٣٣٠ هـ (١٨) فإن منطقة حلب لم تخضع ثانية لحكومة مصر بفرض ان انتزعها سيف الدولة من ابي سعيد الكلابي نائب الاخشيد (١٩) سنة ٣٣٣ هـ (٢٠) . اما دمشق فقد ولى كافور عليها ، بعد انفراده بالسلطة في مصر دون انو جور بن الاخشيد ، بحر الاخشيدى فحكم سنة ثم خلفه ابو المظفر بن طغج (٢١) .

وفي سنة ٣٥٨ هـ تولى حكم دمشق الحسن بن عبيد الله بن طنج نائبا عن ابن عمه أحمد بن علي بن الاخشيد والى مصر ، وكان أحمد هذا صبيا فطمع الحسن في الاستيلاء على مصر فزحف اليها ولكن لقيه وجوه الدولة الاخشيدية واقنعوه باستمرار ولاية ابن عمه على مصر ، وقدموا له بعض الاموال ، فعاد الى الشام واستقر فترة في دمشق (رجب سنة ٣٥٨ هـ) ، ثم غادرها في شعبان عندما سمع بقدوم القائد جوهر الصقلي الى مصر على رأس الجيش الفاطمي ، واستخلف عليها شمول مولى كافور (٢٢) .

أما حلب ، فقد استمرت خاضعة لسيف الدولة منذ أن سيطر عليها سنة ٣٣٣ هـ ، الى أن توفي في سنة ٣٥٦ هـ (٢٣) ، فوليتها بعده ابنه أبو المعالي سعد الدولة في ربيع الأول سنة ٣٥٦ هـ (٢٤) ، وأصبح الحاجب قرغويه هو المدير لأمور الدولة (٢٥) . ولم يكن أبو المعالي على كفاءة أبيه ، فنثار عليه جند حلب سنة ٣٥٧ هـ ، كما استولى الرعيلي على انطاكية فترة حتى استولت الروم عليها (٢٦) . كذلك وقع خلاف في نفس السنة بين أبي المعالي وخاله أبي فراس الحمداني الذي حاول السيطرة على حمص ، فبعث اليه بجيش بقيادة الحاجب قرغويه الحق الهزيمة بأبي المعالي (٢٧) . وقد أدت هذه العوامل مجتمعة الى اضعاف نفوذ الحمدانيين في منطقة حلب .

وفي المحرم سنة ٣٥٨ هـ استولى قرغويه على حلب وطرده منها ابن استاذة (٢٨) (سعد الدولة) ، وكان أبو المعالي لا يزال محاصرا لحلب عندما وصلت له الاخبار بفتح الروم لانطاكية ، وقاد جيش الروم (الاصطراطوبدرخ Stratopedargue الذي يسميه العرب (أطربازي) (٢٩) وذلك في ذي الحجة سنة ٣٥٨ هـ (٣٠) .

استنجد قرغويه بالطربازى فى سنة ٣٥٨ هـ (٣١) فزحف الى حلب فى مطلع سنة ٣٥٩ هـ فاضطر ابو المعالى الى الانسحاب عن حلب الى خناصره ، ثم الى معرة النعمان (٣٢) .

والواقع أن البيزنطيين لم يقدموا لمساعدة قرغويه فحسب ، وانما كانوا طامعين فى الاستيلاء على حلب ، فحاصروها ، واستبسل قرغويه فى الدفاع عنها ، واستمر الحصار البيزنطى نحو شهر (٣٣) ، وتفاوض القائد البيزنطى (المصطراطوبدرخ) مع أهل حلب ثم وقعوا صلحا وهدنة دائمة (٣٤) . وينص الصلح على تقديم قرغويه جزية سنوية قدرها سبعمائة ألف درهم (٣٥) . ونص الصلح أيضا على تبعية حلب الحقيقية للإمبراطورية البيزنطية والسماح للروم بتولى أميرين مسلمين على التوالى ، وهما قرغويه ثم يكجور ، وبعدهما ينصب إمبراطور الروم أميرا يختاره من سكان حلب ، كما نص الصلح أيضا على ألا يؤدى النصارى الجزية ، وتعهد قرغويه بالدفاع عن حدود الإمبراطورية البيزنطية فيمنع « كل عسكر اسلامى يريد غزو الروم » ، كما تعهد بمساعدة الروم اذا أرادوا غزو البلاد الاسلامية ، وحوى الصلح على تصوص مجنفة بحقوق أهالى منطقة حلب التى خضعت للنفوذ البيزنطى .

وهكذا خضع شمال بلاد الشام ، فى اواخر الخمسينات من القرن الرابع الهجرى ، وخاصة أنطاكية وحلب ، للنفوذ البيزنطى (٣٦) .

وكان لاستيلاء البيزنطيين على أنطاكية دوى هائل فى العالم المسيحى نظرا لما لهذه المدينة من مكانة فى تاريخ المسيحية . وباستيلاء البيزنطيين على أنطاكية بلغوا الذروة فى الحركة

التوسعية على حساب المسلمين في القرن العاشر الميلادي (٣٧)
(الرابع الهجرى) . فقد كان لسقوط حلب في يد الروم رنة الم
واسف في نفوس المسلمين عامة ، وفي نفوس اهل بغداد خاصة ،
حتى انهم اجتمعوا ولاموا الخليفة العباسى المطيع وطالبوه بالخروج
للأخذ بثأر اهل حلب (٣٨) وهذا يوضح مدى ضعف الخلافة
العباسية في ذلك الوقت .

وفي أواخر الخمسينات وأوائل الستينات من القرن الرابع
الهجرى ، بدأت بلاد الشام تدخل في دور جديد ، اذ امتد اليها
النفوذ الفاطمى الشيعى ، وكان أهالى الشام يدينون بالمذهب
السنى مما أدى الى بداية صراع مذهبى عنيف بين الفريقين استمر
نحو قرن تقريبا حتى سيطر السلاجقة السنيون على البلاد .

يمكننا أن نركز العوامل التى أثرت في الحياة السياسية في
بلاد الشام في النصف الأخير من القرن الرابع الهجرى في العوامل
الآتية :

أولا : امتداد النفوذ الفاطمى الى بلاد الشام وموقف الأهالى
منه .

ثانيا : الحمدانيون في حلب وعلاقتهم بالبيزنطيين من جهة
وبالخلافتين : العباسية والفاطمية من جهة أخرى .

ثالثا : الصراع بين القرامطة والفاطميين حول النفوذ في بلاد
الشام .

رابعا : أثر بنى الجراح في إثارة القلاقل في جنوب بلاد
الشام .

وسندرس هذه العوامل الأربعة التي امتدت جذورها وفروعها في القرن الخامس الهجري بشيء من التفصيل .

أولا : امتداد النفوذ الفاطمي الى بلاد الشام وموقف الأهالي منه :

بعد انتهاء الفتح الفاطمي لمصر واستقرار جوهر الصقلي فيها ، أعد جيشا كثيفا أنفذه الى بلاد الشام بقيادة جعفر بن فلاح الكتامي ، في أواخر سنة ٣٥٨ هـ (٣٩٦) ومنذ اللحظة الأولى لقدم هذا الجيش الى بلاد الشام لقي مقاومة شديدة بدأت بمقاومة أهالي الرملة (٤٠) ، وقد حمل لواء المقاومة أبو محمد الحسن بن عبد الله ابن طنج الذي طلب النجدة من شمول الاخشيدى في دمشق (٤١) ، كما طلبها من الصباحي والى بيت المقدس ، ولكنها لم ينجدها (٤٢) ، فاضطر الى قتال الفاطميين وحده فلاحقت به الهزيمة (٤٣) . وفتح ابن فلاح الرملة عنوة وقتل كثيرا من أهلها وجبى الخراج باسم الفاطميين (٤٤) ، ويذهب ابن خلدون الى انه أباح مدينة الرملة لجنده (٤٥) ، حتى نهاه النابلسي الزاهد عن ذلك (٤٦) . وأدت سياسة العنف التي اتبعها هذا القائد الفاطمي في الرملة وغيرها من مدن الشام الى عداء الأهالي للفاطميين .

وبعد استقرار جعفر في مدينة الرملة استخلف ابنه عليها ، ثم تقدم الى طبرية (٤٧) ليستكمل فتح جنوب سورية وكان يحكم طبرية حينئذ فاتك وقد ولاه عليها كافور الاخشيدى ، ونجح ابن فلاح في فتحها .

تقدم جعفر الى دمشق ، أهم مدن الشام ، وقاومه أهلها مقاومة شديدة ، ولكنهم شعروا بضعفهم فعرضوا عليه تسليم

المدينة على أن يؤمنهم على أرواحهم ، وتعهدوا بدفع مبلغ كبير من المال (٤٨) .

وفي المحرم سنة ٣٥٩ هـ قطعت الخطبة للخليفة العباسي بدمشق ، وخطب للمعز الخليفة الفاطمي (٤٩) . ولكن هل استكان الدمشقيون للحكم الفاطمي كما استكان أهالي الرملة وطبرية ؟ والاجابة بالنفي ، فقد استمرت حركات المقاومة .

بعد فتح دمشق مباشرة سنة ٣٥٩ هـ عاد القائد الفاطمي جعفر الى مصر تاركا نائبه (اقبال) واليا عليها ، فثار عليه الشريف ابو القاسم اسماعيل بن بعلی وأخرجه من دمشق (٥٠) . وكان للشريف ابن القاسم بدمشق منزلة عظيمة فتزعم ثورة أهلها ولبس السواد — شعار العباسيين — وأعاد الخطبة للخليفة العباسي المطيع (٥١) . اشتد الصراع بين أهالي دمشق بزعامة الشريف والفاطمين بقيادة جعفر وانتهى الأمر بالصلح في منتصف ذي الحجة سنة ٣٥٩ هـ (٥٢) .

استقام حكم دمشق لجعفر بن فلاح . وأعيدت الخطبة للخليفة الفاطمي المعز لدين الله وحذف اسم الخليفة العباسي المطيع وبذلك استقرت سيطرة الفاطميين على دمشق في سنة ٣٦٠ هـ (٥٣) . وانتشر المذهب الفاطمي رغم سخط أهل السنة (٥٤) . وخضع الدمشقيون مكرهين للنفوذ الفاطمي (٥٥) .

وبعد أن سيطر جعفر على دمشق ، سيطر على ساحل البحر المتوسط كله ثم استقر بدمشق (٥٦) ، ولكن جعفر أخفق في بسط نفوذه التام على المناطق الشمالية ، وخاصة حلب وأنطاكية ، وكانت تخضع للحكم البيزنطي .

اختلف المؤرخون حول خضوع حلب للنفوذ الفاطمي ، ففي الوقت الذي تشير فيه مخطوطة عيون التواريخ الى انه في سنة ٣٥٩ هـ خطب للمعز الفاطمي بحلب وحمص وحماء (٥٧) . يذكر (لين بول) ان حلب ادمجت في سنة ٣٨١ هـ (٩٩١ م) في الامبراطورية الفاطمية (٥٨) . ويرجع سبب اختلاف المؤرخين الى ان الحمدانيين استمروا يحكمون حلب مع اعلان ولائهم اخيانا للفاطميين ، بينما حكم الفاطميون المدن الأخرى حكما مباشرا وبعثوا بولاتهم من مصر ، مما دعم الحكم الفاطمي لهذه المدن ، وهو ما لا نراه في مدينة حلب التي حكمها الحمدانيون ثم المرداسيون ، مع وجود فترات حكم مصري مباشر تخللت فترة حكم هذين الفريقين .

وكان جعفر فلاح بعد سيطرته على دمشق قد طمع في الاستيلاء على انطاكية ، فبعث بجيش لانتزاعها من الروم (٥٩) الذين حكموها نحو ثلاث سنوات ، فحاصرها خمسة شهور ، وعانى الجند من شدة البرد ، واستبسال أهل انطاكية ، ثم علم جعفر بتقدم القرامطة نحو الشام فبعث الى نائبه يأمره بفك الحصار عن انطاكية والعودة الى دمشق (٦٢) . وهنا يعلق بعض المؤرخين على وضع سوريا بعد الفتح الفاطمي لها مباشرة ، فيذكرون انها انقسمت الى محيتين : منطقة تحت الحماية البيزنطية في الشمال حيث حلب وتوابعها مع وجود قاعدة بيزنطية وقد شدد البيزنطيون قبضتهم على هذه القاعدة التي كانت في انطاكية ، وتركزت الحماية المصرية على مدينة دمشق في الجنوب ، مع وجود قاعدة فاطمية أساسية في طرابلس (٦٣) .

دخلت دمشق في طور جديد من أطوار تاريخها الطويل اذ سيطر القرامطة عليها ثلاث سنوات (من ٣٦٠ هـ الى ٣٦٣ هـ) وسندرس تاريخ هذه الفترة في موضع آخر من هذا البحث . واذا كان الفاطميون قد نجحوا في استرداد دمشق الا ان ولائهم

وجندهم المغاربة اساءوا معاملة اهالى دمشق فثاروا عليهم مرارا حتى أنهم استنجدوا بوالى طرابلس ، وتدخل الخليفة المعز لردع ولاته (٦٤) .

وهكذا طبعت دمشق بطابع ثورى منذ امتد النفوذ الفاطمى اليها ، وقد أخطأ الولاة الفاطميون فى سياستهم نحو الأهالى ، حتى أنهم فضلوا حكم القرامطة لأنهم آمنوا الأهالى ووفروا لهم الهدوء . وقد تميزت الفترة التى بدأت منذ سنة ٣٦٣ هـ بالاضطرابات الشديدة نتيجة كثرة تبديل الولاة كما تولى الحكم كثير من الولاة من غير العرب ، ثم نجح أفتكين التركى فى السيطرة على دمشق (٦٥) .

وقد نتساءل : لماذا لم تحاول الخلافة العباسية السنية أن تنتهز فرصة الاضطرابات والثورات التى قام بها الدمشقيون الناقمون على سياسة الفاطميين الشيعة ؟

ونجد الاجابة عن هذا التساؤل فى نص للمؤرخ السيوطى (٦٦) يقول فيه : « فى سنة اثنتين وستين وثلاثمائة صادر السلطان بختيار المطيع (الخليفة العباسى) فقال المطيع : أنا ليس لى غير الخطبة فان أحببتم اعتزلت فشدد عليه حتى باع قماشه وحمل اربعمائة ألف درهم وشاع فى الألسنة أن الخليفة « صودر » . وهذا النص يوضح ضعف الخلافة العباسية وعجزها عن استرداد دمشق من الفاطميين .

اختلف الديلم والأتراك ببغداد سنة ٣٦٤ هـ فأراد عز الدولة البويهى الديلمى ، القضاء على سبكتكين التركى ولكن لحقت به الهزيمة ، وبعد سبكتكين تولى أمر الأتراك أفتكين التركى وكان من موالى البويهيين ، وحاول أفتكين هزيمة الديلم ولكن لحقت به الهزيمة فاتجه الى بلاد الشام (٦٧) . وفى ذلك الوقت كان

العيارون (٦٨) يملكون دمشق ويتحكمون في أهلها (٦٩) فقد كان أميرها حينئذ ريان الخادم من قبل الخليفة الفاطمي المعز .

بوصول أفتكين الى دمشق خرج اليه شيوخها مرحبين بقدومه ، طالبين منه أن يخلصهم من الحكم الفاطمي المخالف لهم في المذهب ، فوافق بعد أن تأكد من طاعتهم له ، ودخل البلد وأخرج ريسان الخادم (٧٠) ، ثم قطع الخطبة للمعز الفاطمي وخطب للخليفة العباسي الطائع لله ، وأرسل للمعز الفاطمي يطلب منه أن يولييه على دمشق فلم يجبه الى ذلك (٧١) وتجهز الخليفة المعز لحرب أفتكين ولكنه مات سنة ٣٦٥ هـ فأمّن أفتكين بموته عداء مصر (٧٢) .

أرسل الخليفة الفاطمي العزيز الى أفتكين يستميله كما فعل والده المعز فأساء أفتكين الرد على الخليفة (٧٣) . وهنا أشر على العزيز بحرب أفتكين . فلما علم أفتكين بذلك خير أهالي دمشق بين أن يؤيدوه ، أو أن يرحل عنهم الى بلاد الروم ، فتعهدوا له ببذل الأنفس والأموال في نصرته (٧٤) .

لجأ جوهر الى السياسة ، فلما لم تجد لجأ الى استخدام القوة ، واشتبك الفريقان في سلسلة من المعارك ، أبدى أفتكين فيها شجاعة واستبسالاً في القتال ، وفي النهاية استطاعت مصر أن تعيد قبضتها على تلك المناطق المناوئة بعد حروب طويلة أسر فيها أفتكين في المحرم سنة ٣٦٨ هـ (٧٥) .

لم يعد النفوذ الفاطمي الى دمشق بعد القضاء على نفوذ أفتكين إذ تولى شئونها رجل من أهل دمشق يقال له قسام التراب (وقيل قسيم الزبال) (٧٦) ويبدو أن قساماً هذا كان على جانب كبير من الدهاء فلم يقطع الخطبة للعزيز الفاطمي استجلاباً لرضاء وطمعا

في الاغضاء عنه ، واثمرت حيلته فأقره العزيز الفاطمي واليا على دمشق ، وأصبحت دمشق تابعة للدولة الفاطمية (٧٧) . ثم أن قساما هذا حدثته نفسه بأن يعصى خليفة مصر فبعث الخليفة بجيش أخفق في فتح دمشق ، وظل قساما واليا على دمشق حتى سنة ٣٦٩ هـ حين بعث الخليفة الفاطمي واليا على دمشق هو سليمان بن جعفر بن فلاح (٧٨) ولكن قساما احتفظ رغم ذلك بالسلطة الحقيقية (٧٩) :

ظل الحال في دمشق على هذا المنوال ، فساد الاضطراب ، ولم تخضع دمشق لنفوذ الخلافة الفاطمية أو نفوذ البويهيين المسيطرين على الخلافة العباسية ، على السواء .

بعثت الخلافة الفاطمية جيشا بقيادة بلتكين التركي سنة ٣٧٣ هـ لاضباع ثورة في فلسطين قام بها مفرج بن الجراح (٨٠) وللغضاء على حركة قسام الانفصال ، ونجح بلتكين في دخول دمشق في المحرم سنة ٣٧٣ هـ ، وقبض على قسام وبعث به الى مصر حيث عفا العزيز عنه (٨١) . وظل بلتكين واليا على دمشق حتى دخلها بكجور واليا في رجب سنة ٣٧٣ هـ (٨٢) ، ويعتبر حكمه امتدادا لحكم الموالى الاتراك . وكان الوزير الفاطمي يعقوب بن كلس قد نصح الخليفة العزيز بعدم تولية بكجور دمشق ولكن الخليفة أصر على توليته ، وحاول ابن كلس الخلاص من بكجور بقتله (٨٣) وعلم بكجور بالمؤامرة وأحبطها (٨٤) .

خلا الجو لبكجور فأبرز ما انطوت عليه سريرته من الخبث وسوء السيرة والظلم ، فبدأ يضطهد أهالي دمشق ويجمع الأموال لنفسه (٨٥) فثارت عامة الناس عليه واستنجدت بالخليفة العزيز فعزله عن دمشق (٨٦) ، وولى بدله منير الخادم في منتصف رجب سنة ٣٧٨ هـ (٨٧) فوجد البلاد أشبه ببيتوتة تكاد تنفجر من كثرة غليانها من ظلم بكجور وعسفه واساءته السيرة فيها (٨٨) . فبدأ

منير الخادم يعمل أولا على تثبيت نفوذه بأن يحسن معاملة اهالى
دمشق (٨٩) .

ظلت الأحوال فى دمشق هادئة فترة بفضل سياسة هذا
الوالى الفاطمى ، الا انه لم يسلم من الوشاة اذ وشى به احد
اصحاب الوزير ابن كلس عند الخليفة العزيز واتهمه بأنه على
اتصال ببغداد وبصاحب حلب (٩٠) وهذه الوشاية تصور طبيعة
العلاقات بين بغداد وحلب من جهة والقاهرة من جهة أخرى . فما
كان من العزيز الا أن سير اليه جيشا بقيادة منجوتكين هزم منير فى
رمضان سنة ٣٨١ هـ (٩١) .

أصبح منجوتكين واليا على دمشق واستمرت سيطرة الموالى
الأتراك عليها . وبعد وفاة الخليفة العزيز زاد نفوذ ابن عمار
بمصر فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله فكتب برجوان الخادم الى
منجوتكين يصف اضطراب أحوال مصر ويطلب منه القدوم اليها
ليصلح أمورها فلما تسلم الكتاب قراه فى المسجد الجامع ،
« وبكى بكاء شديدا رقت له القلوب ومزق ثيابه » (٩٢) . ففعل
الناس مثله وعاهدوه على الطاعة .

أمر منجوتكين على الزحف الى مصر لردع الحسن بن عمار
والكتامين الذين استبدوا بالسلطة دون الخليفة الفاطمى (الحاكم
بأمر الله) فقد مال منجوتكين للتحيز للترك المرتزقة الذين جلبهم
الخليفة العزيز لمصر ليوازن بهم تأثير الكتامين وغيرهم من قبائل
البربر ، فجمع القوات ليتقدم الى مصر ، وأعد ابن عمار جيشا
بقيادة أبى تميم سليمان بن جعفر بن فلاح وهو من البربر من قبيلة
كتامة ، لصد منجوتكين (٩٣) الثائر والتقى الجيشان فى أوائل
سنة ٣٨٧ هـ (٩٤) عند عسقلان فلاحقت الهزيمة بمنجوتكين (٩٥) .

وبعد نجاح سليمان بن جعفر في هزيمة منجوتكين دخل طبرية وأرسل أخاه نائباً عنه إلى دمشق (٩٦) فمنعه أهلها من دخول مدينتهم ، فكاتب أخاه بقتالهم (٩٧) ، فأسرعوا بأعلان الطاعة والولاء ، فلم يعبأ باعتذارهم وأحرق أجزاء كثيرة من المدينة ، ثم انسحب إلى خارجها (٩٨) ثم وصل أبو تميم سليمان ابن جعفر بعد ذلك إلى دمشق ، فلقاه أهلها بالترحاب وكرروا الاعتذار له عما بدر منهم فأحسن لقاءهم (٩٩) .

في ذي القعدة سنة ٣٨٧ هـ ، خرج القائد جيش ابن الصمصامة من مصر متوجهاً إلى دمشق ، فغادرها سليمان إلى الرملة (١٠٠) فاستمر جيش بدمشق إلى أن مات في ربيع الثاني سنة ٣٩٠ هـ (١٠١) .

عندما توفي جيش كان من المحتم على الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله أن يبعث والياً آخر ، فولى فحل بن تميم ، وهو شيخ من البلقاء (١٠٢) ، ولكنه توفي بعد شهور قليلة ، فاختار الخليفة علي ابن فلاح الكتامي بدله (١٠٣) ، في شوال سنة ٣٩٠ هـ (١٠٤) .

ظل علي بن فلاح يحكم دمشق حتى عزله الخليفة وولى بعده عدة ولاية على التوالي ، مما أدى إلى اضطراب الأحوال الداخلية في دمشق ، وإلى ضعف النفوذ الفاطمي أيضاً (١٠٢) .

وهكذا اقتصر امتداد النفوذ الفاطمي إلى بلاد الشام في نهاية القرن الرابع الهجري ، على مدينة دمشق ، بل إن قبضة الفاطميين لم تكن قوية على دمشق طوال تلك الفترة ، إذ كان أهلها في ثورة مستمرة على الحكم الفاطمي الشيعي المخالف لاعتقاداتهم المذهبية كما أن النفوذ التركي كان واضحاً في تلك الفترة ، ويبدو أن ظاهرة الارتزاق كانت قد بدأت تقوم بدورها ، وأصبح للموالى مكانة ممتازة في الدولة الفاطمية حتى أن الفاطميين أقروا بعض الأتراك على

حكم دمشق ، وكان الأهالي يخضعون لحكمهم حتى اذا بداوا في الاستقلال بنفوذهم ثاروا عليهم ، مثلما ثاروا ضد أفتكين التركي وبكجور ومنجوتكين . وكان الوالي اذا ثار الأهالي ضده وأراد الاحتفاظ بسلطته يعلن الولاء للخلافة العباسية التي كان البويهيون مسيطرين عليها . وقد ازداد النفوذ التركي حتى قدم السلاجقة السنيون الذين سيميدون للمذهب السني مكانته القديمة في بلاد الشام قبل امتداد النفوذ الفاطمي ، ان لم يكن في صورة أشد وأكثر تعصبا .

وخلصة القول ان تلك الفترة ، أي النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، كانت في دمشق ، فترة اضطراب وعسيم استقرار . فكانت الدولة الفاطمية تبعث بولاتها الى دمشق ، فاذا أحسنوا معاملة الأهالي خضعوا للنفوذ الفاطمي رغم الخلاف المذهبي ، واذا أساء الولاة السيرة ثار الأهالي ضطداهم فتضطر الدولة الفاطمية الى عزل هؤلاء الولاة وابدال غيرهم بهم ، وكثيرا ما كان بعض الولاة يعصون الدولة الفاطمية ويعلمون ولاءهم للدولة العباسية حتى تقوى قبضتهم على حكم دمشق ، وكثيرا ما حاولت الدولة الفاطمية تأديب هؤلاء الولاة العاصين وتدعيم النفوذ الفاطمي ، بينما كانت الدولة العباسية عاجزة عن خبايسة هؤلاء الولاة الذين أعلنوا ولاءهم لها ، اذ كانت الدولة تعاني من عوامل الضعف والانحلال واستبداد البويهيين بالسلطنة دون الخلفاء العباسيين .

ثانيا : الحمدانيون وعلاقتهم بالبيزنطيين وبالخلافتين :
العباسية والفاطمية .

مر بنا كيف حاول الفاطميون مد نفوذهم الى مدينة دمشق ، وقد حكمها بعض ولاة الفاطميين في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، وسندرس الآن الأوضاع السياسية في حلب مركز

شمال الشام في تلك الفترة أيضا ، وقد مر بنا كيف بدأ الحمدانيون حكمهم لحلب في عهد سيف الدولة سنة ٣٣٣ هـ وكيف قام هذا الأمير الحمداني بدور فعال في صراع البيزنطيين فتبادلا النصر والهزيمة عدة مرات . ولكنه لم يكف عن الجهاد وبعد وفاته سنة ٣٥٦ هـ خلفه ابنه شريف أبو المعالي ولكن سيطر عليه غلامه قرغويه وحاجبه بكجور وأخرجاه من حلب ، ثم استنجد بالزوم ضده ، وانتهى الصراع بمعقد معاهدة مخزية حطت من المكانة التي تمتع بها الحمدانيون زمن سيف الدولة .

وفي ربيع الأول سنة ٣٥٩ هـ اصطالح قرغويه غلام سيف الدولة بن حمدان متولى حلب مع أبي المعالي شريف بن سيف الدولة (١٠٦) . ولما كان أبو المعالي مقيما بحمص (١٠٧) وقرغويه مقيما بحلب فقد خطب الاثنان في البلدتين للمعز لدين الله الفاطمي وبعث جواهر الصقلي اليهما بالاموال والخلع (١٠٨) .

وهكذا خلع بنو حمدان طاعة العباسيين السنيين وأعلنوا ولاءهم للفاطميين الشيعة المتفقيين معهم في المذهب (١٠٩) . وفي سنة ٣٧٠ هـ تسلم أبو المعالي قلعة حلب من بكجور مولى قرغويه وانفرد أبو المعالي بحكمها ، وجدد سعد الدولة اعترافه بسيادة الخليفة الفاطمي العزيز بالله سنة ٣٧٦ هـ (٩٨٦ م) ، وخطب له بحلب ووصلته خلع العزيز (١١٠) .

ظلت الأحوال على هذا المنوال بحلب حتى أخرج بكجور من دمشق سنة ٣٧٨ هـ الى الرقة فقوى أمره واشتد طمعه في انتزاع حلب من سعد الدولة (١١١) فأرسل بكجور الى الخليفة الفاطمي العزيز يستحثه على انتزاع حلب بعد أن استحال عليه فتحها وحده ، وذكر له عن حلب أنها « دهليز » العراق ومتى أخذت

كان ما بعدها أسهل منها ويطلب الانجاء بالعساكر « (١١٢) .
وكانت حلب حتى هذا الوقت تخضع للدولة الفاطمية اسما دون
أن يبعث الخليفة الفاطمي بولاة لحكمها .

انتهاز الخليفة العزيز فرصة استنجاد بكجور به لييسط
سلطانه على حلب ، وأرسل الى والى طرابلس وولاة بعض مدن
الشام يأمرهم باعداد الجيوش لقتال سعد الدولة .

وعلم سعد الدولة بزحف بكجور فغادر حلب ومعه لؤلؤ
الكبير مولى أبيه ، وكتب الى بكجور ، يستميله ويدعوه الى طاعته
ويعده بأن يقطعه الأراضى من الرقة الى حمص فلم يقبل هذا
العرض (١١٣) ، واستنجد سعد الدولة بوالى انطاكية من قبل
الروم ، كما كاتب انصار بكجور ورغبهم بالاموال الكثيرة فتخلوا
عن بكجور فلقى حتفه .

اتجه سعد الدولة الى الرقة وهناك وجد بها أولاد بكجور
ووزيره ، فأمنهم ولكنه طمع فيما معهم من الاموال فقبض عليهم
وانتزعها منهم (١١٤) . وكتب الخليفة الفاطمي اليه كتابا يتوعده
فيه ويأمره بالابقاء على هؤلاء الأسرى وتسيرهم الى مصر (١١٥) .
الا أن سعد الدولة رفض تهديد العزيز واستعد لقتاله وتقدم الى
حمص ولكنه ما لبث أن مات سنة ٣٨١ هـ (١١٦) فخلفه ابنه سعيد
الدولة (١١٧) .

كان لموقف سعد الدولة من العزيز بالله الفاطمي أثره في اثاره
الفاطميين ضد الحمدانيين ، ونجح الحسن المغربى ، وزير بكجور ،
الذى فر الى مصر سنة ٣٨١ هـ فى أن يبلغ عند العزيز مرتبة عظيمة
حتى صار يستشير في مهام الأمور ، فلما علم بوفاة سعد الدولة .

أشار على العزيز بفتح حلب (١١٨) . كما كان لعصيان منير وإلى دمشق أثره أيضا في التعجيل بإرسال الجيش الفاطمي بقيادة منجوتكين ، وأمر العزيز منجوتكين بأن يفتح دمشق ثم يمضي إلى حلب (١١٩) .

لما علم أبو الفضائل بزحف منجوتكين إلى دمشق استنجد بإمبراطور الروم باسيل (١٢٠) ، وكتب الإمبراطور إلى البرجي (١٢١) يأمره بنجدة وإلى دمشق (١٢٢) .

وهذا يوضح العلاقة التي كانت تربط الحمدانيين بالدولة البيزنطية حينئذ ، فقد أصبح البيزنطيون حماة الحمدانيين ، رغم وجود هدنة بين الفاطميين والبيزنطيين سنة ٣٧٧ هـ (٩٨٧ م) لمدة سبع سنوات (١٢٣) ، ولكن البيزنطيين نقضوا الهدنة طلبية لاستنجد سعيد الدولة بهم .

كما يبدو أيضا مدى تأثير القوتين : البيزنطية والحمدانية في السياسة الخارجية للدولة الفاطمية ، ويتضح ذلك في الوصية التي تركها الوزير يعقوب بن كلس قبل وفاته سنة ٣٨٠ هـ حين قال للخليفة العزيز . « أنصح لك فيما يتعلق بدولتك ، سالم الروم ما سالموك ، واقنع من الحمدانية بالدعوة والسكة ، ولا تبقي على مفرج بن دغفل بن جراح أن عرضت لك فيه فرصة » (١٢٤) .

ومن هذه الوصية تتضح حقيقتان بارزتان : أولاهما أن الحمدانيين حتى وفاة الوزير ابن كلس (حوالي ٣٨٠ هـ) كانوا مرتبطين بالخلافة الفاطمية بالخطبة والسكة فقط ، ولم يكن هناك ولاية فاطميون تعيينهم الدولة (١٢٥) أما الحقيقة الثانية فهي أن الحمدانيين كانوا مصدر قلق للخلافة الفاطمية نتيجة ولائهم للبيزنطيين أعداء الفاطميين .

وبعد أن استقرت أحوال منجوتكين في دمشق ، طلب منه
الخليفة العزيز الزحف الى حلب (١٢٦) ، فحاصرها سنة ٣٨٢ هـ
وحاول سعيد الدولة اغراءه بالاموال حتى يرحل عنها وان يقبل
طاعته للخليفة الفاطمي ويقيم الدعوة له ويضرب السكة باسمه ،
فامتنع عن قبول هذا العرض (١٢٧) وتقدم الروم لنجدة
حلب (١٢٨) . وانتصر الجيش الفاطمي على جيش حلب وحلفائهم
الروم (١٢٩) . ثم تتبع منجوتكين الروم الى انطاكية وأحرق
ضياعا (١٣٠) ولجأ لؤلؤ الى أسلوب خداع منجوتكين واتباعه ،
فنصحهم بالانصراف على أن يعسودوا في العمام المقيبل ،
فانخدعوا (١٣١) ، وأرسلوا للخليفة الفاطمي يستأذنونه في العودة
الى دمشق لقلّة مؤنهم ، وانسحبوا دون موافقته في أواخر سنة
٣٨٢ هـ (١٣٢) .

غضب الخليفة العزيز عند سماعه بانسحاب جيشه ، وطلب
منه العودة الى حلب ، فزحف منجوتكين من دمشق الى حلب في
ربيع الثاني سنة ٣٨٣ هـ ، فاستنجد والى حلب بالروم (١٣٣) .
وآثر الجيش الفاطمي الانسحاب الى دمشق (١٣٤) ، وحاول
منجوتكين فتح حلب مرة أخرى في شعبان سنة ٣٨٤ هـ (١٣٥)
وانتهى الصراع بعقد الصلح بين الخليفة العزيز والامير الحمداني
أبي الفضائل (١٣٦) .

وبعد وفاة سعيد الدولة أبي الفضائل (١٣٧) ، حاول
لؤلؤ الجحراجي (١٣٨) السيطرة على الحكم وأعلن حكما مشتركا
تولاه ابنا سعيد الدولة أبو الحسن على وأبو المعالي تريف وأصبح
لؤلؤ وصيا عليها (١٣٩) وفي سنة ٣٩٤ هـ أراد لؤلؤ الانفراد
بالسلطة فأرسل الأميرين الحمدانيين الى القاهرة وطلب بأمير
حلب (١٤٠) ، وظل يحكم حلب معترفا بتبعيته للخليفة الفاطمي

الحاكم بأمر الله حتى مات سنة ٣٩٩ هـ (١٤١) فخلفه ابنه منصور الذي سناه الخليفة الحاكم (مرتضى الدولة) (١٤٢) .

وأصبح مرتضى الدولة أول وال لحلب يعترف بالسيادة الفاطمية الحقيقية ، واعترفت به الخلافة الفاطمية . والراجع ان محاولات الحمدانيين التي سبقت هذه السنة في الاعتراف بالخليفة الفاطمي في الخطبة والسكة كأن نوعا من تسكين خواطر الفاطميين بينما كانوا يوالون في الحقيقة بيزنطة . ولم يكن الاعتراف بالخلافة الفاطمية منذ سنة ٣٥٩ هـ بعد عقد الصلح بين سعد الدولة ومولاه قرغويه الا محاولة للاحتفاظ بالعلاقات الودية مع الفاطميين ، دون أن يكون للفاطميين سلطة فعلية ، ويتضح ولاء حلب لبيزنطة بعد معاهدة سنة ٣٥٩ هـ ونجدة الروم لحلب ، عندما حاولت الخلافة الفاطمية زمن العزيز استخدام القوة الحربية ضد حلب ، وبذلك نقلت حلب ولاءها من الدولة البيزنطية الى الدولة الفاطمية بعد أن والت البيزنطيين حوالى أربعين عاما (١٤٣) . (٣٥٩ هـ — ٣٩٩ هـ) .

ثالثا : الصراع بين القرامطة والفاطميين في الشام في أواخر القرن الرابع الهجرى .

تفرعت جماعة القرامطة عن فرقة الشيعة الاسماعيلية (١٤٤) فقد لجأت الاسماعيلية الى الدعوة السرية ، وكان من كبار دعائها عبد الله بن ميمون (١٤٥) الذي بعث من الاهواز ، الحسين الاهوازي لنشر الدعوة الاسماعيلية في سواد الكوفة ، وتعاون مع حمدان بن الأشعث المعروف بقرمط (١٤٦) وأصبح قرمط هذا رأس الدعوة الاسماعيلية ، ونجح في تكوين جماعة القرامطة التي تنتسب اليه ، واتخذ كلواذا إحدى ضواحي بغداد مركزا لنشر دعوتيه

سنة ٢٧٦ هـ (١٤٧) . واعتمد قرمط على صهره (عبدان) ، ثم تفرعت القرامطة الى فرعين ، أحدهما قرامطة البحرين بزعامة أبى سعيد الجنابى ، وثانيهما جماعة ذكرويه بن مهرويه الذى تزعم قرامطة شمال غربى العراق وبادية سماوة وبغض مدن الشام . وحمل لواء الدعوة بعد ذكرويه ابنه الحسين الذى أصبح مصدر قلق واضطواب فى بلاد الشام حتى قضى العباسيون عليه سنة ٢٩١ هـ ، فنقل نشاطه الى الكوفة ثم قضى العباسيون عليه نهائيا سنة ٢٩٤ هـ ، فحمل قرامطة البحرين لواء دعوة الاسماعيلية . ونجح أبو سعيد الجنابى فى تأسيس دولة للقرامطة فى بلاد البحرين ، وتصادق فى أواخر عهده مع العباسيين ، ولم يساعد الفاطميين فى محاولاتهم الاولى لفتح مصر ، ولذا يتهم المؤرخون الخليفة الفاطمى عبد الله المهدي بتدبير قتله . وسار ابنه سعيد على سياسة أبيه فى مصادقة العباسيين ومعاداة الفاطميين ، وكان كثير من القرامطة يميلون الى اعلان ولائهم للفاطميين ، ولذا عزلوا سعيدا وولوا أخاه أبا طاهر .

وهكذا انقسم القرامطة الى فريقين يرى أحدهما اعلان الولاء للفاطميين ، والآخر يرى الاستقلال عنهم ، وساءت العلاقات بين القرامطة والفاطميين ، فكان الصدام الحزبى ثم زحف القرامطة الى القاهرة واعتداءاتهم المستمرة على أراضى الفاطميين .

تدخل عبيد الله المهدي أول الخلفاء الفاطميين فى شئون القرامطة الداخلية منذ أوائل القرن الرابع الهجرى حتى لقد ذهب بعض المؤرخين كما ذكرنا — الى القول بأنه هو الذى دبر مقتل أبى سعيد الجنابى سنة ٣٠١ هـ . كما قام المهدي بدور كبير فى عزل الداعى القرمطى سعيد بن أبى سعيد وساهم الى حد كبير فى الثورة التى انتهت بعزله وعين مكانه أبا طاهر الجنابى سنة

٣٠٥ هـ . وظل هذا على اخلاصه للفاطميين حتى توفي سنة ٣٣٢ هـ (١٤٨) . وبموته وجد الفريق المناهض فرصة للتخلي عن ولائهم للفاطميين لا سيما وأن ولده سابور كان طفلا صغيرا لا يصلح للحكم فذهب سعيد أخو أبو طاهر للمطالبة بالحكم ، فلم ير المهدي بدا من اقراره في الحكم ، وتعيين أخيه أحمد بن أبي سعيد للرئاسة ، وجعل سابور وليا للعهد .

انقسم القرامطة الى فريقين ، يميل الفريق الاول الى الفاطميين ، ويتطلع الى الحكم في الوقت نفسه وعلى رأس هذا الفريق أبناء أبي طاهر ويساندونهم بعض وجوه القرامطة وذوو النفوذ ، وهم المعروفون بالعقدانية ، ويرى هذا الفريق أن تنضوي طائفة القرامطة في سياستها الخارجية والمذهبية تحست لسواء الفاطميين كما كانوا في عهد أبي طاهر بن أبي سعيد سنة ٣٠٥ هـ الى سنة ٣٣٢ هـ (١٤٩) . أما الفريق الثاني فيمثلون الطبقة العليا الحاكمة من القرامطة ، ويتزعمهم أحمد بن أبي سعيد وأخوته ، ويرى هؤلاء الاحتفاظ برئاسة دولتهم القرمطية الاسماعيلية وتوجيهها الوجهة التي تعود بالنفع على القرامطة أنفسهم سواء وافقت سياستهم سياسة الفاطميين أم خالفتها .

كان الارتباط بين الفاطميين والقرامطة في البداية ارتباطا مصلحيا بالنسبة للقرامطة ، في حين جهل الفاطميون حقيقة الدعوة القرمطية ، إذ استقر القرامطة في بداية دعوتهم وراء ستار الدعوة للامام المهدي المنتظر ، ثم انقسم القرامطة الى قسمين ، أحدهما برئاسة أحفاد ذكرويه الذين انتهى أمرهم سنة ٣٩١ هـ ، والآخر كان في البحرين ، وقد اختلفت سياسة الفاطميين نحو هذا الفريق ، فأحسن الفاطميون معاملة قرامطة البحرين لأنهم أقل تطرفا ، فكانت هناك مكاتبات يتضح فيها أسلوب النصيح أحيانا واسلوب

عنّف أحيانا أخرى ، ففي سنة ٣١٧ هـ عندما انتزع القرامطة الحجر الأسود أرسل الخليفة المهدي الى أبي طاهر يلومه على ذلك ويقول « قد حققت على شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر والالحاد بما فعلت » وأمره بإعادة الحجر الأسود الى مكانه فاستجاب لأمره (١٥٠) .

تغلب عنصر المصلحة السياسية على الصلات الدينية في علاقة القرامطة بالفاطميين . ويرى المؤرخ (جوزى) أن العلاقة بين القرامطة والفاطميين كانت ودية ملؤها الاخلاص والطاعة ، وانهم كانوا في أول الحركة الفاطمية يساعدونهم بالمال والرجال ، ويظهرون لهم الطاعة والمحبة ، لا لانهم كانوا يخشون بأسهم بل لانهم كانوا يعتقدون أن مؤسس الدولة الفاطمية عبيد الله هو حقيقة (امام الزمان) والمهدي المنتظر . الا إن أبا طاهر وأصحابه مالبثوا مع مرور الزمن ، وبعد أن تعرفوا الى الفاطميين في سوريا ومصر ، ولمسوا حياتهم وتصرفاتهم هناك ، وما أدخلوه من النظم الجديدة في مصر وشمال أفريقيا ، أن أدركوا أن مؤسس هذه الدولة لا صلة ولا نسب بينه وبين الامام السابع اسماعيل بن جعفر (١٥١) وان هذا الامام قد خدعهم واستخدمهم آلة للوصول الى غاياته الشخصية ، فلما صحت عند القرامطة هذه الحقيقة كان لها وقع شديد على هؤلاء الاعراب الذين عرفوا دائما بسذاجتهم وصفاء قلوبهم ، فثار غضبهم على مؤسس الدولة الفاطمية وأولاده فقطعوا علاقتهم بهم وأخذوا يتقربون الى أعدائهم العباسيين الذين أصبحوا في نظرهم خيرا من حلفائهم السابقين (١٥٢) .

ولكننا لا نوافق على رأى المؤرخ (جوزى) المتطرف ، ونرى أن الامام المهدي مؤسس الدولة الفاطمية هو في الحقيقة ينتمى الى الأسرة العلوية الفاطمية ، كما يذكر معظم المؤرخين ، ولكن

القرامطة ، وخاصة فرع البحرين ، اصطدموا بالفاطميين لتشددهم وتطرفهم في آرائهم الدينية وخاصة آراءهم الشيعية ، وظهر هذا الصدام بين الفاطميين والقرامطة واضحا في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، مما كان له اثره في تاريخ بلاد الشام في تلك الفترة .

تعرضت سوريا في العهد الاخشيدى لهجومين قام بهما القرامطة ، اولهما في سنة ٣٥٣ هـ والثاني في سنة ٣٥٧ هـ (١٥٣) . وقد غلب الحسن الاعصم على الشام في ذي الحجة سنة ٣٥٧ هـ وولى عليها وشاحا السلمى ثم رجع الى الاحساء سنة ٣٥٨ هـ (١٥٤) ، كما اجبر ابن طنج الاخشيد على دفع ضريبة لهم قدرها ثلاثمائة ألف دينار سنويا (١٥٥) .

وكان المعز كريما في معاملته للقرامطة فقد كان يبعث لهم بهداياه من المغرب ولكن بعد انتقاله الى مصر قطع ما كان يقدمه الاخشيدون للقرامطة من اموال (١٥٦) منذ سنة ٣٥٧ هـ وكانت هزيمة الحسن بن عبد الله بن طنج امام القرامطة في ذي الحجة سنة ٣٥٨ هـ في مقدمة العوامل المشجعة للفاطميين على فتح الشام ، كما أدى نجاح القائد جوهر في فتح الشام الى فرار بعض زعماء الشام الى القرامطة (١٥٧) ، كما فر البعض الآخر الى الحمدانيين الى جانب مساعدة العباسيين للقرامطة وتشجيعهم لهم (١٥٨) ونضيف الى هذه العوامل كلها الشعور العدائى بين القرامطة من ناحية والفاطميين من ناحية اخرى .

وفي اواخر سنة ٣٥٩ هـ وردت الاخبار على ابن فلاح بان القرامطة زاحفون الى الشام ، ثم علم انهم نزلوا الكوفة ، وامدهم بختيار الديلمى ، احد سلاطين البويهيين بالسلاح (١٥٩) . ونجح القرامطة في الاستيلاء على دمشق واحسنوا معاملة اهلها (١٦٠) .

وحتى سنة ٣٦٣ هـ كان القرامطة مسيطرين على دمشق ولكن بعد هذه السنة بدأ أهالي دمشق يتطلعون الى الخلاص من حكم القرامطة (١٦١) .

كان القرامطة حينما فتحوا دمشق قد استولوا أيضا على الرملة (١٦٢) وبعث القائد جوهر الصقلي جيشا استولى على مدينة يافا ، وحاصر القرامطة يافا ولكنهم اضطروا لفك الحصار لقلة مؤنهم (١٦٣) . ثم رأى القرامطة غزو مصر (١٦٤) ، قلب الدولة الفاطمية ، ودار القتال بين القرامطة والفاطميين على مشارف القاهرة في مستهل ربيع الأول سنة ٣٦١ هـ ، ولحقت الهزيمة بالأعصم قائد القرامطة فاضطر الى الانسحاب من مصر (١٦٥) ، واتجه نحو يافا وحاصرها طويلا حتى هلك معظم أهلها جوعا (١٦٦) ، ثم استولى عليها .

والحقيقة أن هزيمة القرامطة في مصر كان لها صداها القوي في العالم الاسلامي اذ أنها أول هزيمة لحقت بهم (١٦٧) .

نجح الفاطميون في استرداد يافا ، وتقدم الحسن بن أحمد من الاحساء ونزل الرملة ، واشتد الحسن في عدائه للفاطميين ، وعمل على توطيد نفوذ العباسيين بعد أن أقره الخليفة المطيع العباسي على سلطته فأخذ يلعن الخلفاء الفاطميين على المنابر ، وينفى نسبهم الى علي بن أبي طالب (١٦٨) .

ومضى الحسن بن أحمد في تطرفه فبعث بسفن محملة بالجند الى تنيس ، كما أعد جيشا كبيرا من المقاتلة (١٦٩) . ولما اشتد الحال بجوهر كتب الى المعز بالقيروان ينبئه بخطورة الموقف (١٧٠) فغادر المعز المهديّة بالمغرب ورحل الى القاهرة في رمضان سنة

٣٦٢ هـ (١٧١) . وبعد وصوله الى مصر بدأ يفكر في أسلوب جديد يتبعه في معاملة القرامطة بدلا من الأسلوب الذى اثار عداة الأعصم ، فاتبع أسلوب الترهيب والترغيب ، وبعث الى الأعصم بكتاب (١٧٢) يتهمه بالخروج على الاسلام ، وكان المعز يدرك خطورة القرامطة ، وجمع كتاب المعز بين التهديد والوعيد ، وبين التسودد والملاينة ، فأشار المعز في كتابه الى تلك المودة والعلاقة التى كانت تربط أجداد الزعيم القرمطى بالفاطميين ، وأنهم جميعا ينتمون الى أصل واحد (١٧٣) . ثم ندد المعز بانضمام الأعصم الى العباسيين (١٧٤) . وعاب عليه موقفه من قائده جعفر بن فلاح (١٧٥) . ثم عرض المعز على زعيم القرامطة شروطا ثلاثة ، اما فداء نفسه ومن معه بجعفر بن فلاح ومن قتلوا معه ، ورد كل ما كان معهم ، واما أن يردهم أحياء ، وهو فى الحقيقة يسخر منه ، واما أن يصير اليه بمن معه ليحكم هو فيهم بما يراه (١٧٦) ، وذكر المعز أنه لن يتخذ قرارا الا بعد أن يصله الرد . وخيره بين الرجوع عن غيه والتوبة عما فعل ، أو أن ينتظره فى مكانه حتى يحضر اليه بجيوش جرارة ، وحنثذ يناله « ما نال من كان قبله من عاد وثمود » (١٧٧) .

ورغم كل ما حواه كتاب المعز من التهديد والوعيد فإن ذلك لم يفت فى عضد القرمطى ، فقد بعث بخطاب سخر فيه من المعز فقال فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم — من الحسن بن أحمد القرمطى الأعصم . أما بعد فقد وصل كتابك الذى كثر تفصيله وقل تحصيله ونحن سائرون على اثره والسلام » (١٧٨) .

تقدم الأعصم لقتال المعز ، وانضم اليه ابن الجراح الطائى فى جيش عظيم (١٧٩) . فرأى المعز استمالة ابن الجراح الى

جانبه ، فراسله ووعدده بمائة ألف دينار (١٨٠) . فلاحقت الهزيمة بالقرامطة واضطروا الى الانسحاب من الشام (١٨١) .

وفي ذى القعدة سنة ٣٦٥ هـ وصل جوهر الصقلى الى دمشق لانقراعهامن أفنكين التركى ، فاستمر القتال بين الجانبين حوالى شهرين ، واقترح اهل دمشق على أفنكين مكاتبة الحسن القرمطى والاستنجاد به (١٨٢) وبالفعل تقدم القرامطة الى دمشق (١٨٣) ثم زحفوا الى الرملة (١٨٤) .

استقر القرامطة بالرملة وجبوا الضرائب فخرج جوهر الصقلى من مصر لقتالهم فى جيش كبير (١٨٥) . واشتبك جوهر مع القرامطة فى مواقع حامية حتى شهر ربيع الاول سنة ٣٦٦ هـ ، وألحق الهزيمة بأفنكين (١٨٦) . ولكن عندما قلت الاقوات عند جوهر ، وأشرف هو ومن معه على الهلاك جوعا ، طلب مفاوضة أفنكين ، واتفقا على انسحاب جيش جوهر الى مصر (١٨٧) . ورحل جوهر عن دمشق فى جمادى الاولى سنة ٣٦٦ هـ (١٨٨) . فلما وصل الحسن بن أحمد القرمطى وبخ أفنكين على سماحه لجوهر بالانسحاب وقال له : « الراى أنا كنا نحصرهم حتى يموتوا عن آخرهم ، فانه الآن سيذهب الى سيده فيخبره ثم يخرجنا الينا ولا طاقة لنا به » (١٨٩) ثم تم التحالف بين القرمطى وأفنكين وتتبعما جيش جوهر فأسرع منسحبا الى الرملة ، وكتب الى العزيز يصور له الموقف واستأذنه فى الرحيل الى عسقلان . وتقاسم أفنكين والحسن بن أحمد القرمطى الى الرملة لقتال جوهر (١٩٠) . ومات الحسن القرمطى وخلفه ابن عمه جعفر (١٩١) ، فثارت قبيلة كتامة على جوهر (١٩٢) فراسل أفنكين فى طلب الصلح وذكر له الوشائج التى تربطهما فقال : « قد علمت ما يجمعنى واياك من حرمة الاسلام .. وقد دعوتك الى المودعة » . فذكر

له افتكين أن ما يمنعه من موادعته هو صلته بالقرمطى ، فطلب منه أن يمن عليه وعلى من معه من المسلمين ، فوافق على ذلك ، وشرط عليه أن يخرج من تحت سيف ورمح الحسن القرمطى على باب عسقلان ، وتم الأمر على هذا النحو (١٩٣) .

قدم جوهر على الخليفة العزيز فى القاهرة وأشار على الخليفة بأن يخرج بنفسه لقتال افتكين والقرامطة (١٩٤) ، وتقدم العزيز الى الرملة فى المحرم سنة ٣٦٧ هـ (١٩٥) وحاول استمالة افتكين اليه ، الا أن افتكين ذكر له أن الوقت أصبح متأخرا بعد تفاوضه مع القرمطى ، وانتهى القتال بالقبض على افتكين فى المحرم سنة ٣٦٨ هـ (١٩٦) ثم بدأ العزيز يرسل القرمطى ، واتفقا على أن يدفع الفاطميون ثلاثين ألف دينار له ولأصحابه تحمل اليه فى كسل سنة (١٩٧) . ويكونوا على الطاعة والموادعة وحمل اليه مال سنة واستحلفه العزيز على الوفاء وانسحب القرامطة الى الاحساء .

أضعفت هذه الحروب القرامطة وفككت وحدتهم حتى أن جماعة منهم ثاروا على آل الحسن الأعصم واضطروهم الى الهجرة الى جزيرة « أوال » (١٩٨) حيث انتقم منهم أعداؤهم وانتهز الخليفة العزيز هذه الفرصة لاستمالة هؤلاء القرامطة واعادتهم ثانية الى طاعة الفاطميين . واستمر ولاء القرامطة للفاطميين حتى زالت دولتهم من جزيرة « أوال » سنة ٤٥٨ هـ ثم من البحرين بعد أن قضى السنيون عليهم فى سنة ٤٧٠ هـ (١٩٩) .

وهذه الأحوال بين القرامطة والفاطميين بعد ذلك ، والمراجع أنهم كانوا يعيشون الى الخلافة من حين لحين يؤكدون تبعيتهم ونصرتهم كما حدث سنة ٣٨٢ هـ (٢٠٠) .

رابعاً : اثر بنى الجراح فى اثاره القلاقل فى جنوب بلاد الشام :

كان لبنى الجراح اثر كبير فى اثاره الاضطرابات فى فلسطين ، وكان الفاطميون يسيطرون على تلك المناطق باللين تارة وبالشدة تارة أخرى ، من ذلك ما حدث سنة ٣٦١ هـ عندما تحالف سعد أمير عرب الشام وحسان بن جراح ضد النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام ، فأرسل المعز الى حسان ووعدته بمائة ألف دينار إن ترك أمير الشام وخذله بين الناس ، وبالفعل تم ذلك (٢٠١) .

وفى سنة ٣٦٣ هـ انضم ابن الجراح الى القرمطى فى جيش عظيم لقتال المعز (٢٠٢) ، فرأى الخليفة استمالة ابن الجراح الى جانبه فراسله ووعدته بمائة ألف دينار (٢٠٣) فتم انفصام التحالف وانهمز القرمطى كما مر بنا . وظلت العلاقات هادئة بين ابن الجراح والفاطمين حوالى خمس سنوات بدليل انه فى سنة ٣٦٧ هـ قدم حسان بن الجراح على العزيز فخلع عليه (٢٠٤) ولكن فى سنة ٣٦٨ هـ تغلب المفرج بن الجراح على الرملة وناحتها وأعلن ولاء اسميا للعزيز (٢٠٥) .

وفى سنة ٣٦٩ هـ ، حاول أبو تغلب الحمدانى التغلب على دمشق والرملة فقدم جيش فاطمى من مصر فنزل الرملة ، وأرسل الى ابن الجراح سجلاً بولايتها ، وأخبره أن أبا تغلب متوجه اليها للاستيلاء عليها وأنه يعهد اليه بالدفاع عنها (٢٠٦) ، ليضمن بذلك مساعدة ابن الجراح ضد أبى تغلب ، ثم يتخلص فيها بعد من نفوذ ابن الجراح . وبالفعل نجح الفاطميون بمساعدة ابن الجراح فى القضاء على أبى تغلب ، ثم فطن ابن الجراح الى نوايا الفاطمين نحوه ، فبدأ يستميل الخليفة العزيز حتى عفا عنه (٢٠٧) .

أدى حكم بنى الجراح الى سوء أحوال جنوب الشام فقد خيم عليه فقر مدقع (٢٠٨) لم يلبث مفرج بن الجراح أن خلع طاعة العزيز سنة ٣٧١ هـ فسير اليه العزيز جيشا هزمه ، فحاول ابن الجراح اعتراض طريق قوافل الحجاج فبعث العزيز جيشا آخر هزمه للمرة الثانية ، فسار الى امبراطور الروم ملتمسا النجدة ، فأمنه واعاده الى الشام بعد أن أخذ له الأمان من العزيز (٢٠٩) .

ولكن يبدو أن ابن الجراح عاد الى سيرته الأولى من العصيان بعد فترة فأرسلت له الخلافة الفاطمية جيشا بقيادة بلتكين التركي الحق به الهزيمة فاضطر الى الفرار الى انطاكية واستجار بصاحبها فأمنه (٢١٠) .

وفي سنة ٣٨١ هـ خرج القائد ياروختكين الى الشام لفتح حلب وأمر القواد بتبجيله والترجل له وكان من بينهم ابنا المفرج ، فما كان منهما الا أن توجهوا الى أبيهما وشرحا له ما في ذلك من المهانة لهما وله ، وخوفاه من سيطرة الفاطميين على الرملة وأشارا عليه بالاسراع بلقاء ياروختكين قبل وصوله اليهم (٢١١) وبالفعل تم جمع حسان بن المفرج جيشا كبيرا وهزم ياروختكين وأسره ، وعلم الخليفة الفاطمي بذلك فحذر المفرج وطلب منه الإفراج عن قائده ، وهنا أشار البعض على حسان بالتخلص من ياروختكين قبل أن يصل أبوه ويطلق سراح القائد الفاطمي ؛ لأن هذا القائد اذا رجع الى مصر ، يعود اليه على رأس جيش آخر ، ولذا أقدم على قتل هذا القائد وأرسل رأسه الى أبيه فأدرك أن الوضع أصبح خطيرا (٢١٢) .

وفي سنة ٣٨٨ هـ تجدد عصيان جنوب الشام ، وحمل لواء العصيان مفرج ابن دغفل ، فبعث الفاطميون الى فلسطين جيشا

ضخما بقيادة جيش بن الصمصامة ، فاستولى على الزملة وأخضع
ثوارها ، وطارد المفرج بن دغفل وقواته حتى أذعن الثائر وطلب
الصلح ، فعفا القائد الفاطمي عنه وأمنه (٢١٣) .

وهكذا لعب بنو الجراح في جنوب فلسطين دورا ملحوظا في
اثارة القلاقل في جنوب فلسطين رغم قربهم من مقر الخلافة الفاطمية
صاحبة النفوذ الفعلي في بلاد الشام في تلك الفترة .

ومجمل القول ان بلاد الشام في نهاية القرن الرابع الهجري
كانت مفككة العرى تتنازعها قوى مختلفة ، في الداخل والخارج ،
وسنرى خلال دراستنا للقرن الخامس الهجري ، ان حالة التفكك
والاضطراب ستستمر وتستفحل حتى اذا ماوافقت نهاية القرن
الخامس وقعت البلاد فريسة الغزو الصليبي .

الهوامش

- (١٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ٣١٢ .
- (١٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ٣١٢ .
- (١٧) نفس المرجع : ص ٣١٨ .
- (١٨) S. L. Poole : The Mohammadan Dynasties, 1925, p. 69.
- (١٩) الغزى : نهر الذهب فى تاريخ حلب ، ج ٣ ، ص ٦٤ .
- (٢٠) زامبور : معجم الأنساب ، ج ٢ ، ص ٢٠١ ، ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ج ١ ، ص ٢٤٩ .
- (٢١) القلقشندى : مآثر الأتاق فى معالم الخلافة ، ج ١ ، ص ٢٠٨ .
- (٢٢) ابن عساكر : التاريخ الكبير ، ج ٤ ، ص ١٩٠ .
- (٢٣) الغزى : نهر الذهب فى تاريخ حلب ، ج ٣ ، ص ٦٤ .
- (٢٤) ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ج ١ ، ص ١٥٥ .
- (٢٥) نفس المصدر السابق والصفحة ، الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء تاريخ حلب الشهباء ، ج ١ ، ص ٢٩٤ - ٢٩٥ .
- (٢٦) كرد على : خطط الشام ، ج ١ ، ص ٢٢٨ .
- (٢٧) الدبس : تاريخ سورية ، ج ٣ ، م ٥ ، ص ٣٩٧ .
- (٢٨) الغزى : نهر الذهب ، ج ٣ ، ص ٦٥ .
- (٢٩) الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٤٨١ .
- (٣٠) Histoire de Yahya Ibn Saïd D'antioches : p. 125.
- (٣١) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٦١ .
- (٣٢) ابن العديم : ص ١٦٣ ، وينكر يحيى بن سعيد الانطاكى انه انسحب الى حمص - (الانطاكى ، ص ١٢٥) .
- (٣٣) ابن العديم : ص ١٦٣ .
- العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٤٨٤ .
- (٣٤) Hist. De Yahya D'antioches : p. 126.
- (٣٥) تناول ابن العديم المعاهدة بالتفصيل فى زبدة الحلب ، ج ١ من ص ١٦٣ الى ١٦٨ ، تاريخ الانطاكى ، ص ١٣٦ .
- Vasiliev : Hist. Of The Byzantine Empire. p. 209.
- Vasilviev : Ibid, p. 309. (٣٦)
- (٣٧) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٦٣ .
- (٣٨) حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام ، ج ٣ ، ص ٢٣٧ .

- (٣٩) ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٣١ .
- (٤٠) الرملة هي قصبة كورة فلسطين (المقدس . أحسن التقاسيم ، ص ١٥٤) .
- (٤١) المقريري : اتعاظ الحنفا ، ص ١٢٢ .
- (٤٢) ابن أبيك : كنز الدرر ، ج ٦ ، الدرر الماضية في أخبار الدولة الفاطمية .
ص ١٢٣ .
- (٤٣) العيني : عقد الجمان ، ج ١٤ ، م ٢ ، مخطوط بدار الكتب رقم ١٥٨٤ .
تاريخ ، ص ٢٢٣ .
- (٤٤) بيبرس الدواداري : زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، ج ٦ ، مخطوط
بجامعة القاهرة ، رقم ٢٤٠٢٦ ، ص ٢٠٥ (١) .
- (٤٥) تاريخ ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٤٨ .
- (٤٦) ابن القلاسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١ .
- (٤٧) ابن القلاسي ، ص ١ (طبرية قصبة الأردن . المقدسي . أحسن
التقاسيم ، ص ١٥٤) .
- (٤٨) المقريري : اتعاظ الحنفا ، ص ١٢٥ .
- (٤٩) ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٢٦٧ .
- (٥٠) الصالحى : القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية ، قسم أول ،
ص ٩ .
- (٥١) ابن خلدون : تاريخه ، ج ٤ ، ص ٤٨ ، العيني : عقد الجمان ،
ج ١٤ م ٢ (مخطوط رقم ١٥٨٤ تاريخ ، ص ٢٢٤) .
- (٥٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٣٢ ، بيبرس الدواداري : زبدة
الفكرة ، ج ٦ ، مخطوط ، ص ٢٠٥ ١ ، ب ، ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٢ ،
ص ٣٥ .
- (٥٣) العيني . عقد الجمان . ج ١٤ م ٢ . مخطوط ، ص ٢٢٣ ، جمال
سرور : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين الرابع والخامس
الهجري ، ص ١٨ .
- (٥٤) S. L. Poole : A Hist. Of Egypt , V, I. p. 105. (٥٤)
- (٥٥) الحصني : منتخبات التواريخ لدمشق ، ج ١ ، ص ١٣١ .
- (٥٦) ابن طاهر : أخبار الدول المنقطعة ، مخطوط بدار الكتب رقم ٨٩٠ ،
تاريخ ، ص ٤٧ (ب) ، ٤٨ (١) .
- (٥٧) ابن شأكر : عيون التواريخ ، ج ٨ ، ص ٥٣٩ .

(٥٨) S. L. Poole : The Mohammanadan Dynasties, ..., p. 70.

• (٥٩) ابن أبيك . كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ١٢٢ .

• (٦٠) اسد رستم : الروم ، ج ٢ ، ص ٤٨ .

• (٦١) ابن أبيك : كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ١٢٣ .

• (٦٢) المقرئزي . اتعاظ الحنفا ، ص ١٢٦ .

(٦٣) Seton & Baldwin : A Hist. of Crusades, V.I., p. 89.

(٦٤) ابن أبيك الدواداري . كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ١٦٢ ، ابن شاکر :

عيون التواريخ ، مخطوط ص ٩١ .

• (٦٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٥٥ .

• (٦٦) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٦٧ .

(٦٧) المقرئزي : اتعاظ الحنفا ، ص ٢١٩ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ،

ص ٦٢ ، ٦٣ .

(٦٨) يقال رجل عبار ، أى رجل ذكى كثير التطواف والحركة ، والعبارون

هنا بمعنى قطاع الطرق .

• (٦٩) ابن العميد : تاريخ المسلمين : ص ٢٣٣ .

(٧٠) ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٦٣ ، بيبرس الدواداري : زبدة

الفكرة ، ج ٦ ، ص ٢٢٧ (١) .

• (٧١) ابن شاکر : عيون التواريخ ، ج ٩ ، ص ١٠٩ .

(٧٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٢٨١ ، ابن الأثير : الكامل ،

ج ٧ ، ص ٦٣ .

(٧٣) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ١١ ، م ١ ، مخطوط بدار الكتب

رقم ٥٥١ تاريخ ص ٩١ ، فقد قال أفتكين « هذا بلد أخنته بالسيف وما أدين فيه

لأحد بطاعة) .

• (٧٤) ابن القلائس : نيل تاريخ دمشق ، ص ١٥ - ١٦ .

(٧٥) القضاعي : تاريخه ، مخطوطة بدار الكتب رقم ٢٥٢٥ تاريخ تيمور ،

ص ١١٩ ، ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ، مخطوط بدار الكتب رقم ٨٩٠

تاريخ ، ص ٥٠ (ب) .

(٧٦) وهذا هو الرجل الزبال الذى يذكر الناس أنه ملك دمشق (ابن كثير :

البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٢٩٢) .

• (٧٧) الحصني : منتخبات التواريخ لدمشق ، ج ١ ، ص ١٣٣ .

• (٧٨) ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٩٦ .

• (٧٩) ابن القلائس : نيل تاريخ دمشق ، ص ٢٨ .

- (٨٠) ابن الوردي : تنمة المختصر في أخبار البشر ، ج ١ ، ص ٣٠٥ .
- (٨١) المقرئزي : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٥٧ وهنا يذكر الصفدي : أمراء دمشق في الاسلام ، ص ٢٠ أن الذي قبض على قسام وأرسله الى مصر هو خطلخ الحاجب الذي ولي دمشق نائبا عن بلتكين .
- (٨٢) ابن القلانسي : نيل تاريخ دمشق ، ص ٢٩ ، النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٤ ، ق ٢ ، مخطوط ، ص ٥١ .
- (٨٣) ابن أبيك : كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ٢١٨ - ٢١٩ .
- (٨٤) ابن القلانسي : النيل ، ص ٢٠ .
- (٨٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٧٧ .
- (٨٦) الحصني : منتخبات التواريخ ، ج ١ ، ص ١٢٤ .
- (٨٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٧٨ المقرئزي : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٦٠ .
- (٨٨) ابن شاکر : عيون التواريخ ، ج ٩ مخطوط ، ص ٢٤٦ .
- (٨٩) نعمان قساطلي : الروضة الغناء ، ص ٤٢ .
- (٩٠) ابن القلانسي : نيل تاريخ دمشق ، ص ٤٠ ، ابن أبيك : كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ٢٣٢ .
- (٩١) ابن أبيك : كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ٢٣٢ ، الصفدي : أمراء الاسلام ، ص ٨٧ .
- (٩٢) الوزير أبو شجاع : نيل تجارب الأمم ، ص ٢٢٢ .
- (٩٣) O. Leary : A Short Hist. of The Fatimid ..., p. 125.
- (٩٤) ابن ميسر : أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٥٥ .
- (٩٥) ابن القلانسي : النيل ، ص ٤٦ ، ٤٧ ، أبو شجاع : نيل تجارب الأمم ، ص ٢٢٣ .
- (٩٦) O'Leary : A Short Hist., p. 125.
- (٩٧) أبو شجاع : نيل تجارب الأمم ، ص ٢٢٣ .
- (٩٨) O'Leary : Op. Cit., p. 126.
- (٩٩) أبو شجاع : نيل تجارب الأمم ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .
- (١٠٠) المقرئزي : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم بمعهد المخطوطات رقم ٦ تاريخ ، ص ٥٢ (ب) ، ٥٣ (١) .
- (١٠١) المقرئزي : الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٨٥ .

(١٠٢) المقرئى : اتعاط الحنفا ، مكروفيلم ، ص ٥٨ (١) وينكر الصفدى فى امرأ دمشق فى الاسلام ، ص ٦٥ ان فحل بن تميم المعزى ولى امرأة دمشق زمن الحاكم بعد هلاك جيش بن الصمصامة فى ربيع الآخر سنة ٣٩٠ هـ ، فحل أميراً بها شهوراً ، ثم ملك فى هذه السنة فولياها على بن جعفر بن فلاح .

(١٠٣) المقرئى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٧٥ .

(١٠٤) ابن القلائس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٥٧ . المقرئى : اتعاط الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٥٨ (١) .

(١٠٥) ابن كثير . البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٢٢٢ ، ابن عساكر : التاريخ الكبير ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ .

(١٠٦) العيى : عقد الجمان ، ج ٩ ، ق ٢ ، مخطوط ، ص ٢٤٤ .

(١٠٧) بيبوس الدوادارى : زبدة الفكرة ، ج ٦ ، مخطوط ، ص ٢١١ (١) .

(١٠٨) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٥٨ .

(١٠٩) كرد على : خطط الشام ، ج ١ ، ص ٢٢٥ .

(١١٠) العريى : الدولة البيزنطية ، ص ٦٠٣ ويعلل المؤلف أن هذا التقارب بين الأمير الحمدانى والخليفة الفاطمى إنما حدث بعد أن حلت الهزيمة الساحقة بالجيش البيزنطية فى البلقان على يد البلغار وتردد صداها فى سائر أنحاء الشرق .

(١١١) ابن طاهر : أخبار الدول المنقطعة ، مخطوط ، ص ١٩ (١) .

(١١٢) بيبوس الدوادارى : زبدة الفكرة ، ج ٦ ، ص ٢٧٧ (١) .

(١١٣) بيبوس الدوادارى : زبدة الفكرة ، ج ٦ ، ص ٢٧٧ ، ب .

(١١٤) نفس المصدر ، ص ٢٧٨ .

(١١٥) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ، ص ٢١٥ - ٢١٦ .

(١١٦) ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٤١ - ٢٤٢ ، الياغى : مرآة

الجنان ، ج ٢ ، ص ٤١٤ .

زامبور : معجم الاسرات الحاكمة ، ج ٢ ، ص ٢٠١ (فى حين ينفرد الغزى :

نهر الذهب ج ٣ ، ص ٦٦ بأن أبو المعالى توفى سنة ٣٧٨ هـ وتولى مكانه ابنه

أبو الفضائل ، والراجح أنه توفى سنة ٣٨١ هـ باتفاق آراء معظم المؤرخين) .

(١١٧) ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ١٠٠ .

(١١٨) التويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٤ ، ق ١ ، مخطوط ، ص ٥٣ ، سبط بن

الجوزى ، مرآة الزمان ، مخطوط ، ج ١١ ، م ١ ، ص ١٥٩ .

- (١١٩) ابن ظافر . أخبار الدول المنقطعة . مخطوطة ، ص ٢٢ (ب) النويرى :
نهاية الأرب ، ج ٢٤ ، ق ١ . مخطوط ، ص ٥٣ .
- (١٢٠) أبو المحاسن . النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ١١٨ ، سبط بن الجوزى :
مرآة الزمان ، ج ١١ م ١ ، مخطوط ، ص ١٦٠ .
- (١٢١) وهو نقفورس أورانوس ويعرف فى المراجع العربية بالبرجى (عبد الله
عنان . الحاكم بأمر الله ، ص ٢٨) .
- (١٢٢) ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ، ص ٢٢ ب ، النويرى : نهاية
الأرب ، ج ٢٤ ، ق ١ ، ص ٥٣ .
- (١٢٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٦٨ .
- (١٢٤) ابن الصيرفى : الاشارة الى من نال الوزارة ، ص ٢٢ ، ابن خلكان :
وفيات الأعيان ، ج ٦ ، ص ٣١ .
- (١٢٥) يذكر القلقشندى : مآثر الأناقة فى معالم الخلافة ، ج ١ ، ص ٢٢٤
أن الخليفة الفاطمى أرسل أبو على بن مروان من قبله كوال على حلب فى سنة
٢٨٠ هـ ولكنه لم يدخلها .
- (١٢٦) بيشوف الجرمانى : تحف الأنبياء فى تاريخ حلب الشهباء ، ص ٢٨ .
- (١٢٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٨٦ .
- (١٢٨) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة . ج ٤ ، ص ١١٨ ، بيبس الدوادارى :
زبدة الفكرة ، ج ٦ ، ص ٢٧٨ (ب) .
- (١٢٩) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ١١٨ ، أبو شجاع : نيل
تجارب الأمم ، ٢١٨ .
- (١٣٠) أبو المحاسن : ص ١١٨ .
- (١٣١) ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٤٢ .
- (١٣٢) المصدر السابق والصفحة ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ،
ص ١٨٨ .
- (١٣٣) ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٤٢ .
- (١٣٤) بيبس الدوادارى : زبدة الفكرة ، ج ٦ ، مخطوط ، ص ٢٧٩ (١) .
- (١٣٥) النويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٤ ، ق ١ ، مخطوط ، ص ٥٣ .
- (١٣٦) المقرئى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٨٨ .

- (١٢٧) زامبور . معجم الانساب والاسرات ، ج ٢ ، ص ٢٠١ ، بيشوف
الجرمانى : تحف الانبياء ، ص ٤٠ .
- (١٢٨) عرف بذلك لأنه كان مولى جحراج أحد غلمان سيف الدولة فأخذه منه
وسماه لؤلؤ الكبير (ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٩٧ .
- (١٢٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٩٥ .
- O'Leary : Op. Cit., p. 136-137.
- O'Leary : Ibid, p. 137. (١٤٠) ابن العديم : ص ٩٥ .
- (١٤١) الغزى : نهر الذهب ، ج ٣ ، ص ٦٧ ، العينى : عقد الجمان ،
ج ١٤ م ٤ مخطوط ، ص ٥٥٤ .
- (١٤٢) ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٥٦ ، الدبس : تاريخ سورية ،
ج ٣ م ٥ ، ص ٤٠٦ .
- O'Leary : Op. Cit., p. 137. (١٤٣)
- (١٤٤) الاسماعيلية فرقة من فرق الشيعة التى تفرعت عن طائفة الامامية
الاثنا عشرية ، فقد رأت طائفة الاسماعيلية أن الامام بعد جعفر الصادق هو ابنه
اسماعيل ، لا ابنه موسى الكاظم ، وانكرت موت اسماعيل فى حياة أبيه وقالت
انه اختفى ، كما قالت بعدم جواز تحويل الخلافة الى موسى بعد وفاة أخيه
اسماعيل ، لأنها لا تنتقل من أخ الى أخ ، ولا تكون الا فى الاعقاب . وقام خلاف
شديد بين الموسوية انصار موسى الكاظم ، وبين الاسماعيلية اتباع أخيه اسماعيل
ثم ابنه محمد . وهؤلاء يقولون ببطلان امامة موسى لأنه قد نص على امامة
اسماعيل . وادى اضطهاد العباسيين للشيعة الى اختفاء ائمة الاسماعيلية ،
ولجؤهم الى الدعوة السرية .
- W. Ivanow : The Alleged Founder Of Ismailism., p. (١٤٥)
62 & 66.
- (١٤٦) كان قرمط هذا قصيرا وخطوه متقاربا لقصر رجليه . والقرمطة فى
اللغة تقارب الشيء بعضه من بعض ويقال خط قرمط ومشى قرمط اذا كان
كذلك . وقيل انه سمي بذلك لاحمرار بشرته تشبيها له بالقرمذ ، وأصل هذا
اللفظ يونانى من كيراميدى ، ويرى البعض أن هذا اللفظ مأخوذ من (اقرمط)
أى غضب أو عبس . ولكن أحسن ما أعجبنا فى كل ما اطلعنا عليه من تعريفات
خاصة بأصل هذه التسمية ما ذكر من أن اللفظ آرامية نبطية من قرمطون أى
المدلس أو الخبيث أو المكار أو المحتال . كذلك قيل قرمط تعنى كلمة آرامية بمعنى
« المعلم السرى » ، لأنه كان يظهر خلاف ما يبطن .

(ابن الوردى : تاريخه ، ج ١ ، ص ٢٤١ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٤١٢ ،

(C. Brockelmann : Hist. Of The Islamic People, p. 144.

(١٤٧) كان القرامطة دهرية يقولون بقدوم العالم وينكرون الرسل والشرائع كلها ويميلون الى استباحة كل ما يميل اليه الطبع وشعارهم : ادع الناس بأن تتقرب اليهم بما يميلون اليه وأوهم كل واحد منهم بأنك منهم فمن أنست فيه رشدا فاكشف له الغطاء (كرد على : خطط الشام ، ج ١ ، ص ٢٠٩) وكان من أهم تعاليم قرامط أنه جاء بكتاب فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم » يقول الفرج بن عثمان انه داعية المسيح وهو عيسى وهو الكلمة وهو المهدي وهو أحمد بن محمد ابن الحنفية وهو جبريل وان المسيح تصور في جسم انسان وقال له : انتك الداعية وانتك الحجة وانتك الناقة وانتك الدابة وانتك يحيى بن زكريا ، وانتك روح القدس وعرفه ان الصلاة أربع ركعات : ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها ، وان الاذان في كل صلاة ان يقول المؤذن : الله اكبر ثلاث مرات ، وأشهد أن لا اله الا الله مرتين ، وأشهد أن أم رسول الله ، وأشهد أن نوحا رسول الله ، وأشهد أن ابراهيم رسول الله ، وأشهد أن موسى رسول الله ، وأشهد أن عيسى رسول الله ، وأشهد أن محمد رسول الله ، وأشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله (المقرئى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٥٢) بالقلقشندى : مآثر الأناقة في معالم الخلافة ، ج ١ ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥) توفيق الطويل : قصة الاضطهاد الدينى في المسيحية والاسلام ، ص ١٥٢) ، أما عن القراءة في الصلاة : الحمد لله بكلمته وتعالى باسمه ، المنجد لاوليائه ، قل ان الاهلة مواقيت للناس ظاهرها ليعلموا عدد السنين والحساب والشهور والايام ويأطنها لاوليائى الذين عرفوا عبادى وسيلتى فأتقونى يا اولى الالباب وأنا الذى لا اسأل عما الفعل وأنا العليم الحكيم .. ومن شرائعه صيام يومين في السنة هما : المهرجان والنوروز وأن النبيذ حلال والخمر حرام . ولا يؤكل ما له ناب ولا مقلب ، ولا يشرب النبيذ ، وان القبلة الى بيت المقدس والحج اليه وان الجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيه شغل . (المقرئى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٥٤) . لما تمكنت منزلة حمدان بين اتباعه بدأ يستنزف أموالهم وممتلكاتهم لفرض عليهم في البداية ضريبة الفطرة (ابن ابيك ، كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ٤٨) وهى على كل رأس من الرجال والنساء والصبيان في حين يذكر بندلى جوزى : تاريخ الحركات الفكرية ، ج ١ ، ص ١٣٤) أنها درهم واحد يؤدى على الجميع بدون استثناء (ثم فرض ضريبة الهجرة) وهى خاصة بتأسيس دار الهجرة مركزهم : O'leary op. cit., p. 43. ويذكر (بندلى جوزى ، ج ١ ، ص ١٢٤ :) أنها كانت دينارا واحدا . وأخيرا فرض ضريبة تسمى البلغة

وهي سبعة دنانير (ابن أبيك ، ص ٤٨) ومن يدفع هذه الضريبة الأخيرة يقدم له طعام على (قد البندقة) وزعم أنه طعام أهل الجنة وزعم أنه ينفذ إلى الداعي منها مائة بلغة .

ويطالبه الإمام بسبع مائة دينار لكل واحدة منها سبعة دنانير (ابن أبيك : كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ٤٩) فلما توطأ له الأمر فرض عليهم أخماس جميع ما يملكون وما يتكسبون مستنداً إلى الآية الكريمة « واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله خمسة » فسارعوا إلى تلبية ذلك حتى أن المرأة كانت تخرج خمس ما تغزله والرجل خمس ما يكسبه (ابن أبيك ، ص ٤٩) وفي النهاية طلب منهم أن يضعوا كل ما يملكون في مكان واحد (سماء بندلي جوزي ، ج ١ ، ص ١٢٥ صندوق الأخوية) وأن يتساوى الجميع فيما يملكون مستنداً إلى قول الله تعالى « وانكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً (ابن أبيك ، ص ٤٩ ، O'Leary : p. 44.

(١٤٨) حسن إبراهيم ، طه شرف : المعز لدين الله ، ص ٩٨ - ٩٩ .

(١٤٩) حسن إبراهيم ، طه شرف : المعز لدين الله ، ص ٩٩ .

(١٥٠) B. Lewis : The Origins Of Islamism, ... p. 81.

(١٥١) بندلي جوزي : تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ، ج ١

ص ١٥٥ - ١٥٦ .

(١٥٢) نفس المصدر ، ص ١٥٦ .

(١٥٣) De Goeje : Mémoire, Sur les Carmathes ..., p. 182.

(١٥٤) ابن عساكر : التاريخ الكبير ، ج ٤ ، ص ١٤٨ - في حين يذكر كرد

على - خطط الشام ، ج ٨ ، ص ٢٣٠ أن هذا حدث سنة ٣٦٨ هـ وأن الوالي قبل وشاح كان صالح بن عمير العقيلي وكاناً من قبل الحسن بن أحمد القرمطي ولكن الأرجح هو رأي ابن عساكر لأنه في سنة ٣٦٨ هـ كان الحسن القرمطي قد توفي منذ سنتين ، سنة ٣٦٦ هـ . (ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٥٥) .

(١٥٥) بيبرس الدواداري : زبدة الفكرة ، ج ٦ ، مخطوط ، ص ٢١٢ (١) .

النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٢ ، مخطوط ، ص ٦٥ في حين يذكر ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٤٢ أنها ألف دينار ونحن نرجح الرأي الأول .

(١٥٦) De Goeje : Op. Cit., p. 182.

(١٥٧) ابن أبيك الدواداري : كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ١٢٢ .

(١٥٨) المقرئ : اتعاط الحنفا ، ص ١٨٧ .

(١٥٩) النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ق ٢ ، مخطوط ، ص ٦٥ .

- (١٦٠) ابن القلانص : نيل تاريخ دمشق ، ص ٢ .
- (١٦١) ابن أيبك : كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ١٦٠ .
- (١٦٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٤٣ .
- (١٦٣) النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ق ٢ ، ص ٩٦ .
- (١٦٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٢٦٩ ، ابن شاکر : عيون التواريخ ، ج ٩ ، ص ٣ .
- (١٦٥) المقرئ : الخطط والآثار ، ج ٢ ، ص ١٣٨ .
- (١٦٦ ، ١٦٧) ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٤٣ ، كرد علي : خطط الشام ، ج ١ ، ص ٢٢٥ .
- (١٦٨) حسن إبراهيم ، طه شرف : المعز لدين الله الفاطمي ، ص ١١٦ - ١١٧ .
- (١٦٩) المقرئ : اتعاظ الحنفا ، ص ١٨٩ .
- (١٧٠) النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ق ٢ ، مخطوط ، ص ٩٦ وهنا يذكر ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ، ص ٤٨ (٩) ، أن جوهر كتب للمعز يستنهضه ويخبره أنه أكل القرامطة .
- (١٧١) النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ق ٢ ، ص ٩٦ .
- (١٧٢) نص الكتاب نقله إلينا المقرئ بالتفصيل (اتعاظ الحنفا) ، ص ١٨٩ - ٢٠١ ، ابن أيبك بإيجاز (كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ١٤٨ - ١٥٦) .
- (١٧٣) المقرئ : اتعاظ الحنفا ، ص ١٩٥ ، ابن أيبك : ص ١٥٣ .
- (١٧٤) نفس المصدر ، ص ١٩٧ - ١٩٨ .
- (١٧٥) نفس المصدر ، ص ١٩٨ ، ابن أيبك : ص ١٥٤ .
- (١٧٦) المقرئ : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٠٠ .
- (١٧٧) نفس المصدر ، ص ٢٠١ ، ابن أيبك ، ص ١٥٤ - ١٥٥ .
- (١٧٨) ابن أيبك ، ص ١٥٦ . ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ، ص ٤٨ (ب) ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٢٧٦ .
- (١٧٩) النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ق ٢ ، مخطوط ، ص ٩٨ .
- (١٨٠) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٢٧٦ .
- (١٨١) نفس المصدر والصفحة ، ابن خلدون : تاريخه ، ج ٤ ، ص ٥٠ .

- (١٨٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٦٣ ، ابن شاکر : عیون التواریخ ، ج ٩ ، ص ١١٠ .
- (١٨٣) ابن القلانسی : ذیل تاریخ دمشق ، ص ١٥ .
- (١٨٤) نفس المصدر والصفحة ، المقریزی ، اتعاظ الحنفا ، ص ٢٣٨ .
- (١٨٥) النویری : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ق ٢ ، ص ٩٩ ، المقریزی . اتعاظ الحنفا ، ص ٢٣٩ .
- (١٨٦) المقریزی : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٤٠ .
- (١٨٧) ابن شاکر : عیون التواریخ ، ج ٩ ، ص ١١١ .
- (١٨٨) المقریزی : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٤٠ .
- (١٨٩) ابن شاکر : عیون التواریخ ، ج ٩ ، ص ١١١ .
- (١٩٠) ابن القلانسی : ذیل تاریخ دمشق ، ص ١٦ - ١٧ .
- (١٩١) المقریزی : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٤١ ، النویری : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ق ٢ ، ص ٩٩ .
- (١٩٢) المقریزی : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٤١ .
- (١٩٣) ابن القلانسی : ذیل تاریخ دمشق ، ص ١٧ ، ابن الأثير : ج ٧ ، ص ٦٤ .
- (١٩٤) ابن القلانسی : ذیل تاریخ دمشق ، ص ١٨ .
- (١٩٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٦٤ .
- (١٩٦) المقریزی : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ .
- (١٩٧) ینکر دی جویه : De Goeje : Op. Cit., p. 182.
- أنها كانت ٧٠٠٠٠٠ دينار سنويا .
- (١٩٨) أوام جزيرة يحبط بها البحر بناحية البحرين (یاقوت الحموی : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٧٤) .
- (١٩٩) علی حسنی الخربوطلی : العزیز بالله ، ص ١٣٠ - ١٣١ .
- (٢٠٠) المقریزی : اتعاظ الحنفا ، ص ١٧٤ .
- (٢٠١) کرد علی : خطط الشام ، ج ١ ، ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .
- (٢٠٢) النویری . نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ق ٢ ، ص ٩٨ .
- (٢٠٣) ابن کثیر : البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٢٧٦ وهنا ینکر النویری : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ق ٢ ، ص ٩٨ ، ابن شاکر : عیون التواریخ ، ٩

ص ٨٩ ان المعز استكثر المال فعملوا دنانير من النحاس وطلوها بالذهب وجعلوها
في اكياس وجعلوا على رأس كل كيس منها دنانير يسيرة من الذهب .

• (٢٠٤) المقریزی : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٤٦ .

• (٢٠٥) البرغوثی وطوطی : تاریخ فلسطين ، ص ١٦٢ - ١٦٤ .

• (٢٠٦) ابن أيبك : كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ١٩٢ - ١٩٣ .

• (٢٠٧) نفس المصدر ، ص ١٩٨ - ١٩٩ .

(٢٠٨) يذكر ابن أيبك ، ص ١٩٩ (ان الانسان كان يدخل الرملة يطلب شيئاً

يأكله فلا يجده وكان الفلاحون والمزارعون في الأسواق يسألون الناس .

• (٢٠٩) كرد علی : خطط الشام ، ج ١ ، ص ٢٣٠ - ٢٣١ .

• (٢١٠) ابن أيبك : كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ٢٠٥ .

• (٢١١) أبو شجاع : ذیل تجارب الأمم ، ص ٢٣٣ .

• (٢١٢) نفس المصدر : ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

(٢١٣) جمال سرور : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين :

الرابع والخامس الهجري ، ص ٤٤ .

(٢١٤) عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله ، ص ٩٨ ، كرد علی ، خطط الشام ،

ج ١ ، ص ٢٤١ .

الباب الأول
الحياة السياسية في بلاد الشام
في النصف الأول من القرن الخامس الهجري
(زمن الفاطميين)

١ - موقف أهالي الشام من الخلافتين : العباسية
والفاطمية

في سنة ١٣٢ هـ سقطت الخلافة الأموية العربية التي كان مقرها دمشق ، وقامت الخلافة العباسية بالعراق ودخلت الجيوش العباسية مدينة دمشق في رمضان من هذه السنة ، وقتل مروان ابن محمد آخر الخلفاء الأمويين في مصر، وحمل رأسه الى أبي العباس فمسجد لله شكرا (١) ونبش العباسيون قبور بني أمية وسيطرت على العباسيين روح انتقامية واضحة (٣) .

سخط عرب الشام على سيطرة الخراسانيين على الدولة العباسية ، وامتنع بعضهم عن البيعة لأبي العباس . وحينما دخل الجيش العباسي بلاد الشام سنة ١٣٢ هـ أظهر حبيب بن مرة المري اللون الأبيض في اقليمى حوران والبتنية ، وهو شعار الأمويين ، فلما بلغ عبد الله بن علي عصيان أهل قنسرين في شمال الشام ، صالح حبيب بن مرة وأمنه هو وانصاره (٤) .

لم يقبل أهالي الشام الحكم العباسي نتيجة ولائهم القديم لبنى أمية ، ولذلك تكررت ثوراتهم . فظهرت في العصر العباسي الأول عدة حركات اختلفت في دوافعها ومظاهرها ، فاصطبغت بصبغات مختلفة ولكنها اشتركت كلها في الخروج على طاعة العباسيين ، ومن هذه الثورات حركة الراوندية سنة ١٤١ هـ التي نادى بآراء زندقية (٥) وفي سنة ١٨٠ هـ تفاقمت الفتن بالشام فولى الرشيد جعفر البرمكي حكمها فنجح في القضاء عليها (٦) .

ثم ظهرت حركة السفيناني الذي عمل على احياء الدولة الاموية من جديد في سنة ١٩٥ هـ في عهد الخليفة الامين وهو علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية الملقب بالمعيطر ، وهو ممن نجوا من بنى أمية بعد التنكيل بهم عند قيام الدولة العباسية ، ودعا السفيناني لنفسه بالخلافة ، وطرد والي الخليفة الامين على دمشق (٧) . ولم تكد تستقر الاحوال الداخلية في الشام بعد القضاء على فتنة السفيناني حتى ظهر في دمشق في اول عهد المأمون رجل من بنى أمية هو سعيد بن خالد الأموي اخذ البيعة لنفسه بالخلافة فبعث الخليفة بجيش بقيادة صالح بن بيهس فقتل على الثورة (٨) .

وكان لتسلط الأتراك على الحكم في أواخر العصر العباسي الأول وسوء معاملتهم للعناصر العربية ، أثره في قيام ثورات عربية (٩) من ذلك حركة تيم اللخمى المعروف بابي حرب والملقب بالمبرقع اليماني في فلسطين سنة ٢٢٧ هـ فاعتقد الناس انه السفيناني فالتقوا حوله ، فأرسل المعتصم رجاء الانصارى لقتاله فقبض عليه وأرسله للخليفة (١٠) .

وفي بداية العصر العباسي الثاني ثارت الفتن في بلاد الشام من جديد ضد العباسيين فأرسل المتوكل أحد قواده فأخمدتها (١١) . وانتهاز المتوكل فرصة مشورة أحد أطبائه بالذهاب لدمشق لطيب هوائها ، ففكر جديا في نقل دواوين الحكم اليها سنة ٢٤٣ هـ ،

ولكن جدت بعض الظروف جعلته يسارع الى العودة الى عاصمته سامراء ، فكان مقامه بدمشق شهرين وأياما (١٢) وربما تبدل تاريخ الشام لو أن المتوكل ظل مقيما بدمشق العاصمة السابقة للأمويين .

وفي النصف الثاني من المائة الثالثة للهجرة ، أصاب الضعف والانحلال الخلافة العباسية مما شجع ولاية الأطراف على الاستقلال ومنهم أحمد بن طولون الذي استقل بمصر والشام فحكمهما هو وأبنائه من بعده . وعبثا حاولت الخلافة العباسية استعادة نفوذها لكن بدون جدوى . ولذا ظلت مصر والشام تابعة للطولونيين فعلا ، وللخلافة العباسية اسما حتى سنة ٢٩٢ هـ (١٣) .

وفي سنة ٣١٨ هـ تولى الاخشيدي حكم دمشق بتفويض من الخليفة الراضي ، ثم عزل الخليفة ابن كيفلغ عن حكم مصر فصارت مصر والشام للاخشيدي (١٤) . وفي سنة ٣٣٣ هـ دخل سيف الدولة حلب ، وأقام الدعوة فيها للمستكفي ، بينما أقام الاخشيدي الخطبة للخليفة بمصر والبلاد التي يحكمها ، فخلع الخليفة عليها . واستمر ولاء الاخشيدي وسيف الدولة للمطيع أيضا بعد مبايعته بالخلافة (١٥) . وهكذا كان ولاية الشام المستقلون يعلنون الولاء الاسمي حتى ذلك الحين للعباسيين .

ولما مات الاخشيدي وخلفه ابنه أونوجور وسار كافور بجند مولاه من الشام الى مصر خلت دمشق من حامية قوية ترد عنها خطر الحمدانيين ، وطمع فيها سيف الدولة فاتجه اليها واستولى عليها ، فكاتب الدمشقيون كافورا يستنجدون به فقدم الى دمشق ، وظلت الخلافات بين الفريقين حتى تم عقد الصلح بينهما سنة ٣٣٦ هـ (١٦) .

وهكذا يتضح لنا أن بلاد الشام كانت تقف موقفا عدائيا مستهرا من العباسيين وسارع أهلها بالانضمام الى كل خارج على

الدولة العباسية وايدوا الحركات الانفصالية . فاذا كان هذا هو موقف اهالى الشام من العباسيين فهل سرحبون بالحكم الفاطمى الشيعى ؟

كما نتساءل : ما هو موقف الخلافة العباسية من اهالى الشام عند امتداد النفوذ الفاطمى الى بلادهم ؟

واذا كان النفوذ العباسى قد انحسر عن الشام واقتصر على سلطة اسمية فى العصر العباسى الثانى ، فقد أدى نجاح الخلافة الفاطمية فى المغرب ومصر وامتداد نفوذها الى الشام ، الى القضاء على البقية الباقية من النفوذ العباسى ، وتم ذلك بعد فتح جوهر الصقلى مصر فى شعبان سنة ٣٥٨ هـ (١٧) فقد بدأ الفاطميون يفكرون جديا فى الاستيلاء على الشام رغم أن ذلك يسؤدى الى الصدام بالخلافة العباسية .

~~فماهى العوامل التى دفعت الفاطميين الى فتح الشام ؟~~
والى اى مدى نجحوا فى تحقيقها ؟ وماذا يكون موقف اهالى الشام وموقف الخلافة العباسية ؟

كان فتح الفاطميين لبلاد الشام خطوة طبيعية تتلو فتحهم لمصر ، كما يؤدى فتح الشام الى حماية الحدود الشمالية الشرقية لمصر من اى خطر خارجى . وهى السياسة التى جرى عليها حكام مصر منذ العصر الفرعونى ، وفى عصر الطولونيين والاخشيديين .

وهذا الراى يخالف راى المؤرخ او ليرى فى كتابه « الخلافة الفاطمية » فهو يقول : « جعل الفتح الفاطمى مصر على اتصال بعالم متسع مما دفعهم ، بدون تعقل الى المخاطرة بفتح

الشام « (١٩) اذ لم يكن تفكير الفاطميين في فتح الشام شيئاً مستحدثاً بالنسبة لتاريخ مصر ، فانه لا يمكن أن يوصف بالمخاطرة غير مأمونة العواقب . كما تخالف رأى (أولبرى) أيضاً حينما يقول « كانت سوريا دائماً المقبرة التى دفنت فيها آمال وأمانى المصريين » (٢٠) .

ولو كان رأى أولبرى صائباً لما استقر الحكم المصرى لبلاد الشام عبر العصور التاريخية بينما تؤكد المصادر التاريخية المختلفة حقيقة استقرار الحكم المصرى فى الشام فترات متصلة ، ولم تكن فترات انحسار الحكم المصرى عن بلاد الشام الا فترات قصور وضعف السلطات الحاكمة فى مصر ، فأدى ضعف الحكم المركزى فى مصر الى ضعف نفوذه فى الشام وسائر الاقاليم .

أدى فتح الفاطميين لبلاد الشام الى السيطرة على دمشق ، فأصبحوا بذلك على مقربة من مقر الخلافة العباسية عدوتهم اللدود وأصبح الصدام بينهما حتمياً نتيجة الخلاف فى المذهب الدينى .

كما كان فتح الفاطميين لبلاد الشام لونا من ألوان التحدى للقرامطة ، المناوئين لهم ، فقد ازداد نفوذ أبناء أبى سعيد الجنابى ، وحز فى نفس الفاطميين احتلال القرامطة لدمشق سنة ٣٥٧ هـ بعد أن كان القرامطة لا يحاربون الا بوحي من الفاطميين (٢١) حتى أن القرامطة غلبوا فى سنة ٣٥٨ هـ على الشام وولوا عليها والياً من قبلهم (٢٢) وأجبروا ابن طنج الاخشيد على دفع ضريبة لهم قدرها ثلاثمائة ألف دينار سنوياً (٢٣) .

ومن عوامل فتح الفاطميين لبلاد الشام ، مواجهة المدو البيزنطى الجاثم فى منطقة العواصم والثغور والذى طالما اقلق

أمن أهالي شمال الشام والحكومات المحلية بها ، ورأى الفاطميون أن تكون بلاد الشام هي خط الدفاع عن مصر ، وإبعاد الخطر البيزنطي الذي قد يهدد الدولة الفاطمية .

وباستعراض تاريخ العلاقات البيزنطية الشامية في الفترة السابقة لفتح الفاطميين لمصر والشام نلاحظ أن الحرب كانت سجالا بين الجانبين (٢٤) .

وقد مر بنا أن البيزنطيين قبيل الفتح الفاطمي للشام كانوا قد عقدوا معاهدة مع حكام حلب وأنطاكية فأصبح شمال بلاد الشام مواليا لهم ، مما يوضح الخطر البيزنطي الداهم الذي يهدد الخلافة الفاطمية الناشئة وممتلكاتها .

بعد استيلاء الفاطميين على مصر كان لا بد من القضاء على بقايا الأخشيديين الذين فروا إلى الشام وعلى رأسهم الحسن بن عبيد الله بن طنجج وإلى دمشق حتى لا يقوم بينهم اتحاد قد يهدد الفاطميين (٢٥) .

وفي ذي الحجة سنة ٣٥٨ هـ اشتبك الحسن بن عبيد الله ابن طنجج مع القرامطة في الرملة ولحقت الهزيمة بالحسن ، ثم عقد الصلح بينهم ، ورجل القرامطة عن الرملة بعد ثلاثين يوما . وشجعت هذه الهزيمة الفاطميين على منابذة الحسن ، وخرضوا ولاته على عصيانه ، وقدم جيش فاطمي إلى مصر بقيادة جعفر ابن فلاح (٢٦) .

ومن عوامل فتح الفاطميين لبلاد الشام رغبتهم في السيطرة على سواحل البحر المتوسط الشرقية والجنوبية ، ليكونوا قوة

بحرية وبرية تواجه القوتين المعاديتين لهما ، وهما الخلافة العباسية في الشرق والامبراطورية البيزنطية في الشمال .

لقى الفاطميون عناء كبيرا في فتح بلاد الشام ، بينما كان فتح مصر أكثر يسرا وسهولة (٢٧) ويمكن أن نرجع هذه المقاومة التي لقيها الفاطميون في الشام الى عاملين ، أولهما : الخلاف المذهبي بين أهل السنة والشيعة وتعصب أهالي الشام للمذهب السني . - وثانيهما : طبيعة بلاد الشام الجبلية التي جعلت الأهالي شديدي المزاس ، وإذا كانت الخلافة الفاطمية قد بسطت نفوذها على مصر والشام التابعتين اسميا للعباسيين ، فكانت الخلافة العباسية لم تحرك ساكنا للدفاع عن تلك الاقاليم التابعة لها رغم خطر الزحف الشيعي واقتربه منها ، فقد كانت الدولة العباسية قد بدأت في التدهور نتيجة سيطرة السلاطين البويهيين ، وبذلك كانت الظروف متاحة للفاطميين لتحقيق أطماعهم التوسعية في حين حاول الأهالي جاهدين الوقوف ضد الفاطميين الشيعة ولكن بدون جدوى . ويذكر (لامانس) « انه بعد فقدان الأهالي القيم والأخلاق لمدة قرنين (من منتصف القرن الثاني الى منتصف القرن الرابع) وبوجود الانشقاقات المدنية والضغط العباسي . لم يكن لدى السوريين القوة ليقوموا ويدافعوا عن مبادئهم القديمة ولكنهم كانوا مجهدين من معاناتهم الطويلة من التعسف ، ولذا كانوا على استعداد لطلبية نداء أول قائد يضمن لهم الاستقرار ويشيع النظام في البلد » (٢٨) .

وبعد امتداد النفوذ الفاطمي الى بلاد الشام بدأ الأهالي سلسلة جديدة من الصراع ضد الولاة الفاطميين الذين أساءوا في الغالب استخدام سلطاتهم ، فكانت الخلافة « الفاطمية » تسارع بحملهم . وحين كان بعض هؤلاء الولاة يفضون الخلفاء الفاطميين كان ينضم اليهم بعض الأهالي ، ولتدعيم حركاتهم كان هؤلاء الولاة

يعلنون ولاءهم للعباسيين ، ولكن كان النصر دائما للخلافة
الفاطمية القوية سواء على الأهالي المتمردين أو على السولاة
الفاطميين الخارجين على الطاعة المحتمين بالخلافة العباسية
الضعيفة .

وببداية القرن الخامس الهجرى كانت احوال دمشق على
ما كانت عليه فى القرن الرابع ، فاستمر النفوذ الفاطمى يقوى
أحيانا ، وينكمش أحيانا أخرى ، نتيجة المعارضة الشديدة التى
أبداءها الأهالى . أما مدينة حلب ، فكان لها وضعها الخاص ، فقد
بدأ النفوذ الفاطمى يمتد إليها منذ بداية القرن الخامس فماذا كان
موقف أهالى حلب ؟ سيطر بنو الجراح على الاقليم الجنوبى
وعارضوا النفوذ الفاطمى ، حتى أنهم طلبوا من أمير مكة القدوم
إليهم وبإيعوه بالخلافة كما سنرى بعد ذلك — وأدى اختلاف موقف
الأهالى من الفاطميين فى أقاليم الشام المختلفة ، الى ضرورة تناولنا
كل اقليم على حدة للتعرف على موقف الأهالى فيه من كل من
الخلافتين : العباسية والفاطمية ، وكذلك موقفهم من النفوذ البيزنطى
الجاثم فى الشمال والذى كان يهدد حلب بصفة خاصة .

أولا : موقف دمشق من النفوذ الفاطمى :

نبدا دراستنا بمدينة دمشق باعتبارها مدينة الشام الأولى
من ناحية ولأن موقف أهلها لم يتغير كثيرا عما كان عليه فى أواخر
القرن الرابع الهجرى . فهى أول منطقة استقر فيها النفوذ
الفاطمى ، كما أنها أيضا أكثر منطقة قاوم فيها الأهالى هذا النفوذ
فقد بدأ القرن الخامس بسلسلة من الاضطرابات تتضح فى تعدد
السولاة الذين قدموا من مصر ، فقد تولى خمسة سولاة خلال
سنتين (٢٩) . مما جعل الأهالى يسخطون على هذا الاسراف فى
تبديل السولاة وهم فى كل مرة يدعون الله أن يوفقهم الى وال صالح
يعيد الى بلدتهم السكينة والأمن .

ثم هدأت ثائرة الأهالي بعض الشيء بولاية محمد بن نزال التي استمرت الى ذى الحجة سنة ٤٠٦ هـ ، اذ أصلح احوالهم وطيب خواطرهم فهدأت معارضتهم بعض الشيء لمدة أربع سنوات تقريبا (٣٠) . ولكن سرعان ما ساءت احوالهم مرة أخرى فبدأوا يستفكرون مظالم الوالى الجديد التركى الجنس ، ولكن يبدو أنهم كانوا قد بدأوا يعتادون سياسة تبديل الولاة الفاطميين حتى أنهم كتبوا الى الخليفة الحاكم يشكون ظلم الوالى ساتكين (٣١) الذى استمر فى ولاية دمشق مدة سنتين (٣٢) . فعزله الخليفة .

وفى سنة ٤٠٠ هـ اختار الخليفة الحاكم بأمر الله لولاية عهده ابن عمه أبا القاسم عبد الرحيم بن الياس بن المهدي (٣٣) . ويذكر المقرئى أن الحاكم ولى عبد الرحيم هذا دمشق فى جمادى الثانية سنة ٤٠٩ هـ فأقام فيها شهرين ثم هجم عليه قوم وحملوه الى مصر ثم أعيد ثانية الى دمشق (٣٤) .

والمتفق عليه أن ولى العهد هذا كان يتولى أمور دمشق عند وفاة الحاكم بأمر الله سنة ٤١١ هـ ، فظل فى الولاية ولكن سست الملك أخت الحاكم كتبت اليه تستدعيه الى مصر : « فبدلا من أن يعلن طاعته للأوامر ، أعلن نفسه حاكما مستقلا لدمشق وأصبح له شعبية بين أهلها عن طريق اباحة كل ما منعه الحاكم بأمر الله . الا أن شعبيته لم تستمر طويلا فقد جلب لنفسه كراهية الناس بسبب بخله واغتصابه للأموال ، الى جانب غضب الجند الذين لم يأخذوا عطاءاتهم (٣٥) . وحينئذ أرسلت ست الملك من قبض عليه بمساعدة الأهالي وكان ذلك فى ربيع الأول سنة ٤١١ هـ (٣٦) . ثم عاد بعد ذلك الى دمشق فى رجب سنة ٤١٢ هـ .

وأجاد ابن القلانسي تصوير تلك الفترة الحافلة بالاضطراب، التى كان يحياها أهالي دمشق فقال : « أكثر الناس فى التعجب

من اختلاف الآراء في تدبير هذه الولايات وتنقل الأغراض والأهواء
فيها ، ولم يشعروا وهم يتعجبون من هذه الأحوال واستمرار
الاختلال الا وقد وصل من مصر المعروف بابن داود المغربي ومعه
جماعة من الخدم في يوم عرفه بسجل الى ولي عهد المسلمين
ودخلوا عليه القصر وجرى بينه وبينهم كلام طويل الا انهم أخرجوه
من القصر وضرب وجهه وأصبح الناس في يوم العيد ولم يصلوا
صلاة العيد ولا خطب خطيب ، وساروا بولي العهد في اليوم المذكور
الى مصر فزاد عجب الناس وثاروا فيما هم فيه وتشاكوا ما ينزل
بهم من الأحوال المضطربة والأعمال المختلفة » (٣٧) .

ظل الأهالي يعانون من تلك السياسة المضطربة مدة ثلاث
سنوات تقريبا ، ثم نعموا بفترة هدوء نسبي أعقبتها فترة هدوء
طويلة وإصلاحات شاملة . وكانت الفترة الأولى هي فترة حكم
وجيه الدولة أبي المطاع ، وهي الولاية الثالثة له على دمشق ،
وذلك في ربيع الأول سنة ٤١٥ هـ ، فاستقر بها وأصلح أحوالها
الى أن قدمها أمير الجيوش الذيرى في سنة ٤١٩ هـ .

نعم الأهالي منذ ذلك الوقت بمرحلة أكثر هدوءا بالنسبة للفترة
السابقة ، اذ استقر الوالى الجديد في الولاية حوالى اربعة عشر
عاما (٤١٩ هـ الى ٤٣٣ هـ) وهو ما لم نلاحظه منذ الفتح الفاطمى
للشام ، حتى الآن ، فلنا ان نتساءل عن الأسباب الحقيقية لهذا
الاستقرار ؟ هل ضاق الأهالي بحياة التمرد ؟ أو هل أرضت
سياسة الوالى الجديد الأهالي ؟ أو ان بقاء الوالى في الحكم فترة
طويلة كان نتيجة سياسة مرسومة خطتها الدولة الفاطمية ؟

ربما يكون في دراستنا لتاريخ الذيرى قبل توليه السلطة
بدمشق ، ما يفسر الموقف ويوضحه ، والذيرى هذا هو (الأمير
المظفر أمير الجيوش عدة الامام شرف المعالى أبو منصور

أنوشتكين (٣٩) . ويسمى أيضا التركي (٤٠) حمل الى بغداد
ثم الى دمشق سنة ٤٠٠ هـ فاشتراه القائد تزييرى أو ينم
الديلمى (٤١) وندبه هذا القائد لحماية أملاكه ، فقام بمهمته خير
قيام بسبب شهامته وصرامته ، فاشتهر أمره وشاع ذكره ، وسأل
مولاه أن يهديه للخليفة الحاكم بأمر الله ، وقيل بل جاءه الأمر بطلبه
فحمل اليه مع جملة غلمان (٤٢) سنة ٤٠٣ هـ فبرز على بقية
الغلمان ، واشتهر بالمقدرة والذكاء ، وخرج الى الشام مع واليها
سنة ٤٠٦ هـ فتودد الى عامة الناس ثم عاد بعد فترة الى مصر .

ثم تولى حكم بعلبك فأحسن السيرة بين أهلها . ثم دعى الى
مصر وعهد اليه بولاية قيسارية فكان من حسن سياسته فيها
وجميل عشرته لأهلها وحمايته لها ماذاع به ذكره وبعد
صيته (٤٣) .

أصبح أمير الجيوش الدزيرى والياً على دمشق في عهد
الخليفة الفاطمى الظاهر في سنة ٤١٩ هـ (٤٤) . وكانت سلطات
الفاطميين في سوريا عندما تولى الخليفة الظاهر غير مستقرة أو
ثابتة ، ولكن سرعان ما تغيرت الأحوال بفضل جهود أنوشتكين
الدزيرى (٤٥) . بدا أنوشتكين توطيد الحكم الفاطمى بالشام
باخضاع صالح بن مرداس الزعيم العربى الذى انتزع حلب من
مرتضى الدولة وأعلن نفسه أميراً مستقلاً ، فهزمه أنوشتكين وقتله
سنة ٤٢٠ هـ (٤٦) ثم قضى أنوشتكين على حركة حسن بن مفرج
ابن الجراح واضطره الى الفرار الى بلاد الروم (٤٧) ، ثم فتح
حلب وأحسن الى أهلها ، ورد المظالم وعدل (٤٨) واستطاع
أنوشتكين بشجاعته وعظيم وحسن سياسته القضاء على المفسدين
وتوطيد الأمن في الشام (٤٩) وطالت مدة حكمه حيث أقامها على
أسس سليمة من الود والاخاء مع الأهالى ، وبعد أن تخلص من

كل العناصر المناوئة نعم الناس في عهده بفترة من الهدوء طالما كانوا يحلمون بها .

كان الوزير الجرجراي يحسد أنوشتكين فبدأ يؤلب الجند وأهالي دمشق عليه حتى خرج منها الى بعلبك سنة ٤٣٣ هـ (٥٠) ثم سار الدزيري الى حلب فمرض بالحمى ومات في جمادى الأولى سنة ٤٣٣ هـ (٥١) وخير دليل على تمتع الدزيري بشعبية كبيرة بين الأهالي أنه في سنة ٤٤٨ هـ قام أمير الجيوش (بدر الجمالي) بنقل جثمانه من حلب الى بيت المقدس ، واستقبل أهالي المدن مرور الجثمان بهم باحترام وتقدير (٥٢) .

وكان لنجاح سياسة الدزيري نحو الأهالي أثرها في استقرار أحوال البلاد وامتناع الأهالي عن الخروج على الحكم الفاطمي ، وخاصة بعد ان ولت مصر عليهم والياً مصلحاً آخر أحسن السيرة فيهم ، وهو ناصر الدولة الحسن بن الحسين بن حمدان ، ولذا استمرت الأحوال هادئة حتى نهاية حكم هذا الوالي في رجب سنة ٤٤٠ هـ (٥٣) ثم بدأت فترة انتقال شهدت عدة ولايات أترار واستمرت سنتين (٥٤) وأخيراً هدأت أحوال الأهالي وقلت معارضتهم بتولي الأمير حيدرة بن مفلح في رجب سنة ٤٤١ هـ ويعرف بأبي الكرم الطويد (٥٥) .

أحسن هذا الوالي السيرة في الأهالي والجند فاستقامت أمور الولاية على يديه واستمرت ولايته حتى سنة ٤٤٨ هـ في رأى ابن القلانسي (٥٦) أو سنة ٤٥٠ هـ كما يذكر كل من ابن عساكر وأبي المحاسن (٥٧) وقد كان من الولاة الصالحين القادرين الذين تولوا دمشق فانتشلوها فترة من الزمن من الفوضى التي كانت سمة للحياة في تلك البلاد طوال الحكم الفاطمي .

بدأت بلاد الشام مرحلة جديدة من الاضطرابات حتى أنه خلال خمس سنوات تولى امر دمشق خمسة من الولاة (٥٨) ويبدو ان الأهالى قد ضاقوا بالخلافة الفاطمية وبولاتها الضعفاء ، حتى انه عندما تولى بدر الجمالى فى سنة ٤٥٥ هـ ، وهو من الولاة البارزين فى الادارة سواء فى الشام أو فى مصر ، وجد أهلها فى أسوأ حال (٥٩) وحدثت بينه وبين الأهالى خلافات امتد أثرها الى الجند فثاروا عليه (٦٠) فاضطر للهرب من هذا الجو المضطرب فى رجب سنة ٤٥٦ هـ (٦١) ولكن الاضطرابات تفاقمت فى دمشق مما أدى الى اعادته الى حكمها مرة أخرى فى شعبان سنة ٤٥٨ هـ بل انه تولى حكم بلاد الشام كلها (٦٢) ولكن الخلافات دبّت من جديد بين أهالى دمشق من جهة وبين بدر وجنده من جهة أخرى فاضطر بدر الى أن يغادر دمشق فى رمضان سنة ٤٦٠ هـ (٦٣) .

ويبدو أن الأحوال زادت سوءا فى دمشق حتى أن الأمير حصن الدولة معلى بن حيدرة الكتامى ، تغلب على دمشق بدون تقليد فى شوال سنة ٤٦١ هـ ثم وافاه التقليد فبالغ فى المصادرات والظلم واستمرت الأحوال تفتقل من سوء الى أسوأ حتى أن أهل دمشق لم يلقوا من الظلم والعسف منذ ولاية جيش بن الصمصامة ما لا قوة فى ولاية معلى بن حيدرة (٦٤) .

ولم تتحسن أحوال الأهالى ولكنهم لم يقوموا بأية معارضة للنفوذ الفاطمى لأن استمرار الانشقاقات والاضطرابات أضعفت فيهم بمرور الزمن روح المعارضة ، كما أن الخلافة العباسية لم تحرك ساكنا للوقوف بجانب الأهالى منتهزة فرصة تذرهم المستمر، فقد كان « بنوبويه » قد سيطروا على الخلافة العباسية وأخذوا العالم الاسلامى من غير أن يحفلوا بمن يدعى أنه أمير المؤمنين » (٦٥) . مما أدى الى حرج موقف أهالى دمشق وجعلهم

يخضعون لهذا الضغط الشيعى فى النهاية الى ان اجتاحت البلاد
الزحف السلجوقى التركى فبدأت حلقة جديدة من حلقات تاريخهم
المشحون بالقلق .

ثانيا : موقف حلب من الحكم الفاطمى :

اختلفت احوال حلب تماما عن احوال دمشق ، فقد دخلت تحت
طاعة الفاطميين منذ بداية القرن الخامس الهجرى تقريبا فى عهد
مرتضى الدولة أبى نصر منصور بن لؤلؤ (٦٦) الذى يعتبر أول وال
لحلب يعترف بالسيادة الفاطمية الحقيقية . وفى نفس الوقت
اعترفت به الخلافة الفاطمية فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله الذى
خلع عليه ولقبه (مرتضى الدولة) (٦٧) . كما نلاحظ ان النفوذ
البيزنطى ظل متغلبا فى حلب فى بعض الأحيان ، مما لا نجده فى
دمشق وفى جنوب الشام ، وذلك لقرب حلب من بيزنطة . كذلك
كانت معارضة أهل دمشق قد اصطفت بالصبغة المذهبية ، حيث
كانوا يميلون للمذهب السنى بينما كان الفاطميون شيعة . وهنا يذكر
(ستون وبلدوين Setton and Baldwin) أنه اذا استثنينا دمشق
حيث كان أهلها من غلاة السنة الذين لم يتقبلوا أبدا الحكم
الفاطمى ، نجد أن أهالى البلاد المدنيين والبدو سواء الشماليون
أو الجنوبيون كانوا أقرب الى الفاطميين منهم الى العباسيين (٦٨) .
وفى صفر سنة ٣٦٠ هـ عندما أمر القائد جعفر بن فلاح المؤذنين
بدمشق أن يؤذنوا بالأذان الشيعى وهى « حى على خير العمل »
خضع الناس على مضض ، ولم يجسر أحد على مخالفته . وعندما
أمرهم فى جمادى الثانية أن يثنوا الأذان والتكبير فى الإقامة زاد سخط
الناس (٦٩) .

أما أهل حلب فقد كانوا أكثر ميلا الى المذهب الشيعى فاتبعوا
الأذان الشيعى منذ عهد سيف الدولة سنة ٣٤٧ هـ (٧٠) (أى قبل

امتداد النفوذ الفاطمي الى حلب) بل انهم ابدوا المهـم عندما طلب منهم التخلي عن المذهب الشيعي وتأييد المذهب السني سنة ٤٦٢ هـ (٧١) .

وتميزت حلب بأن ولايتها كانوا غالبا من أهلها وأنه في النادر ما تولى ولاية تبعثهم الخلافة الفاطمية . واختلف هؤلاء الولاة في سياستهم واتجاهاتهم فكان بعضهم يعضد النفوذ الفاطمي ، وانحاز البعض الآخر للبيزنطيين ، بينما حاول فريق ثالث أن يكون مستقلا عن الجانبين .

ومنذ بداية القرن الخامس تولى حكم حلب مرتضى الدولة ، الذي حسن علاقاته في أول الأمر بالخلافة الفاطمية ، ولكنه مالبث أن قلب لهاظهر المجن . ولكن توثقت العلاقات مرة أخرى عند قيام النزاع بين مرتضى الدولة والفتح غلام أبيه (٧٢) ، وأشير على الفتح بالاستنجاد بالحاكم بأمر الله (٧٣) فأنجده وساعده الأهالي على التخلص من حكم لؤلؤ الذي أساء السيرة (٧٤) ففر هاربا الى انطاكية مستجيرا بامبراطور الروم . وأعلن فتح القلعي أبو نصر ولاءه للخليفة الحاكم بأمر الله (٧٥) .

ثم عمل فتح على توطيد نفوذه في الداخل فولى أبا المرجان المستفاد (٧٦) كمساعد له في حكم البلد فأحسن معاملة الأهالي ، واصطاح مع صالح بن مرداس (٧٧) ثم استدعى ، والى أفاميه (٧٨) ، أبا الحسن علي بن أحمد العجمي المعروف بالضيف فأنزله المدينة في أوائل شعبان سنة ٤٠٦ هـ وبقي فتح بالقلعة ، فأحسن الضيف السيرة في الأهالي ثم كاتب فتح الحاكم بأمر الله يخبره بذلك فشكره الخليفة على ما فعل ولقبه مبارك الدولة وسعيدها (٧٩) كما كاتب الحاكم بأمر الله أبا الحسن الضيف يحثه على معاضدة فتح ولقبه

سديد الدولة وكاتب صالح بن مرداس يأمره بالاتفاق معها ولقبه
أسد الدولة . وأخيرا كاتب الخليفة الأهالي أنفسهم رافعا عنهم
المكوس والخراج (٨٠) .

ظل التحالف قائما بين فتح وابن الضيف فترة من الزمن .
وفي تلك الفترة كانت سطوة صالح بن مرداس قد بدأت تزداد
تألقا . وكان ابن الضيف قد ضم اليه بعض العساكر المغاربة
وأخذ من فتح بعض المال وأنفقه فيهم ، ولم يشأ أن يتخلى عن
حكومة حلب لصالح بن مرداس والعرب من بنى كلاب ، ولقى
التأييد من سكان المدينة الذين كرهوا أن يحكمهم هؤلاء البدو ،
وطلب ابن الضيف من الخليفة الحاكم أن يمهده بالعساكر ، فجاءته
الامدادات من سائر ولاة الشام وزعماء العشائر العربية (٨١) .
وهنا عمل الخليفة الحاكم على تركيز السلطة في حلب في يد وال
واحد ، فأرسل الى فتح يأمره بتسليم البلد والقلعة لابن الضيف ،
وأن يتوجه هو واليا على صور وبعض المناطق الأخرى (٨٢) .

وصل الأمير عزيز الدولة أبو شجاع فأتك الى حلب في رمضان
سنة ٤٠٧ هـ ، واليا عليها من قبل الخليفة الحاكم بأمر الله (٨٣)
ورغم المعاملة الحسنة التي عامله الخليفة بها فقد حدثته نفسه
بالعصيان (٨٤) . ذلك أنه وطد سلطته واستفحل أمره وعظم
شأنه ، وكان قد جدد تحصينات حلب وعقد معاهدة مع الروم (٨٥)
فخلع طاعة الحاكم ودعا لنفسه على المنبر وضرب السكة باسمه ،
وشجعتة على ذلك ظروف البلاد حينئذ نتيجة انتشار المذهب
الدرزى وقيام الثورات في بلاد الشام (٨٦) وأرسل الخليفة الحاكم
الجيوش الى عزيز الدولة وكان قد استنجد بامبراطور الروم ،
فخرج بالفعل الى الشام ، ولكن وفاة الحاكم جعلت عزيز الدولة
يرسل للامبراطور باسيل يعلمه بنقض ما بينهما من شروط (٨٧) .

وبعد وفاة الخليفة الحاكم سنة ١١ هـ ، قامت أخته ست الملك بالنظر في أمور الدولة وشهد عهدها استمرار عصيان عزيز الدولة فاتبعت أولا أسلوب الملائنة معه ولم تزل تعمل الحيلة حتى حرضت عليه غلاما له يسمى (بدر) فأقدم على قتله في ربيع الثاني سنة ١٣ هـ ، فشكرته ست الملك ولقبته وفي الدولة وولته مكانه (٨٨) .

استمر وفي الدولة بدر يحكم حلب حوالي أربعة أشهر حتى ولى الخليفة الظاهر بعده اثنين من الولاة : فتولى حكم مدينة حلب صفى الدولة أبو عبد الله محمد بن وزير الوزراء أبي الحسن على ابن جعفر بن فلاح الكتامي وذلك في رجب سنة ١٣ هـ في حين تولى القلعة (٨٩) يمين الدولة سعادة الخادم المعروف بالقلائسى وقد تعمد الظاهر تولية وال للمدينة ، وتولية آخر للقلعة حتى لا ينفرد وال واحد بحكمها فيتكرر ما حدث في عهد عزيز الدولة (٩٠) .

لم تمر سوى أربعة أشهر أخرى حتى عزل صفى الدولة بن فلاح عن حلب في منتصف المحرم سنة ١٤ هـ ، وولى الخليفة سند الدولة أبا محمد الحسن بن محمد بن ثعبان الكيساني الجيملى (٩١) . الا ان سند الدولة مرض في آخر ربيع الثاني سنة ١٥ هـ فكتب الخليفة الظاهر بتولية اخيه سديد الملك أبي الحارث ثعبان بن محمد بن ثعبان (٩٢) وكان قبل ذلك واليا على تنيس بمصر (٩٣) ، في حين تولى القلعة أبو الحارث موصوف الخادم الصقلبي الصاكمي (٩٤) . وظل حال حلب على هذا المنوال حتى قدمها صالح بن مرداس فدخلت حلب في دور جديد من ابواب تاريخها .

وهكذا خضع اهالى حلب للنفوذ الفاطمى الموجه من مصر مباشرة حوالى ثمان سنوات (من ٤٠٧ هـ الى ٤١٥ هـ) وهى مرحلة الانتقال بين حكمين محليين هما حكم الحمدانيين ثم المرداسيين ، وكان الفريقان يعلنان الولاء للخلافة الفاطمية احيانا ولبيزنطية احيانا اخرى ، وقد يحتفظون بشخصيتهم المستقلة احيانا ثالثة . وفى كل الظروف كان الاهالى يعانون من الاضطرابات المستمرة بسبب تطاحن القوى المختلفة للسيطرة عليهم .

كان لسوء سيرة الوالين السابقين على حلب (ابن ثعبان وموصوف) اثره الكبير فى التعجيل بتسليم حلب الى صالح بن مرداس (٩٥) فما كان من صالح الا ان عدل بين الاهالى وعاملهم معاملة حسنة (٩٦) ثم ترك صالح حلب لبعض نوابه ومضى الى بعلبك ففتحها عنوه (٩٧) وقتل جماعة من اصحاب الخليفة الظاهر ثم اجتمع هو وحسان بن جراح وسنان بن عليان على فلسطين وتحالفوا على اجتماع كلمتهم ومحاربة الخليفة الظاهر (٩٨) . .

اما عن الوضع فى حلب بعد مغادرة صالح فقد اجتمع الاهالى الناقمون على الولاة الفاطميين ونقبوا قلعتها ، فوصل النقب الى بئرها وقتل الماء فيها ودام الحصار حوالى سبعة اشهر . فراسل من فى القلعة نائبي ابن مرداس بحلب فى الصلح ، فلم يجيباهم ، فظهر الاهالى الميل للبيزنطيين ، « فنصبوا الصليبان ثلاثة ايام ودعوا لملك الروم ولعنوا الظاهر ونادوا بالحرب » (٩٩) واخيرا استطاع الاهالى ان يدخلوا القلعة من كل مكان ودخلها نائبا صالح فى اول جمادى الاولى سنة ٤١٦ هـ وتبضا على موصوف وابسن ثعبان ، ثم كتبوا الى صالح بذلك فقدم اليها فى اقرب وقت واستولى على القلعة فى الثالث عشر من ذى الحجة سنة ٤١٧ هـ (١٠٠) ،

قبل صالح مديّة ابن شعبان وقتل موصوف (صبراً بين يديه) ثم اتبع طريق العدل مع الأهالي فهدات البلاد (١٠١) .

وهكذا أصبحت قبضة الفاطميين في سورية في سنة ٤١٦ هـ ضعيفة ، اذا استثنينا دمشق التي كان عليها أبو المطاع وجيه الدولة ابن حمدان منذ ربيع الأول سنة ٤١٥ هـ ، والذي ظل بها حتى وصلها أنوشتكين الدزيري سنة ٤١٩ هـ (١٠٢) . بينما تغلب صالح بن مرداس على حلب وتغلب حسان بن الجراح على الرملة . وربما دفع هذا الوضع أو ليرى الى القول بأنه في « سنة ٤١٦ هـ كانت القوة الفاطمية في سورية قد انتهت كلية » (١٠٣) .

أرسل الخليفة الفاطمي الظاهر جيشاً بقيادة الدزيري لقتال حسان وصالح ، فقتل الأخير بالأقحوانة على شاطئ نهر الأردن في جمادى الأولى سنة ٤٢٠ هـ (١٠٤) فما كان من ولديه أبو كامل نصر الملقب بشبل الدولة (١٠٥) . ومعز الدولة أبو علوان شمال الا أن قرأ الى حلب فملكها شركة بينهما (١٠٦) .

وفي سنة ٤٢١ هـ انفرد شبل الدولة نصر بالسلطة واستقرت له الإمارة (١٠٧) وفي عهده بدأ موقف حلب يتغير تجاه بيزنطة فقاد شبل الدولة عدة حملات ناجحة ضد الروم وقام بحملة تأديبية ضد حاكم أنطاكية ، وتعددت هذه الحملات حتى أن الامبراطور البيزنطي قام بحملة ضد حلب ولكنها صدته فاضطر للعودة (١٠٨) . ظل شبل الدولة نصر بن صالح مسيطراً على حلب حتى سنة ٤٢٩ هـ ، وكانت العلاقات قد ساءت بينه وبين الخليفة الفاطمي المستنصر سنة ٤٢٨ هـ فالتجأ الى ميخائيل والي أنطاكية ثم بعث الى المستنصر بهدية وطلب منه حكم حمص فأجاب طلبه (١٠٩) .

كانت عادة نصر أن يحمل هداياه لصاحب أنطاكية فتأخر
عن ذلك في سنة ٤٢٨ هـ . فاستأذن الدزيرى امبراطور الروم في
قتال نصر وانتزاع حلب منه على « أن يؤدي ما عليه من الحمل
المقرر » (١١٠) واتحدت بعض القبائل العربية من الطائيين والكلبيين
مع الدزيرى ضد نصر بن صالح (١١١) ، فانهزم وحاول أخوه
السيطرة على حلب إلا أنه خاف من الدزيرى فنزل عليها ابن عمه
مقلد بن كامل (١١٢) وهنا ثار الأهالى ضد الوالى الجديد فلما
وصل اليهم نائب الدزيرى (١١٣) رحبوا به ثم رحبوا بالدزيرى
نفسه الذى تسلمها آخر رمضان سنة ٤٢٩ هـ (١١٤) .

ظل الدزيرى بحلب حوالى شهرين فأحسن السيرة فى الأهالى
ورد عليهم ما كان صالح بن مرداس قد اغتصبه منهم (١١٥) ثم عاد
الى دمشق . وهكذا أصبحت حلب مرة أخرى جزءا من الامبراطورية
الفاطمية وأصبح الدزيرى والياً على الشام بأجمعه وذلك لحسن
تدبيره .

ثم بدأت الدسائس تلعب دورها ضد الدزيرى ، فقد كاتب
الوزير الجرجرائى ولاة الشام يشرهم ضده ، كما كتب رسالة
بتوقيع المستنصر الى ثمال بن صالح بحلب وشرط عليه أن يحمل
جميع ما بقلعتها من المال الى المستنصر (١١٦) اضطر الدزيرى أن
يسلم حلب لثمال ، ثم مات بعد فترة قصيرة ، وبوفاته أصبحت
حلب بيد معز الدولة أبى علوان ثمال بن صالح (١١٧) ، الذى
تسلمها بالتوقيع الذى أرسله اليه الوزير لا الخليفة كما رأينا ، ولذا
حدث احتكاك بين ثمال وبين الخليفة حتى أن ثمال أعلن انتماءه
لتدورا امبراطورة الروم ، وبذلك أصبح خارجاً على الخلافة
الفاطمية (١١٨) .

ظلت العلاقات متوترة بين شمال والخلافة الفاطمية حوالى أربعة عشر عاما (من ٤٣٥ هـ — ٤٤٩ هـ) أرسلت مصر خلالها عدة جيوش لردعه ولكنها لم تنجح (١١٩) وفى سنة ٤٤٩ هـ حسن شمال علاقاته مع المصريين وأرسل لهم الهدايا (١٢٠) ونزل لهم عن حلب فمنحه المستنصر عوضا عنها حكم عكا وبيروت وجبيل (١٢١) وكان هذا بتدبير الوزير الجرجرائي (١٢٢) ويذكر بعض المؤرخين أن سبب تنازل شمال عن حلب طوعا أنه عجز عن المحافظة عليها وكان ذلك فى ذى القعدة من سنة ٤٤٩ هـ (١٢٣) فأنفذ المصريون رجلا من أصحابهم يسمى الحسن بن على بن ملهم ولقبوه مكين الدولة فتسلمها من شمال فى آخر ذى القعدة سنة ٤٤٩ هـ (١٢٤) .
فأقام بحلب وأحسن السيرة فى أهلها (١٢٥) .

ظل ابن ملهم واليا على حلب حتى سيطر عليها محمود بن صالح بن مرداس سنة ٤٥٢ هـ (١٢٦) ويرجع استيلاء محمود عليها الى عدة أسباب منها : أنه حدثت فتنة بين الجند السودانيين وأحداث حلب ، فسمع ابن ملهم أن بعض الأحداث فى حلب قد كاتب محمود بن شبل الدولة ليسلموا اليه البلد ، فقبض على جماعة منهم فاجتمع أهل البلد وراسلوا محمود يستدعونه (١٢٧) . ويبدو أن اساءة ابن ملهم السيرة مع الأهالى هو الذى دفع الى مراسلة محمود (١٢٨) . وقيل بل طمع بنو كلاب فى حلب وقدموا عليهم الأمير محمود بن نصر بن صالح لان حلب كانت لأبيه شبل الدولة فسار محمود اليها ببني كلاب ، فى جمادى الأولى سنة ٤٥٢ هـ (١٢٩) فأقام بها سبعة أيام ثم رحل عنها . فطلب الأحداث من مكين الدولة ما لا ينفقه فيهم فرفض . فعصى أحداث حلب عليه وغدروا به ، وأنفذوا الى محمود بن نصر بن صالح فردوه (١٣٠) وفعلوا وصل محمود وتسلم البلد عنوة (١٣١) وذلك فى مستهل جمادى الثانية سنة ٤٥٣ هـ (١٣٢) . فما كان من مكين الدولة ابن ملهم

الا أن انحاز الى القلعة وتحصن بها وانفذ الى مصر رسولا يطلب النجدة (١٣٣) فطلب الخليفة الفاطمي من والى دمشق التوجه الى حلب (١٣٤) فلما علم محمود بذلك غادرها في رجب سنة ٤٥٢ هـ (١٣٥) فما كان من مكين الدولة بن ملهم وأصحابه الا أن نزلوا من القلعة ونهبوا المدينة وقتلوا من وجدوا بها من الأحداث (١٣٦) .

وأخيرا وصل ناصر الدولة الى حلب وأراد أن ينهبها فقبل له « ان أصحاب مكين الدولة قد سبقوك ، ولم يبق لك ولاصحابك الا اسم بلا فائدة » وهذا القول يوضح سوء ظن اهالى حلب بولاتهم لاقدامهم على ابتزاز أموالهم . فطلب ناصر الدولة من اهالى حلب مبلغا من المال فاعتذروا ، فصمم على مقاتلة محمود أولا ، ثم التفرغ لهم والانتقام منهم (١٣٧) .

التقى الفريقان عند الفنيدق ، فهزم ناصر الدولة وأسر في آخر رجب سنة ٤٥٢ هـ (١٣٨) فلما بلغ مكين الدولة ذلك بعث الى أسد الدولة أبو ذؤابة عطية بن صالح بن مرداس ، فتسلم حلب يوما واحدا ، هو الخميس أول شعبان ، ثم تسلمها منه محمود يوم الجمعة الثاني من شعبان ، وهكذا سيطر على حلب ثلاثة من الملوك في ثلاثة أيام متتابة (١٣٩) مما يدل على مدى اضطراب الأمور فيها .

أرسلت مصر جيشا الى حلب لمحاربة محمود بقيادة عمه معز الدولة ثمال فوصلها في ذى الحجة سنة ٤٥٢ هـ (١٤٠) وظلت الخلافات قائمة بين مصر وحلب ، فدخلها محمود بن صالح مرة ثانية في سنة ٤٥٥ هـ وعاد بدون جدوى (١٤١) ، ثم نزلها للمرة الثالثة في سنة ٤٥٧ هـ وخلال حصاره لها، وصل رسول الخليفة

المستنصر الفاطمي ، فسلمه حلب ولقبه (عظيم أمراء العرب عضد الدولة سيف الخلافة ذو الفخرين) (١٤٢) .

وفي عهد محمود هذا بدأت الأطماع التركية السلجوقية تتجه نحو حلب ، فبعد أن استأثر السلاجقة بالنفوذ في العراق عملوا على استعادة ما فقدته الدولة العباسية من البلاد (١٤٣) ففي سنة ٤٦٢ هـ ، ترأس كل من محمود والسلطان الب أرسلان السلجوقي ، واتفقا على « أن يخطب محمود بحلب للامام القائم خليفة بغداد وبعده للسلطان العادل الب أرسلان وبعده لنفسه » (١٤٤) .

وكان هذا في الحقيقة بداية النهاية للنفوذ الفاطمي في حلب ولكن كيف حدث هذا التحول ؟ وكيف أقنع محمود أهالي حلب من الشيعة بالخضوع للسلاجقة والعباسيين السفنيين ؟

لقد جمع محمود أهالي حلب ، وأقنعهم أن الخليفة الفاطمي أصبح يلفظ أنفاسه الأخيرة ، ثم نصحهم بالخضوع للقوة الجديدة أي للسلاجقة السفنيين ، التي ستحتل بلاده سواء رغبوا في ذلك أم لم يرغبوا ، ووضع لهم أن معارضتهم ستكون نتيجة لها غير مرضية ، لاختلافهم مع الفاتحين الجدد في المذهب . « قد ذهبت دولة المصريين وهذه دولة جديدة ومملكة شديدة ونحن تحت خوف منهم وهم يستحلون دماءكم لأجل مذهبكم والرأي أن نقيم الخطبة خوفا من أن يجيئنا وقت لا ينفعنا فيه قول ولا بذل » (١٤٥) .

ولكن رغم هذا بدأت العصبية المذهبية تبرز من جديد فلم يخضع أهل حلب بسرعة لهذا التحول ، ففي أول جمعة : « خرج الخطيب والمؤذن وعليهم شعار العباسيين السفنيين ، وهو السواد ،

فلما رأهم الناس ارتاعوا لذلك فلما ذكر الامام القائم نفروا
وخرجوا من الجامع بغير صلاة « (١٤٦) .

وبدا محمود يستخدم أسلوب الضغط والارهاب ، ففي الجمعة
التالية أمر محمود بعض أصحابه الأتراك بالوقوف على باب الجامع
وقتل كل من يخرج مبتعاً عن الصلاة وسماع الخطبة (١٤٧) ،
فصلى الناس « تحت القهر » (١٤٨) . إلا أن العامة ما لبثت أن
انقضت الحصر من الجامع وقالوا : « هذه حصر على بن أبي
طالب فليجئ أبو بكر بحصر حتى يصلى عليها الناس » (١٤٩)
وكانت هذه الأحداث في يوم الجمعة التاسع عشر من شوال سنة
٤٦٢ هـ (١٥٠) وقيل انه بعد قطع الخطبة للمستنصر من حلب لم
تعد بعد ذلك (١٥١) .

وهكذا اضطر أهل حلب تحت أسلوب الضغط والارهاب
والتخويف الى التخلي عن أهم مبادئهم وخاصة عن المذهب الشيعي
ما أدى الى انحسار النفوذ الفاطمي عن بلدتهم .

ثالثاً : موقف الرملة من النفوذ الفاطمي :

رأينا كيف أصبح بنو الجراح ، مبعث قلق و اضطراب
مستمر مما يهدد النفوذ الفاطمي في بلاد الشام ، ولما كانوا يقيمون
بالقرب من مركز الخلافة الفاطمية بمصر فقد أصبحوا مصدر خطر
كبير عليها . وحاول بنو الجراح الاستقلال عن الخلافة الفاطمية
في أواخر القرن الرابع الهجري ولكن الخليفة الحساكن بأمر الله
سير اليهم حملة بقيادة جيش بن صمصامة استطاعت أن تردهم
الى طاعة الدولة الفاطمية .

وببداية القرن الخامس الهجري عاد بنو الجراح مرة أخرى
للوقوف في وجه الخلافة الفاطمية ، واستخدموا أسلوباً جديداً في

المعارضة . ذلك انه لما نقم الحاكم بأمر الله على آل المغربي بمصر ،
فر الوزير أبو القاسم حسن بن علي بن المغربي الى حسان بن
مفرج بن دغفل بن الجراح أمير طيء بالرملة ، وأغراه بخلع طاعة
الحاكم بأمر الله فزحف حسان الى الرملة واستولى عليها وقتل
واليها من قبل الفاطميين (١٥٢) .

اتفق بنو الجراح سنة ٤٠١ هـ على استدعاء أبي الفتوح
الحسن بن جعفر الحسنی أمير مكة ليبياعوه بالخلافة فأوفدوا اليه
الوزير أبا القاسم بن المغربي ليفريه بالخروج على الحاكم (١٥٣) .
فوافق على ذلك وباعه أهل مكة بالخلافة وتلقب بالراشد بالله
وصعد المنبر وخطب لنفسه (١٥٤) .

قصد أبو الفتوح الرملة فلتقاه أهلها بالترحاب وسلموا عليه
بأمر المؤمنين ونادى في الناس بالأمان والأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر . فلما علم الخليفة الحاكم بذلك عمل على الايقاع بين الحليفين
فمن ناحية أمير مكة كاتب الحاكم ابن عم له كان بينهما تنازع
باستمرار ، فقلده الحرمين ، فلما وصلت تلك الأخبار لأبي الفتوح
خاف خروج الحرمين من يده (١٥٦) . كذلك بعث الحاكم بأمر الله
الى عرب الحجاز بمائة وخمسين ألف دينار (١٥٧) . ثم استمال
الحاكم بنو الجراح بالاموال فانحرفوا عن الامر ، فلما شعر الامر
بذلك رجع الى مكة وطلب من الحاكم بأمر الله أن يعفو عنه فتم لهم
ذلك (١٥٨) ورجع الى مكة حيث أقام الدعوة للحاكم بعد أن كان
قد أقامها لنفسه (١٥٩) . وهكذا أخضع الحاكم الجانبين بأساليبه
الدبلوماسية وباغداقه الاموال (١٦٠) والراجح أن بنو الجراح
تخلوا سريعا عن أمير مكة اذ شعروا بالخطر الذي يهددهم اذا ثبت
نفوذه بينهم فيصبحون حينئذ بين نارين .

ظل بنو الجراح مسيطرين على جنوب بلاد الشام ومعارضين للفاطميين سنتين وخمسة أشهر (١٦١) . ويبدو انه كان للوزير عيسى بن نسطورس يد في اثارة تلك القلاقل على الحاكم (١٦٢) .

وفي سنة ٤٠٤ هـ أرسل الحاكم بأمر الله جيشا الى الرملة بقيادة على بن جعفر بن فلاح وكان لقبه (قطب الدولة) وكان الحاكم قد خدع كاتباً للمفرج وبذل له الأموال الكثيرة حتى دس السم للمفرج فمات ، وضعف أمر حسان بن المفرج وفقد معاقله فاضطر الى أن يلجأ الى الحاكم طالبا عفوه « فعفا عنه وأعطاه أرضه واصطنعه وأعادته الى الشام فظل حسان وبنو الجراح على الولاء للفاطميين حتى وفاة الحاكم » (١٦٣) .

ولم يلبث أن عاود بنو الجراح معارضة الفاطميين ، وتزعّمهم حسان بن المفرج ، وذلك في بداية حكم الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله حوالي سنة ٤١١ هـ (١٦٤) فما كان من الخليفة الظاهر إلا أن ولى منتخب الدولة الدزيرى ، متولى قيسارية ، ولاية فلسطين ، فاشتبك مع حسان الطائى في حروب طويلة (١٦٥) وفي سنة ٤١٥ هـ أخذ حسان مدينة الرملة « ١٦٦ » ، وقيل انه ترجل عند باب المدينة وقبل التراب من بابها الى دار الامارة ثم أحضر القاضى وشيوخ فلسطين وأشهدهم أنه داخل تحت طاعة الدولة الفاطمية « ولا يريد أحدا من أهل البلد بسوء وانما كره مقام الدزيرى فى الرملة .. وذكر سوء ما عمله به وأن ذلك أوجب قتاله وأن البلد لأمير المؤمنين وهو من عبيده يسمع له ويطيع (١٦٧) .. ولكن لم يبت أن فطن الناس الى أساليب الخديعة التى استخدمها حسان فقد حشد الجند ووضع السيف فى الناس ونهب المدينة وأضرم النار فى الدور والخوانيت وسبى النساء والأولاد (١٦٨) .

وأخيراً استنجد حسان بأمراء العرب الموجودين بالشام فى ذلك الوقت سنة ٤١٥ هـ وهم سنان بن عليان وصالح بن مرداس ،

وعقدوا اجتماعا تحالفوا فيه على اجتماع الكلمة وان يكونوا يدا واحدة على الخليفة الظاهر وقسموا البلاد فيما بينهم فاستولى حسان على الرملة حتى الحدود المصرية واستولى أخوه محمود على طبرية وما يتصل بها من السواحل وأخذ سنان بن عليان دمشق وسوادها في حين وضع صالح يده على ما بقى من الشام الى عانه (١٦٩) .

ولم يكتف حسان بن جراح بذلك بل تمادى في جراته أنه كتب الى مصر في رمضان سنة ٤١٥ هـ « بأنه تحت الطاعة فلا يجب ان يشغل السلطان قلبه بأمر الشام وأنه يقوم بأمر فلسطين ويجبى خراجها وينفقه في رجاله ، ودمشق فيها ابن عمه سنان وحلب مردود تدبيرها الى صالح بن مرداس ، وأنه قد كفى السلطان أمر الشام كله فطرد رسوله ولم يكتب له ردا (١٧٠) .

ولكن رغم محاربة الذيرى لحسان في رمضان سنة ٤١٥ هـ عند عسقلان ، فإنه ظل مسيطرا على جنوب الشام (١٧١) . حتى أنه في سنة ٤١٩ هـ كان حسان ما يزال مسيطرا على الرملة ومتغلبا على معظم بلاد الشام ، مما أضعف نفوذ الخليفة الظاهر (١٧٢) .

وفي سنة ٤١٩ هـ توفي سنان بن عليان أمير الكلبين ، ووصل ابن أخيه رافع بن أبي الليل الى الخليفة الظاهر فاصطنعه (١٧٣) . وفي مطلع سنة ٤٢٠ هـ أرسل الخليفة الظاهر جيشا بقيادة الذيرى وضم اليه ابن أخى سنان وولاه زعامة الكلبين لمحاربة حسان بن المفرج الذى أخرج الشام وخلع طاعة الدولة الفاطمية . فاستنجد حسان بصالح بن مرداس . وتلاقى الفريقان عند الأقحوانه على نهر الأردن فقتل صالح بن مرداس وابنه (١٧٤) .

استطاع الدزبرى أن يعيد الهدوء والسكينة الى أرجاء الشام الى أن توفي في جمادى الأولى سنة ٤٣٣ هـ (١٧٥) ، فعادت الأحوال الى ما كانت عليه من الاضطراب والفوضى والخروج على طاعة الفاطميين ، فقد استقل معز الدولة بن صالح الكلابى بحلب ، واستقل حسان بن المفرج الطائى بفلسطين (١٧٦) .

وظل بنو الجراح يثيرون القلاقل والاضطرابات فى الجنوب مما ضاعف من متاعب الخلافة الفاطمية فى بلاد الشام . التى كانت تشعر دائما بمدى الخطر الجاثم بالقرب من جناحها الأيمن ، فكانت باستمرار تبعث الجيوش لاختاد ثورات الطائيين . ولكن هل حقق بنو الجراح نوعا من الحكم المستقر القائم على دعائم قوية ؟ والاجابة بالنفى . وكذلك حال المرداسيين ويرجع سبب عدم استقرار نفوذهما وعدم استمرار استقلالهما عن الخلافة الفاطمية الى أنهم كانوا من الأعراب الذين قال ابن خلدون عنهم « أنهم ما دخلوا بلدا الا أسرع اليه الخراب بينما قيام الملك يحتاج الى حسن تدبير وتقرير أكثر من قوة البطش » (١٧٧) .

وهكذا ظل بنو الجراح فى صراع مع الخلافة الفاطمية ، يشهد ساعدهم اذا ما ضعف جانب الخلافة ، ويضطرون للخضوع للارادة الفاطمية اذا ما قوى جانبها ، الى أن اجتاحت بلادهم السلاجقة السنيون ، كما هو الحال بالنسبة لبقية أرجاء بلاد الشام ، فبدأت المعارضة تتخذ شكلا جديدا .

ذلك أنه فى سنة ٤٦٣ هـ قصد اتسز بن أوق الخوارزمى ، وهو من أمراء السلطان ملكشاه بلاد الشام فجمع الأتراك وزحف الى فلسطين ففتح مدينة الرملة ، وتقدم منها الى مدينة بيت المقدس فحاصرها وكان بها العساكر المصرية ففتحها واستولى على ما يجاورها من المدن عدا عسقلان (١٧٨) .

وهكذا خضع جنوب الشام ، كما خضع وسطه وشماله ،
للسلاجقة السنيين ، وبدأت المعارضة تتخذ لونا جديدا ، فلم يخضع
الأهالى لحكمهم ، وسنرى أن هذا الاضطراب المستمر سيجعل
البلاد تتعرض لعدوان جديد مستفيدا من تلك الحالة المضطربة ،
التي تدل على تفرق الكلمة واختلاف الأهواء والنزعات .

ومجمل القول ، وقف أهالى الشام دائما من الخلافة الفاطمية
موقف المعارضة بدرجات مختلفة ، نتيجة سوء اختيار الدولة
الفاطمية لبعض الولايات فى مدن الشام المختلفة ، وسوء سياسة
بعض هؤلاء الولاة ، الى جانب العصبية المذهبية والقبلية . مما
أدى الى اشتداد نقمة الأهالى على النفوذ الفاطمى فقاموا بحركات
معارضة مختلفة . حتى اذا قدم السلاجقة السنيون وجدوا البلاد
فى حالة من التفكك سمحت لهم بالسيطرة على البلاد وانتزاعها
من القبضة الفاطمية الشيعية .

أما عن موقف الأهالى من الخلافة العباسية ، فلم نقرأ فى أى
مصدر تناول تاريخ تلك الفترة عن أى محاولة بذلها الأهالى لإعلان
طاعتهم للعباسيين ، أو حتى الاستنجاد بهم فى وقت تذرهم على
الخلافة الفاطمية ، كما أننا لم نقرأ عن أية محاولة جادة من قبل
الخلافة العباسية للاستفادة من ذلك الوضع المضطرب فى بلاد
الشام لاسترجاع نفوذها فى تلك البلاد . ولكن كان من المستحيل
أن يحدث ذلك والخلافة العباسية مشغولة القوى بسبب التسلط
البويهى ثم السلجوقى على الدولة .

٢ - مظاهر النفوذ التركي في الشام منذ العصر الفاطمي الى قدوم السلاجقة

برز نفوذ الموالي وخاصة العنصر التركي ، كظاهرة مصاحبة للنفوذ الفاطمي في الشام . وقد امتد هذا النفوذ الى بلاد الشام طوال قرن تقريبا (٣٦٠ هـ - ٤٦٨ هـ) كما حكمها الطولونيون والاخشيديون وكان أحمد بن طولون ومحمد بن طفج الاخشيدي (١٧٩) قد استقلا بحكم مصر والشام مستغلين ضعف الخلافة العباسية ، وأسسوا الدولتين : الطولونية والاخشيديية .

برز نفوذ العنصر التركي في العصر الفاطمي فتولى الأتراك المناصب المختلفة فكان منهم الولاة وقواد الجيش ، بأعداد جمة ، مما كان له أثره الواضح في الحياة السياسية في بلاد الشام أثناء امتداد النفوذ الفاطمي اليها . وخاصة في القرن الخامس الهجري الذي نتاوله بالدراسة والبحث حيث ظهرت فيه شخصيتان بارزتان هما : الدزبري وبدر الجمالي .

وقد يبدو هذا غريبا أن الدولة الفاطمية التي قامت على اكتاف المغاربة ، الذين اعتمد عليهم الفاطميون في جيوشهم ، وخاصة

على الكتاميين الذين كانوا عصب الدولة الفاطمية (١٨٠) ، قد لجأت بعد فترة الى اصطفاء الموالي .

اعتمدت الدولة الفاطمية منذ نشأتها حتى عهد الخليفة المعز لدين الله على تأييد القبائل المغربية ذات البأس والعصبية ، واصطفت زعماءها للمناصب الكبرى ، الى جانب اصطفاء بعض الموالي من الاتراك والصقالبة ، فذكر منهم على سبيل المثال نصير الخادم الصقلبي الذي أرسله الخليفة المعز لدين الله ، سنة ٣٦٤ هـ الى الشام في جند كثير ففتح بيروت (١٨١) ومن هؤلاء الموالي ايضا ريان الخادم والى طرابلس الذي كلفه الخليفة المعز باخماد الاضطرابات التي اثارها المغاربة بزعامة ابي محمود بن جعفر بن فلاح في دمشق ، وبالفعل نجح ريان في تهدئة الامور بدمشق (١٨٢) . ومن هذه الامثلة ايضا افتكين التركي الذي حكم دمشق برضا أهلها الحائقين على الخلافة الفاطمية الشيعية ، بعد أن قطع الخطبة للمعز وخطب للطائع العباسي واستقر حكمه في البلاد (١٨٣) وقد كتب الخليفة المعز اليه مضطرا ، ازاء نفوذه القوي بين الدمشقيين ، ليشكره على اقراره الامن في دمشق ويعترف به نائبا عنه فلم يجبه (١٨٤) . فأراد المعز أن يتوجه الى الشام لمحاربة افتكين الا انه توفي سنة ٣٦٥ هـ (١٨٥) .

يعتبر المؤرخ المقرئى الخليفة العزيز أول الخلفاء الفاطميين ، الذين اعتمدوا على الاتراك ، اذ اتخذ منهم القواد (١٨٦) وقد يرجع ذلك الى أن الخليفة العزيز كان أول الخلفاء الفاطميين الذين توسعوا في سياسة الاعتماد على الموالي من الترك والصقالبة ومن هنا بدأت المنافسة بينهم من جهة وبين الزعماء المغاربة من جهة أخرى (١٨٧) .

في مطلع عهد العزيز كان افتكين التركي متغلبا على دمشق وقد حاول أبوه المعز — كما رأينا — استمالته واصطناعه فلم

تجد معه أية وسيلة ، فلما مات المعز وتولى العزيز ، كاتبه من جديد وحاول أن يستميل أفتكين التركي اليه ويتخذه والياً ، فأساء أفتكين الرد على الخليفة العزيز ولذلك خرج العزيز لقتاله ، ولكن بعد أن لمس العزيز شجاعة أفتكين النادرة اتبع معه سياسة اللين ، ولكن أفتكين اعتذر بأن الوقت قد فات ولا مفر من الحرب بين الجانبين (١٨٨) وبالفعل دارت الحرب من جديد بين الطرفين هزم فيها أفتكين وحليفه القرمطى كما رأينا — وبذل العزيز لمن يأسر أفتكين مائة ألف دينار (١٨٩) . وتم القبض عليه فعفا العزيز عنه ، مما أدى الى اكبار أفتكين للعزيز (١٩٠) . ويفسر (لين بول) تلك المعاملة الحسنة ، بأن العزيز أراد ان يرد جميل أفتكين ، ومعاملته الطيبة لجوهر الصقلى عندما وقع في أسر أفتكين (١٩١) .

وقيل إن أحد وجوه القوم بمصر قال للعزيز : يا مولانا ، لقد استحق هذا الكافر كل عذاب ، والعجب من الاحسان اليه . فلم يرد العزيز عليه جواباً (١٩٢) . وانزل العزيز أفتكين داراً حسنة والبسه تاجاً مرصعاً ، ووصله بالهدايا الكثيرة ، حتى قال : « لقد احتشمت من ركوبى مع مولانا العزيز بالله ونظرى اليه مما غمرنى من فضله واحسانه » فلما بلغ العزيز ذلك قال لعمه حيدرة : « يا عم : احب ان ارى النعم عند الناس ظاهرة ، وارى عليهم الذهب والفضة والجوهر : ولهم الخيل واللباس والضياع والعقار وان يكون ذلك كله من عندى (١٩٣) .

قويت شوكة أفتكين في دولة العزيز « حتى صار له بمصر عسكر على رسم عسكر العراق » (١٩٤) وتجبر على الوزير ابن كلس وامتنع من الركوب اليه ، وأمره العزيز بذلك فرفض ، فلما زادت الهوة اتساعاً دس له ابن كلس السم فمات سنة ٣٦٨ هـ (١٩٥) . فحزن العزيز عليه كثيراً وأمر بحبس الوزير

حوالى أربعين يوما (١٩٦) . ثم رأى العزيز أن الأمور لا تنتظم
الا بآبن كلس فأعادوه الى وزارته وأحسن اليه (١٩٧) . وقد فسر
(أوليرى) اهتمام العزيز بأفتكين التركى وحسن معاملته له بأنه
أراد أن يكون قوة تركية لها من الكفاية العسكرية ما يحطم بها
جناح العنصر البربرى الذى بدأ العزيز ينظر اليه بشيء من الشك ،
ولذلك وضع العزيز الترك والديلم الذين كانوا فى مصر تحت أمره
أفتكين (١٩٨) .

وعندما تغلب قسام التراب على دمشق أرسل العزيز اليه
بعض الجيوش لاعادته الى الطاعة ولكنها لم تجح ، وفى النهاية
أرسل العزيز جيشا بقيادة القائد التركى بلتكين فدخل دمشق فى
المحرم سنة ٣٧٣ هـ (١٩٩) ، وقد ظل بلتكين والياً على دمشق
حتى دخلها بكجور والياً فى سابع رجب سنة ٣٧٣ هـ (٢٠٠) .

ويعتبر حكم بكجور امتدادا لحكم الموالى الأتراك أيضا ، وكان
بكجور غلاما مملوكا لقرغويه أحد غلمان سيف الدولة بن حمدان
صاحب حلب ، وكان قرغويه قد غلب على أمر حلب بعد وفاة
سيف الدولة ومنع ابنه سعد الدولة أبا المعالى منها ، ثم أن قرغويه
أناب بكجور عنه فى حلب فلما قوى أمره حبس مولاة وسيطر على
الحكم حوالى ست سنوات ، حتى قدم أبو المعالى الى حلب ودارت
بينه وبين بكجور محادثات انتهت بانتقال بكجور الى حمص سنة
٣٦٦ هـ (٢٠١) .

اهتم أبو المعالى بالعمران فى حلب بعد تخريب الروم لها ،
وكانت دمشق قد خربت أيضا بسبب قلة الاقوات وغلاء الاسعار
بها فجلا خلق كثير الى حمص استطاعوا بواسطة بكجور أن يؤمنوا
الطرق ويحملوا الغلات الى بقية اهلهم فى دمشق (٢٠٢) ، ثم كاتب
بكجور العزيز بالله ليوليه دمشق فرد عليه بأن (تصير الى بابنة
لنوليك دمشق (٢٠٣)) .

وفي سنة ٣٧٢ هـ حدثت خلافات بين سعد الدولة . أبي المعالي صاحب حلب وبين بكجور فكتب الأخير الى العزيز يسأله انجاز الوعد بولاية دمشق (٢٠٤) .

وحدث أن قام المغاربة بحركة في مصر ترمى الى الخلاص من الوزير ابن كلس بقتله ، فأمر العزيز باستدعاء بلتكين من دمشق (٢٠٥) وكتب العزيز الى بكجور بولاية دمشق ، كما كتب الى بلتكين أن يسلمها اليه فتقاعس بلتكين عن تسليمها (٢٠٦) ولم يزل بلتكين يسوف بسبب تحريض الوزير ابن كلس له بالألا يسلم دمشق الى بكجور ، فلما علم العزيز بذلك كتب الى الوزير يسأله عن السبب فقال : الصواب الا يلى بكجور دمشق ويعصى فيها . فرد العزيز بأنه قد وعده بذلك ، فكرر الوزير النصيح بالا يولى بكجور (٢٠٧) .

أنفذ العزيز رجلا بخلعه لبكجور وكتب الى بلتكين بتسليم دمشق لبكجور فاستجاب بلتكين ، وعاد الى مصر في رجب سنة ٣٧٣ هـ (٢٠٨) فلما دخل بكجور دمشق فطن الى دسائس الوزير ابن كلس فحقد عليه ، وعمل بكجور كل ما في وسعه للانتقام من الوزير ، فكان للوزير ضياع بدمشق يديرها وكيل يهودى فانزع الاملاك من هذا الوكيل ثم قتله (٢١٠) فلما علم الوزير بذلك قال للعزيز : هذا أول عصيان بكجور وسوف ترى ما يكون منه (٢١٠) ودبر مؤامرة لقتل بكجور ولكنه أخفق . وحكم بكجور دمشق حكما تعسفيا ادى الى استنجد أهلها بالخليفة العزيز الذى أدرك خطاه في تولية بكجور التركى (٢١١) .

أراد العزيز الخلاص من بكجور التركى فاستعان بمولى آخر هو منير الخادم وأنفذه الى الشام على رأس جيش في سنة

٣٧٨ هـ (٢١٢) وكانت الظروف حينئذ مواتية ، اذ حدث خلاف بين بكجور وبشاره الاخشيدي والى طبرية فانضم الآخر الى جانب منير الخادم (٢١٣) وكتب العزيز الى نزال والى طرابلس بمساعدة كل من منير وبشارة (٢١٤) وانتهى الامر برحيل بكجور الى الرقة (٢١٥) . ودخل منير دمشق واستقر في ولايتها (٢١٦) والى بكجور هذا تنسب المزرعة التي في ظاهر دمشق ، والتي تعرف بالقصر النكجورى (٢١٧) .

ما سبق يتبين لنا الى اى مدى لمصب الموالى الاتراك والصقالبة دورا فعالا في تاريخ الشام في عهد الخليفة العزيز ، فمثلا في الوقت الذي تغلب فيه بكجور على دمشق نجد أن طبرية كان يتولى امرها بشارة الاخشيدي ، وتولى نزال امر طرابلس هذا الى أن القائد الذي توجه من مصر للقضاء على بكجور كان من الموالى أيضا وهو منير الخادم . فاذا ما أضفنا الى ذلك ولاية وفي الصقلي لعكا ، ورياح على غزه (٢١٨) لتبين لنا مبدئيا مدى تغلب الموالى على الشام في تلك الفترة .

دخل منير الخادم دمشق في رجب سنة ٣٧٨ هـ (٢١٩) فبدأ يتقرب للأهالى عن طريق الاحسان اليهم (٢٢٠) ، ولكن الدسائس أثارت خليفة مصر ضده فأرسل جيشاً كبيراً بقيادة قائد تركى كان له شأن كبير لدى العزيز وهو منجوتكين (٢٢١) .

وفي صفر سنة ٣٨١ هـ ، خرج جيش من مصر بقيادة منجوتكين للزحف الى الشام ، ظل هذا الجيش نحو شهرين ونصف شهر للتدريب الحربى ثم اتجه بعد ذلك الى الشام (٢٢٢) .

طلب الخليفة العزيز من حسان بن المرح بن الجراح صاحب الرملة مساعدة منجوتكين ، كما أرسل الى منجوتكين هدية قيمتها

مائة ألف دينار ، فبلغ ما أنفقه العزيز على منجوتكين خوالى مليون دينار (٢٢٣) وهذا يوضح لنا مدى ما وصل اليه الاتراك المرتزقة من نفوذ في عهد العزيز ، وعندما علم منير بخروج تلك القوات اليه ، بدأ يستعد للحرب .

وصل منجوتكين الى الرملة فلقية بشارة والى طبرية ، ثم راسل منجوتكين نزال والى طرابلس (٢٢٤) وعلم منجوتكين أن اهل دمشق يريدون قتاله مع واليهم منير الخادم ، فجمع النفاطين بالرملة ليسيروا معه الى دمشق لحرقها (٢٢٥) وبدأ نزال يستخدم أسلوب المخادعة ضد منير ، فعندما أصبح على مقربة من دمشق كاتب منير « انى لم اصل الا لاصلاح أمرك » فعلم منير أنه يريد الحيلة عليه والمكر به (٢٢٦) .

وأخيرا اتجه منجوتكين الى طبرية وخرج منير للملاقاة نزال فالتقوا بهرج عفرأ ، فانهزم منير في التاسع عشر من رمضان سنة ٣٨١ هـ (٢٢٧) وقبض منجوتكين على منير وشهر به في الطرقات لعصيانه الخليفة العزيز (٢٢٨) .

وبذلك بدأ منجوتكين حكمه لدمشق وهو استمرار لسيطرة الموالى الاتراك عليها وظلت العلاقات ودية بين الخليفة العزيز وبين منجوتكين حتى وفاة الخليفة . فيروى المقرئى أنه في شهر صفر سنة ٣٨٢ هـ سير العزيز الى منجوتكين خمسين حملا من المال ، وأربعين حملا من الثياب ، وخزانة سلاح ، وخمسمائة غارس (٢٢٩) . وفي ربيع الثانى حمل طائر البريد (٢٣٠) الى الخليفة العزيز خبر فتح منجوتكين لادن حمص وحماه وشيزر ، فوضع الخليفة الطائر في قفص وعليه ثوب دياج ، وطيف بالقفص في شوارع القاهرة والنسقاط (٢٣١) . وفي جمادى الاولى من

نفس السنة قدم طائر آخر يحمل خبر حصار منجوتكين لحلب ،
ومحاولة سعد الدولة صده عنها بواسطة بذل المال والخلع ،
ولكنه رفض ، مما أدى إلى استنجد سعد الدولة بالروم وبحاكم
انطاكية ، فأنزل منجوتكين الهزيمة بهم جميعا ، وقد كلفه ذلك
الكثير مما أدى إلى نقص المؤن والسلاح ، فكتب بعض الناس بذلك
إلى الخليفة العزيز ، وطلب منجوتكين وبعض جنده من الخليفة
العودة إلى دمشق ، وقبل أن يصل رد الكتاب رحل منجوتكين
عائدا إلى دمشق (٢٣٢) . وعندما وصلت هذه الأخبار إلى العزيز
بدأ يستعد للخروج بنفسه إلى الشام ، وأرسل إلى ابن الجراح
خمسين ألف دينار وإلى منجوتكين مائة وخمسين ألف دينار .
(سنة ٣٨٥ هـ) ، ثم خرج في العاشر من رجب (٢٣٣) .

وحمل العزيز العتاد والأموال والذخائر حتى إذا نزل بلبيس
مرض ومات في رمضان سنة ٣٨٦ هـ .

وهكذا توفي العزيز تاركا النفوذ في يد الموالي الاتراك ،
وأصبح المسيطر على الحكم في مصر هو برجوان الخادم الذي أقر
ولاية الشام وعلى رأسهم منجوتكين .

وبعد وفاة العزيز استفحل أمر ابن عمار فكتب برجوان
إلى منجوتكين يصف له اضطراب أحوال مصر ويطلب منه أن يقدم
ليصلح أمورها كرد لجميل العزيز عليه (٢٣٥) وتحيز منجوتكين
للمترك المرتزقة الذين جلبهم العزيز إلى مصر ليوازن بهم نفوذ
الكتامين وغيرهم من القبائل المغربية (٢٣٦) ولذلك تقدم بجيشه
إلى مصر .

ولما علم ابن عمار بذلك ، جمع رؤساء كتامة ، وصنور
منجوتكين بصورة الخارج على طاعة الدولة ، وأنه « جرى مجرى

الفتكين المعزى البويهى « (٢٣٧) واستقدم أرجوان وشكر العضدى واستمالها اليه واستحلفها على مساعدته ومعاوضته ، فاضطرا الى القسم له بذلك (٢٣٨) وأعد ابن عمار جيشا لصد منجوتكين بقيادة أبى تميم سليمان بن فلاح ، ونجح فى الحاق الهزيمة بمنجوتكين فى أوائل سنة ٣٨٧ هـ عند عسقلان وجعل ابن فلاح لمن يأسره عشرة آلاف دينار ومائة (٢٣٩) ثوب فأسره ابن الجراح وحمله الى أبى تميم فسلمه اليه وفاز بالمكافأة ويذكر بعض المؤرخين أن منجوتكين توجه الى ابن فلاح طائعا ، فأكرمه ، وأرسله الى مصر ، فوصلها فى رجب مع الأسرى ورؤوس القتلى ، فأبقى ابن عمار عليه واصطنعه واحسن اليه (٢٤٠) .

كان آخر الولاة من الموالى فى القرن الرابع الهجرى هو بشارة الاخشيدي الذى دخل دمشق فى رجب سنة ٣٨٨ هـ نائبا عن برجوان الخادم المسيطر على سُئون الخليفة الحاكم بأمر الله . الا أن بشارة استخدم القسوة والعنف فى الخلاص من معارضية مما أثار الاضطراب بين اهالى دمشق (٢٤١) وفى مستهل صفر سنة ٣٥٠ هـ أرسل برجوان القائد جيش بن صمصامة الى دمشق فاستدعى اليه بشارة وقرأ عليه « سجلا جاء من الخليفة بولايته بمفرده على دمشق وعزل بشارة » (٢٤٢) .

ثم طلب ابن الصمصامة من بشارة مغادرة المدينة فذكر للرسول أنه ينتظر الجواب على كتب أرسلها الى الخليفة ، فطلب منه السير الى داريا حتى يصله الجواب (٢٤٣) وفعلا رتب بشارة أموره على الرحيل فى الصباح التالى ، ولكن وصله كتاب من الخليفة الحاكم يطلب منه البقاء . وفى ربيع الأول سنة ٣٩٠ هـ وصلت الكتب الى بشارة بعزله عن دمشق وولايته لطبريه (٢٤٤) .

وفي مطلع القرن الخامس تولى حكم دمشق ساتكين التركي
سنة ٤٠٦ هـ وظل في الولاية حتى عزل سنة ٤٠٨ هـ (٢٤٥) .

كان ساتكين هذا ظالماً غشوماً ، فكتب الناس الى الخليفة
الحاكم يشكونه اليه (٢٤٦) ولذلك أرسل الخليفة القائد ابن باروخ
والياً الا أن ساتكين لم يعترف به وظل في الولاية الى سنة ٤٠٨ هـ
حتى وصل الأمير سديد الدولة أبو منصور فتولى الحكم بعده (٢٤٧) .

ومن طريف ما يحكى عن الوالى ساتكين ، وما يوضح ظلمه ،
أنه بنى جسر الحديد تحت قلعة دمشق ، ويوم الفراغ من بنائه
طلب الا يمر احد عليه . فلما أصبح جلس على الباب ينظر اليه
وقد عزم على أن يكون اول من يركب ويعبر عليه واذ بفارس قد
اقبل ومر على الجسر فأنكره وقال : من اين ؟ قال من مصر وناوله
كتاباً من الخليفة الحاكم بعزله (٢٤٨) . فقال بعض الشعراء :

عقد الجسر وقصد حل عراه بيديه
ما درى ان عليه يعبر العزل اليه (٢٤٩)

وفي سنة ٤١٢ هـ تولى أمر دمشق سجتكين الملكى المعروف
بشهاب الدولة ، فظل والياً عليها سنتين وأربعين شهراً
ويومين (٢٥٠) فقد مات في ذى القعدة سنة ٤١٤ هـ (٢٥١) .

ومن أشهر الشخصيات التركية التى برزت في الشام في
القرن الخامس الهجرى وكان لها تأثير كبير في توجيه السياسة
في البلاد ، شخصية الدزبرى ، الذى تولى حكم دمشق وحلب بل
حكم بلاد الشام بأسرها من سنة ٤١٩ هـ الى سنة ٤٣٣ هـ : وقد
أشرنا في الفصل الخاص بدراسة الموقف أهالى الشام من الخلافتين :
الفاطمية والعباسية الى نشأته الاولى في بلاد الترك ووصوله الى

بغداد وشراء القائد تزبر بن أوينم الديلمي له ، ثم أهدائه للحاكم بأمر الله واشتهاره باليقظة والذكاء . كما أشرنا الى تدرجه في المناصب ، فبعد أن كان تابعا لوالى دمشق سيد الدولة ذى الكفایتين سنة ٤٠٦ هـ ، أصبح والياً على بعلبك ، ثم على قيسارية ، ثم تولى حكم فلسطين سنة ٤١٤ هـ وأشرنا أيضا الى الدور الكبير الذى قام به فيها والذى أقلق به بنى الجراح . ثم أشرنا الى توجهه على رأس جيش والياً على دمشق فى عهد الخليفة الظاهر فى ذى القعدة سنة ٤١٩ هـ (٢٥٢) . وكانت قبضة الفاطميين قد بدأت تضعف على سوريا فقام الدزبرى بحركتين مهمتين لتوطيد نفوذ الفاطميين مرة أخرى ، فكانت الأولى ضد صالح بن مرداس انتهت بقتله (٢٥٣) أما الثانية فكانت ضد بنى الجراح وانتهت بفرار حسن بن مفرج واحتمائه بالروم (٢٥٤) .

وهكذا كان للدزبرى اليد الطولى فى إعادة السكينة والأمن الى بلاد الشام ، ولذا طالت مدة حكمه حتى سنة ٤٣٣ هـ . ولكن حدثت أحداث جعلت نهايته مؤسفة ، فقد كان الوزير الجرجراى يحسده ويبغضه ، وحدث أن قدمت جماعة من الجند الى مصر لقضاء بعض حاجاتهم فحرضهم الجرجراى على الوثوب بالدزبرى وتحريض بقية الجند بدمشق (٢٥٥) .

وفى سنة ٤٣٣ هـ سار الدزبرى من دمشق الى حلب ودخلها فى آخر ربيع الثانى فقد بلغه وصول سجل من مصر الى دمشق من الخليفة قرىء على المنبر وجاء فيه : « أما بعد فإنه قد علم الحاضر والبادى والموالف والمعادى حال أنوشتكين الدزبرى الخائن وأنه كان مملوكا لدزبر بن أوينم الحاكم وأهداه الى أمير المؤمنين حاكم بأمر الله فنقله الى المراتب الى أن انتهى أمره الى ما انتهى اليه ، فلما تغيرت نيته سلبه الله تعالى نعمته لقوله تعالى « ان الله

لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » فشق ذلك عليه ورفض العودة الى دمشق بعد أن كان عازما على ذلك « (٢٥٦) .

فهل هرب الدزبري حقا من دمشق كما ذكر ابن عساكر ؟
أو انه هو الذي قرر عدم العودة اليها والبقاء في حلب ؟

ونحن نرجح أن الدزبري بعد فساد العلاقات بينه وبين الجرجرائي اضطر الى الهرب من دمشق مخافة الدسائس وقد اتجه الى حماة فعمصاه اهلها ، فاتجه الى حلب على أن يعود الى دمشق حينما تسنح الظروف (٢٥٧) ولكن وصول سجل الخليفة اليه يصفه بالعاصي والناكر للجميل وانه : « مثل شاة عطشانة ولهانة ضائعة جائعة نزلت في مرج أفيع غزير مأؤه كثير مرعاه فشربت ماء واكلت عشباً فرويت بعد ظمائها وشبعت بعد جوعها واستحسنفت بعد قبحها — فلما تكامل حسنها ذبحت .. » كما اتهمه الخليفة أيضا باغتصاب الأموال فقال : « انتهى الى أمير المؤمنين افتخارك بجمع الاموال واكتنازك لها » (٢٥٨) .

ويبدو أن الدزبري بعد أن توطدت سلطته في البلاد بدا يستغل نفوذه مما عاد بالضرر على مصالح البلاد ، ولذا رد على كتاب الخليفة اليه معتذرا له عما بدر منه ، وزعم أن كل انسان عرضة للخطأ (٢٥٩) ثم ذكر أن مسيره الى حلب لا ينجيه من مصيره المحتوم فقال : « وليس مسير العبد الى حلب ينجيه من سطوات مواليه لقوله تعالى : (يدركم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) (٢٦٠) ثم اعتذر للخليفة عن جمعه للأموال بتغلب غريزة حب السيطرة عليه لانه من أبناء آدم فقال : « اما مارقى (٢٦١) الى الحضرة المطهرة عن العبد في كثرة الاموال وجمعها فذلك طباع ولد آدم في حب اللجين والعسجد » .

اتجه الدزيرى الى قلعة حلب حيث أصيب بحمى مات على
أثرها فى جمادى الأولى سنة ٤٣٣ هـ (٢٦٢) .

ولكن اذا تجاوزنا عن أخطاء حكم الدزيرى نقول عنه أنه
كان من الشخصيات القوية التى استطاعت بعديلها وصرامتها
وحسن السيرة أن تقوم بشئون الولاية خير قيام ، وكان له مكانة
خاصة لدى الخليفة الظاهر ثم لدى الخليفة المستنصر فيقول
أبو المحاسن عنه : « كان خصيصا عند المستنصر يندبسه فى
المهمات » (٢٦٣) . امتد حكمه من دمشق الى حلب ، واستطاع
أن يبسط نفوذه عليها حوالى أربع سنوات (٤٢٩ — ٤٣٣ هـ —
١٠٣٧ — ١٠٤١ م) فأوقف الزحف البيزنطى والنفوذ المرداسى
إلا أن موته سمح للمرداسيين أن يستوطنوها من جديد (٢٦٤) ،
كما عادت الفوضى الى بلاد الشام (٢٦٥) .

ومن الذين تولوا حكم الشام أيضا فى عهد الخليفة المستنصر
طارق الصقلبى الذى تولى فى رجب سنة ٤٤٠ هـ (٢٦٦) ولكن
حكم طارق لم يدم طويلا فى دمشق بل استمر نحو سنة ثم تولى
حكم حلب (٢٦٧) .

وفى سنة ٤٤١ هـ قدم الأمير رفق المستنصرى الى دمشق واليا
عليها ، حتى جاءته الأوامر من مصر بالمسير الى حلب لأمر « اقتضته
الآراء المستنصرية من صرفه عنها » أى أنه لم يحكم سوى أيام
معدودة (٢٦٨) . كذلك تولى الأمير سكتكين المستنصرى ولاية
دمشق فى ذى الحجة سنة ٤٥٢ هـ وأرسل له الخليفة الخلع
الكثيرة (٢٦٩) فظل فى ولايتها الى أن توفى فى ربيع الثانى سنة
٤٥٣ (٢٧٠) .

أما آخر الولاية الموالي الذين كان لهم دور بارز في الحياة السياسية لبلاد الشام في القرن الخامس الهجري فهو ، بدر الجمالي أو بدر المستنصري . فقد قام بتسيير دفعة الأمور في الشام بل في مصر أيضا . فقد تولى أمر دمشق في عهد المستنصر الفاطمي في ربيع الآخر سنة ٤٥٥ هـ . وفي مطلع ولايته كانت أحوال دمشق غليظة في السوء ، والأهالي في حالة تضرع ، كما سبق أن رأينا — مما أدى إلى احتكاكات بينه وبينهم اضطر بعدها إلى مغادرة دمشق ، وهنا اختلفت الآراء حول انتهاء ولايته الأولى ، فالبعض يذكر أنه اضطر إلى الهرب من البلد في منتصف رجب سنة ٤٥٦ هـ (٢٧١) في حين يذكر مؤرخ آخر أنه « انفصل بعد عام » (٢٧٢) من الولاية وقد يفهم من ذلك أنه قد أصدر أمر بعزله ، ولكننا نرى أن هذا لم يحدث ، إذ أنه عندما غادر دمشق ندب لولايتها الأمير حصن الدولة حيدرة ابن منزو بن النعمان الكتامي (٢٧٣) في رمضان سنة ٤٥٦ هـ ثم اقتضى أمر الخليفة المستنصر بصرفه عنها ، فوليا شهاب الدولة دري المستنصري في آخر ذي القعدة سنة ٤٥٦ هـ . إلا أن هذا الوالي الأخير لم يستمر سوى فترة محدودة وصرف عن دمشق إلى الرملة .

وفي جمادى الأولى سنة ٤٥٨ هـ أعيد بدر الأرمني إلى حكم دمشق ، بل حكم بلاد الشام كلها فقدم إلى دمشق في شعبان (٢٧٤) فظل مقيما بها إلى أن ثارت الخلافات من جديد بينه وبين أهل دمشق وجندها ، ويبدو أنهم سئموا حكم الموالي التابعين للخلافة الفاطمية التي كانوا حائقين عليها أيضا ، واشتبك بدر مع الأهالي في جمادى الأولى سنة ٤٦٠ هـ وغادرها في رمضان سنة ٤٦٠ هـ (٢٧٥) ، وبذلك انتهت ولايته الثانية لدمشق .

كان بدر أرمنى الجنس وقد اشتراه جمال الدولة ابن عمار
رباه ودفعه الى الامام (٢٧٦) وكان بدر شديد البطش ، على
لهمة ، عظيم الهيبة (٢٧٧) ، مما ساعده على التدرج فى المناصب
سرعة فتولى حكم دمشق مرتين كما مر بنا ، وفى المرة الثانية ثار
عليه أهل دمشق وجنودها فغادرها واستقر بثمر عكا (٢٧٨) وكان
بدر الأرمنى مكانة عظيمة عند الخليفة المستنصر فتضع فى رسالة
المستنصر بالله الى على بن محمد الصليحي باليمن (٢٧٩) .

وزادت ثقة الخليفة المستنصر فى بدر الجمالى حتى انه اعتمد
عليه عندما ساءت احوال مصر الاقتصادية فى آخر عهد المستنصر
وقد وصف ابن الصيرفى هذه الشدة فقال : « فسدت الامور
بالحضرة — بمصر — وتبعثرت طوائف العساكر وتخربت » .
واصبح الوزراء يقنعون بالاسم دون الامر والنهى ، والرخاء قد ايس
منه ، والصالح لا يطمع فيه .. والطرق قد انقطعت برا وبحرا
الا بالخفارة الثقيلة والكلفة الكبيرة .. » (٢٨٠) وهذا النص الموجز
هو فى الواقع صورة رقيقة وشاملة لاحوال مصر السيئة آخر عهد
المستنصر . ولذا رأى الخليفة ، استدعاء بدر من عكا ، فقدم الى
مصر فى ربيع الثانى سنة ٤٦٦ هـ (٢٨١) مصطحبا معه القسوات
السورية القوية وكان يطلق عليها اسم (الشرقيين) (٢٨٢) .

نجح بدر فى ان يصلح احوال مصر ، ورتب الدواوين
الحكومية وتوجه لحرب لواته واسترد ما كان بأيديهم من البلاد ثم
فتح مدن الصعيد (٢٨٣) وفى ظل حكم بدر القوى العادل الخير ،

تمتع الفلاحون في مصر بالأمان والرخاء مما لم يعرفوه منذ سنوات عديدة . ونتيجة تنظيم بدر الضرائب حوالى سنة ٤٨١ هـ سنة ١٠٩٠ م ارتفع الدخل المصرى السورى من المعدل العادى وهو مليوناً دينار الى حوالى اكثر من ثلاثة ملايين (٢٨٤) دينار مما يدل على كفاءة بدر . وقد توفى بدر فى ذى الحجة سنة ٤٨٨ هـ (٢٨٥) .

وهكذا يتبين لنا دور الموالى ، وخاصة الاتراك ، فى الحياة السياسية فى بلاد الشام فى القرن الخامس الهجرى ، مما اُضيف عاملاً جديداً الى العوامل الأخرى التى أدت الى اضطراب الأحوال السياسية فى بلاد الشام فى القرن الخامس الهجرى .

٣ - العلاقات البيزنطية الشامية في القرن الخامس حتى قدوم السلاجقة

أثرت الدولة البيزنطية في تاريخ بلاد الشام تأثيرا واضحا عبر التاريخ ، ونحن في هذا الفصل ندرس العلاقات بين الدولة البيزنطية وبلاد الشام في القرن الخامس ، باعتبارها من أبرز العوامل التي أثرت في الحياة السياسية في بلاد الشام في هذا القرن . واختلفت هذه العلاقات في فترة النفوذ الفاطمي عنها في فترة النفوذ السلجوقي في بلاد الشام .

شهد مطلع القرن الخامس الهجري هدنة عقدت بين الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله وهو صاحب النفوذ الفعلي في بلاد الشام في ذلك الوقت ، وبين الامبراطور البيزنطي باسيل . فقد ذكر المؤرخ (نازيليف) أنه « في مطلع القرن الحادي عشر الميلادي ١٠٠١ م عقدت معاهدة سلمية بين الامبراطور البيزنطي باسيل والخليفة الفاطمي الحاكم . كما ذكر أنه لم يحدث خلال بقية حكم باسيل اصطدامات ذات شأن مع العرب في المشرق ، وفي نفس الوقت حررت حلب نفسها من ولائها للامبراطورية البيزنطية (٢٨٦) .

وما ذكره (نازيليف) يوضح طبيعة العلاقات التي كانت قائمة بين بلاد الشام من ناحية والامبراطورية البيزنطية من

ناحية أخرى ، والتي اتخذت شكل صراع وصدام مستمر ، كما يوحى أيضا بأن حلب كانت شبه تابعة لبيزنطة في القرن الرابع الهجرى . ولذلك فحتى نقف على طبيعة العلاقات بين الدولة البيزنطية وبلاد الشام في القرن الخامس تجدر بنا العودة الى الخلف قليلا ، للتعرف على طبيعة تلك العلاقات في أواخر القرن الرابع الهجرى ، فالفترتان متداخلتان ولا يمكن الفصل بينهما .

وقبل أن نستطرد في ذكر تلك العلاقات ، لا بد لنا أن نقف على حقيقة مهمة وهى أن أهل الشام كانوا باستمرار مرابطين للجهاد في سبيل الله (٢٨٧) ولقد كان للفير للجهاد ترتيبات خاصة فصلها لنا ابن العديم (٢٨٨) .

مر بنا لمحة عن تلك العلاقات في عهد سيف الدولة الحمدانى وبداية عهد ابنه سعد الدولة ، وقد رأينا كيف كانت تلك العلاقات في مد وجزر مستمرين .

وفي سنة ٣٥٨ هـ استولى نقفور ملك الروم على طرابلس ، وأحرق كثيرا من أجزائها وقتل خلقا كثيرا ، ثم استولى على نحو ثمان عشرة مدينة من مدن الساحل الى جانب كثير من القرى ، واعتنق بعض أهالى تلك البلاد المسيحية (٢٨٩) ، مما يوضح مدى خطر الروم حينئذ ، كما حدث في حمص نفس ما حدث في طرابلس (٢٩٠) .

وفي بداية سنة ٣٥٩ هـ استولى الروم على انطاكية (٢٩١) ثم اتجه الروم نحو حلب وكان قد تغلب عليها قرعويه غلام سيف الدولة (٢٩٢) وانتهى الأمر بينهم الى عقد المعاهدة التى أصبحت حلب بمقتضاها تابعة لبيزنطة (٢٩٣) . — كما مر بنا — وقد حقق قرعويه للروم جميع مطالبهم وأطماعهم فعادوا الى بلادهم ومعهم رهائن من أهل حلب ، ولم يحرز الروم هذه الانتصارات الا نتيجة

وقوع الخلاف بين المسلمين (٢٩٤) وما لبث أن عاد المسلمون إلى حلب (٢٩٥) .

وفي نفس السنة أي سنة ٣٥٩ هـ توفي نقفور امبراطور الروم الذي لم يكن ينتمى إلى البيت المالكي (٢٩٦) وكان لنقفور مكانة سامية بين الروم واستطاع أن يثير الرعب في شمال العالم الاسلامي سنوات طويلة وأن يحرم الاهالي من غلات اراضيهم ومن الامن والهدوء ايضا (٢٩٧) حتى أن المؤرخ اليوناني (ليو الشماسي) الذي عاصر تلك الاحداث « يذهب إلى أنه لو لم يلق نقفور مصرعه لاستطاع أن يمد أطراف دولتهم إلى الهند شرقا وإلى تخوم الأرض غربا » (٢٩٨) .

وبعد فتح الفاطميين للشام ، بدأ جعفر بن فلاح يعمل على توطيد نفوذهم باستعادة تلك المناطق الشمالية من قبضة الروم ، فابتدأ بأنطاكية فأرسل إليها (ربيع الأول سنة ٣٦٠ هـ) جيشا بقيادة غلامه فتوح (٢٩٩) . وكان الشتاء قارسا فقام الجند مشقة عظيمة من البرد ، حتى إذا بدأ الربيع ، وقاتلوا أهل أنطاكية أشد قتال فلم يبلغوا منها مأربا (٣٠٠) نتيجة جهود دوقها ميخائيل بوجرس ، الذي قام بترميم حصونها وجعلها صالحة للدفاع (٣٠١) وقد أدت جهوده هذه إلى أن أسر الروم أكثر من عشرين ألف أسير من المسلمين (٣٠٢) ولما علم ابن فلاح بزحف القرامطة بعث إلى غلامه فتوح يأمره بالرحيل عن أنطاكية واللاحق به ، فوافاه في أول رمضان سنة ٣٦١ هـ (٣٠٣) .

واستمرت العلاقات بين بيزنطة والشام على هذا المثل حتى رمضان سنة ٣٦٢ هـ حين أغار قائد القوات البيزنطية في الشرق واسمه (مليح) على أعالي الفرات ، ثم التقى بغلام أبي الهيجاء بن حمدان عند آمد ، ودارت حرب بين الجانبين انتهت بهزيمة مليح وأسرته (٣٠٤) . ورغم أن هذا الدمشق لقي معاملة

طبية في بغداد اثناء حبسه ، الا انه مرض حتى سنة ٣٦٣ هـ وقضى
نحبه .

وكان لهزيمة الدمنق هذه ، الى جانب ظهور القوة الفاطمية
في مصر والشام ، — وخاصة بعد هزيمة القرامطة ، اثره في تفكير
الامبراطور البيزنطى في العمل على المحافظة على امبراطوريته من
هذه الاخطار (٣٠٥) .

وكان الامبراطور الجديد الذى خلف نقفور فوقاس في عرش
القسطنطينية هو الامبراطور حنا شمشقيق (زمسكيس) (٣٠٦)
وهو اول من فكر تفكيرا صليبيا في استرداد بيت المقدس .

وكان لشهرة بيت المقدس بأنها مدينة مقدسة يقصدها
الملايين من الحجاج المسيحيين ، واقامة عدد كبير من الحجاج
الاتقياء فيها ، اثره في تطلع المسيحيين من سائر انحاء البلاد اليها ،
وكانت بيت المقدس تخضع حينئذ للفاطمين ، ولذا رأى —
الامبراطور زمسكيس المشهور بالتقوى ان يعمل لتخليص هذه
المدينة المقدسة من الحكم الفاطمى . ويقال : ان هذه الافكار لم تكن
جديدة ، بل ان زمسكيس نهج فيها نهج سلفه الامبراطور نقفور
فوكاس (٣٠٧) .

ولكن زمسكيس ظل يتحين الفرصة المناسبة لتحقيق هذا
الامل الكبير ، ثم بدأت محاولات تمهيدية قبل ان يخرج زمسكيس
بتلك الحملة الكبيرة سنة ٣٦٤ هـ . وحدث في ذى الحجة سنة
٣٦٣ هـ ان هلك رسول ملك الروم فبعث الخليفة المعز الجثمان في
تابوت الى بلده ، ولكن السلام لم يستمر طويلا وتواترت الاخبار
في سنة ٣٦٣ هـ حول تقدم الروم الى انطاكية (٣٠٨) وبالفعل تم
في نفس السنة استيلاء الدوقس على انطاكية . وواجه الفاطميون
الروم فتقدم ابو محمود ، والى دمشق الفاطمى ، سنة ٣٦٤ هـ

للقاء الدوقس ولكن لحقت الهزيمة به (٣٠٩) مما شجع زمسكيس على التوجه لقتال والي الخليفة المعز على طرابلس ، ولكنه هزم وفقد غنائه وأسر كثير من رجاله (٣١٠) .

وكان لتغلب أفتكين التركي على دمشق وإعلانه العصيان على علي الخلافة الفاطمية خير م مهد للامبراطور حنا زمسكيس ليحقق أطماعه الصليبية (٣١١) . ومن الطبيعي ألا تخفى استعدادات زمسكيس على المسلمين ، ويتضح ذلك في مظاهر الضغط على الخليفة المباسي المطيع واتهامه بالضعف والعجز ، كما أن الغرب لم يجهل أمر تلك الاستعدادات إذ عمل البنادقة على تأييدها وتشجيعها ، وكان البنادقة موالين للامبراطور البيزنطي (٣١٢) .

وفي ربيع سنة ٣٦٤ هـ (سنة ٩٧٥ م) زحف حنا الشمشقيق على الشام ، فغادر أنطاكية مخترقا نهر العاص الى حمص (٣١٣) ، ثم الى بعلبك حيث هزم أهلها وسلبهم أموالهم وأحرق القرى المجاورة (٣١٤) وأخيرا توجه الامبراطور الى دمشق وكان بها أفتكين ، فخرجت اليه جماعة من أهالي دمشق برئاسة ابن الزيات فخطبوا الامبراطور في الهدنة ، فطلب منهم مالا لينصرف عن بلدتهم (٣١٥) وأدرك أفتكين أنه عاجز عن قتال جيوش الروم ، ورأى أن يلجأ الى الحيلة والدهاء ، فالتقى بالامبراطور وأهدى اليه كل ما كان قد حمله معه من بغداد ، ثم أعلمه أن البلدة قد أخرجها المغاربة وليس فيها غير حاملي السلاح ولا مال فيها ، فقال الامبراطور له : « ما جئنا لنأخذ مالا وإنما جئنا لنأخذ الديار بأسياقنا ، وقد جئنا بهدية ، وقد أجبناك الى ما طلبت ، وغرضنا فيما نأخذه من المال أن يقال بلد ملكناه فأخذنا هديته » (٣١٦) فرد أفتكين بأنه لم يستقر في البلدة سوى أيام قليلة (٣١٧) وذكر أن من يمنعه عن أخذ المال هو ابن الماورد ، فقبض الامبراطور عليه ثم تم الاتفاق بين الجانبين على أن يجمع أفتكين المال ليعطيه الى الروم مقابل توقيع الهدنة ، وبالفعل

جمع أفتكين ثلاثين ألف دينار متبعا وسائل العنف (٣١٨) فأخذ
الامبراطور جزءا منها وترك الباقي لأفتكين وعاهده وهادنه . فأبدي
أهل دمشق اعجابهم بحسن سياسة أفتكين (٣١٩) .

اتجهت الجيوش البيزنطية من دمشق الى طبرية حيث اتخذ
الزحف البيزنطي طابعا صديبيا واضحا ، ويبدو ذلك واضحا في
الرسالة التي بعثها الامبراطور حنا الى ملك أرمينيا آشوت الثالث ،
والتي حوت عبارات تثير العاطفة الدينية ، وتحدث عن زحف جنده
نحو الأرض المقدسة التي شهدت مولد المسيح ، والتي دفن فيها ،
مما يوضح الروح الصليبية التي اتصفت بها تلك الحملة (٣٢٠) .
ثم اتجه زمسكيس الى الناصرة فعفا عنها احتراماً واجلالاً ، وتسلق
جبل الطابور تيمنا وتضرعا ، وتقبل هنالك عرض أهالي القدس
والرملة وعكا بالدخول في الطاعة ، وأرسل اليها قادة عسكريين
يقيمون فيها (٣٢١) ولكن رغم ذلك لم تدخل جيوشه بيت المقدس .

ومن خطاب زمسكيس لآشوت الثالث ملك أرمينيا نفهم أنه
قبل وصوله لأورشليم وجه حنا زمسكيس قواته نحو الشمال على
طول الساحل (٣٢٢) . وقبل أن نتتبع خطواته على الساحل نحاول
أن نبرز بعض عبارات الخطاب التي تحوى كثيرا من المبالغيات
ومنها :

« لو أن الأفريقيين الوثنيين - يقصد الفاطميين - كانوا غير
مختبئين في القلاع الموجودة على ساحل البحر المتوسط ، لتيسر
لنا بعون الله دخول أورشليم ، المدينة المقدسة ، ولصلينا في ذلك
المكان المقدس ، . . . اليوم كل فينيقيا وفلسطين وسوريا أخطيت من
المسلمين واعترفت بالنفوذ البيزنطي الاغريقي » (٣٢٣) .

ولما كانت قوات الفاطميين قد التجأت الى مدن الساحل فقد
رأى الامبراطور أنه من الحكمة العسكرية أن يتجه نحو الساحل قبل

التوغل فى الجنوب (٣٢٤) فسار الامبراطور على طريق الساحل ، فنزل على صيدا وخرج اليه أبو الفتح بن الشيخ ومعه شيوخ المدينة فتفاوضوا معه واتفقوا على أموال يؤدونها للامبراطور مقابل انصرافه عن مدينتهم (٣٢٥) ثم اتجه الروم الى بيروت وكان بها نصير الخادم نائبا عن الخليفة المعز ومعه سبعمائة رجل من المغاربة ، فلما رأوا كثرة جند الروم أدركوا أنه لا طاقة لهم بقتالهم ، فكتب الامبراطور اليهم : « انى لا أحب خراب بلدكم ولا أريد قتالكم وانما أريد أن تسلموا الى هذا الخادم ومن معه وأعين عليكم من قبلى من يدفع عنكم من يطمع فيكم » (٣٢٦) فوجد الخادم ومن معه فى هذا العرض نجاة لهم ونزل اليه الخادم هو ومن معه ، ونسلم الامبراطور البلدة وولى عليها حاكما يمثله (٣٢٧) ثم توجه الامبراطور الى جبيل فاعتصم أهلها فاستولى على الثغر عنوة وأعمل النهب والسبى (٣٢٨) وأخيرا تقدم الامبراطور الى طرابلس وكان بها ريان الخادم ومعه عدد كبير من المغاربة ، فقاتلوه أشد قتال (٣٢٩) وبعد فترة قرر الامبراطور مغادرة طرابلس وذلك لئلا موقعة اذ أنزلت حامية المدينة بمعاونة الأسطول الفاطمى الهزيمة بالجيوش البيزنطية فعبر حنا الشمشقيق عن غضبه باتلاف الضياع المحيطة بها وتدمير بساتين الكروم والزيتون (٣٣٠) .

وهكذا خضع معظم الساحل الفينيقي والسورى ، من الرملة حتى أطراف أنطاكية للامبراطور ، ثم استولى الامبراطور فى طريق عودته على حصن صهيون وحصن برزوية (٣٣١) .

وهنا اكتفى الامبراطور حنا بهذا القدر من الانتصارات وبدأ العودة الى عاصمته . وربما كان دافعه الى ذلك قلة امداداته والخوف من انقطاعها عنه لو اتجه الى بيت المقدس بجنده الذين أرهقتهم تلك الحروب المتواصلة ، كما أن طرابلس لم تخضع له بعد ، وقد تآتى اليها الامدادات الفاطمية فتزداد المقاومة ضئند الامبراطور

وجنوده . ولذا قرر الامبراطور العودة الى بلاده وكان أقصى حد وصل اليه في بلاد الشام جنوبا هو مرج ابن عامر ، وفي أثناء عودته دس له السم فمرض مرضا شديدا فرحل الى أنطاكية (٣٣٢) .

وصل الامبراطور الى أنطاكية وطالب أهلها بتسليم المدينة اليه ، فلم يجيبوه الى ذلك ، فقطع ما كان في بساتينها من شجر التين ، ثم اضطره المرض الذي أصابه الى أن يستخلف البرجي البطريق على حصار أنطاكية ثم توجه الى القسطنطينية ، وتوفي الامبراطور بعد فتح البرجي لأنطاكية سنة ٣٦٥ هـ (٣٣٣) . واستقر الملك بعده لبسيل وقسطنطين ابني رومانوس فانفرد بسيل بتدبير المملكة لأنه أكبر سنا (٣٣٤) .

وقبل أن تنتقل الى مرحلة أخرى من مراحل ذلك الصراع نود أن نقيم تلك الحملة الصليبية التي قام بها حنا زمسكيس - الشمشقيق ، فنتساءل : الى أي مدى حققت الحملة أغراضها ؟

قامت هذه الحملة وكان اتجاهها الأول والأخير هو السيطرة على بيت المقدس ، تلك المدينة المقدسة ، فأراد زمسكيس انتزاعها من المسلمين . ولكنه كما رأينا حاول أن يؤمن نفسه من جميع الجهات المحيطة بهذه المدينة باخضاع بعض المدن المهمة في الشام ، والتخلص من المقاومة الفاطمية بها ، فنجح أحيانا وأخفق أحيانا أخرى ، فقد رأينا كيف أخضع بيروت وبعليك وصيدا وجبلة ، سواء طوعا أو كرها ، الى جانب بعض الحصون وبعض المناطق الجنوبية ، في حين ظلت مدينة مثل طرابلس صامدة مما كان يشعر الامبراطور بحرج موقفه وصعوبة التقدم الى بيت المقدس ، فقد أصبح الامبراطور يعمل على توطيد سلطانه في جميع مدن الشام قبل الزحف الى بيت المقدس والاستيلاء عليها ، حتى يضمن استقراره فيها ، ولكن المقاومة الفاطمية من جانب والمؤامرة التي دبرت ضده وانتهت بدس السم له من جانب آخر أدى الى اسراعه

بالعودة الى أنطاكية التي أصبحت القاعدة الرئيسية للقوات الحربية البيزنطية في الشرق خلال الجزء الأخير من القرن العاشر الميلادي (٣٣٥) .

وهكذا لم تنجح الحملة في تحقيق هدفها الرئيسي ولم تضاف - رغم نجاحها في أول الأمر ، أى إضافة جديدة من مدن الشام (٣٣٦) ولكن الحملة فتحت أذهان المسيحيين الصليبيين لتحقيق هذا الغرض فيما بعد . وهذا ينفي جزئيا الفكرة السائدة طوال عصر الحروب الصليبية وهي أن الصليبيين الغربيين وحدهم هم أصحاب الفضل في استرداد بيت المقدس من المسلمين ، وليس للبيزنطيين أى فضل سابق في ذلك (٣٣٧) ولكننا نرجح أن الظروف نفسها خلعت الصليبيين بعد حوالي قرن وربع لتحقيق غرضها الصليبي مستفيدين من تلك الحملة الصليبية الأولى التي قام بها زمسكيس ، كما استفادوا أيضا من ضعف الخلافة الفاطمية التي كان لمجهوداتها القوية زمن الامبراطور حنا أثره الفعال في وقف مسعاه وخاصة في فتح ذلك الثغر الحصين ، طرابلس ، فاذا ما تبدلت الأحوال ودب الضعف في أوصال الخلافة الفاطمية ، وبدأت المنافسات بينها وبين الأتراك السلاجقة في الشام ، كان هذا من أكبر العوامل المشجعة على نجاح الحروب الصليبية في تلك المرة ، أى في نهاية القرن الخامس الهجري .

وفي جمادى الأولى سنة ٣٧١ هـ اتجه برداس فوقاس دمستق الشرق (٣٣٨) وزحف نحو حلب فخرّب جامعها وسبى أهلها ثم أحرق المدينة ، فهلك عدد كبير من أهلها ، ووصف ابن حوقل ما حل بالمدينة فقال : « قل من أهل البلد ما في أعادته على وجهه أرماض لمن سمعه ووهن على الاسلام وأهله » (٣٣٩) . فترددت المراسلات بين أهل حلب والروم واستقر الأمر على أن يحمل سعد الدولة الى الروم كل سنة أربعمئة ألف درهم فضة (٣٤٠) . ثم رحل الدمستق عن حلب .

ويبدو أن سعد الدولة حاول أن يوقف ارسال تلك الأموال الى الروم مما جعل برداس الدمشقي يعيد الكرة على حلب مرة أخرى في منتصف ربيع الثاني سنة ٣٧٣ هـ « وقيل انه ضمن لباسيل وقسطنطين ملكي الروم الأخوين أن يفتح حلب وينقض سورها حجرا حجرا » (٣٤١) فالتقى سعد الدولة وجنده به فهزمه وسير جيشه خلفه غازيا حتى بلغت عساكره أنطاكية (٣٤٢) .

وفي سنة ٣٧٥ هـ (٩٨٥ م) حدث صدام جديد بين سعد الدولة أبي الفضائل والبيزنطيين (٣٤٣) واضطر سعد الدولة في نهاية الصدام الى طلب الأمان والموافقة على دفع الجزية مرة أخرى (٣٤٤) وفي نفس السنة سنة ٣٧٥ هـ خلع الملك بردس الفقياس من الدمشقية وجعل دوقس على المشرق وولاية أنطاكية (٣٤٥) . وفي سنة ٣٧٦ هـ جدد بردس الهدنة مع أبي الفضائل بن حمدان على أن يحمل الى الملك في كل سنة أربعمائة ألف درهم فضة (٣٤٦) .

ثم مرت بعض الأحداث بالامبراطور باسيل اضطرته الى طلبه مهادنة الفاطميين (٣٤٧) ويبدو أن تفكير باسيل جاء في الوقت المناسب إذ أن الخليفة الفاطمي العزيز كان قد هيا عدة سفن حربية لغزو الروم ، ثم وردت اشارة بأن رسل الروم وصلت بحرا الى ساحل القدس لتقدم الهدايا للعزيز ثم وصلوا الى مصر يطلبون الصلح فأجابهم العزيز اليه (٣٤٨) .

ولكن تلك الهدنة لم تستمر طويلا فقد كان التأثير البيزنطي واضحا في حلب حتى ذلك الوقت . ولذلك سير الخليفة العزيز غلامه منجوتكين - كما رأينا - واليا على دمشق وطلب منه فتح حلب مما أدى الى اصطدامه بجيوش البيزنطيين الذين استنجد بهم سعد الدولة ، وكان يقودها الدوق البيزنطي ميشيل بورتزيه (٣٤٩) ولكن لحقت بهم الهزيمة ووقع القائد البيزنطي في الأسر ، وتمت

مطارذتهم حتى أنطاكية حيث قتل منهم عدد كبير (٣٥٠) . وبذلك بدأ الصراع الفاطمي الحمداني يتحول الى صراع فاطمي بيزنطي بسبب استنجد ولاية حلب الحمدانيين بالبيزنطيين . والراجع أن الذي شجع العزيز على انتهاج تلك السياسة هو انشغال الامبراطور البيزنطي بحروبه مع البلغار ، ثم رغبة العزيز في توطيد نفوذه في حلب غير منصت في ذلك لنصيحة وزيره يعقوب بن كلس الذي قال له : « سالم الروم ماسالموك ، وأقنع من الحمدانية بالدعوة والسكة » (٣٥١) .

بعد وفاة سعد الدولة سنة ٣٨١ هـ حاول الفاطميون الاستفادة من صغر سن ابنه سعيد الدولة للاستيلاء على حلب فاستنجد سعيد الدولة بالامبراطور باسيل الثاني فكتب اليه « لتأت مسرعا يا باسيل ، ان الصوت الوحيد أو الاشاعة بمجيئك سوف تجبر المصريين على فك الحصار » (٣٥٢) .

وكان الاستنجد في وقت مناسب ، فتقدم باسيل بنفسه تلك المرة ، وكان قد فرغ من حرب البلغار ، ووصل في ربيع الثاني سنة ٣٨٥ هـ في سرعة مذهلة ، يقود قوات كثيفة (٣٥٣) وبلغ عدد الجند حوالي ٤٠,٠٠٠ جندي ، وكان منجوتكين لا يزال محاصرا ابن حمدان منذ شعبان سنة ٣٨٤ هـ حتى ربيع الأول سنة ٣٨٥ هـ (٣٥٤) . ويبدو أن منجوتكين لم يكن يتوقع أن يصل امبراطور الروم بتلك القوات التي لا حصر لها مما جعله ينسحب الى دمشق في سرعة « (٣٥٥) » .

وبوصول الامبراطور باسيل الثاني الى حلب سارع أميرها الى تقديم فروض الولاء والطاعة له (٣٥٦) ، ثم تقدم باسيل فاستولى على شيزر وحمص ورفنية من الحاميات الفاطمية (٣٥٧) واتجه ملك الروم بعد ذلك الى طرابلس فلم يستطع فتحها بأية وسيلة (٣٥٨) .

أفاق الأمير الحمداني من الصدمة ، وأدرك الخليفة الفاطمي خطئه في استمرار النزاع بينهما مما أطمع فيهما أعداؤهما فقررا عقد الصلح بينهما سنة ٣٨٥ هـ ، ثم رأى الخليفة العزيز الخروج بنفسه لقتال الروم حتى اذا وصل الى بلبيس توفي في رمضان سنة ٣٨٦ هـ . فكانت وفاته خاتمة لفصل حافل بالصراع البيزنطي الفاطمي في بلاد الشام .

وبوفاة العزيز وبداية عهد الحاكم تعرضت الامبراطورية البيزنطية لهزيمتين احدهما عند صور بحرا (٣٥٩) ، في حين استطاع يمين الخادم والى غزة وعسقلان أن يقاتل الروم عند فامية وقتل منهم خمسة آلاف (٣٦٠) وقتل قائد الروم نفسه (دميان دولاسيل) وكان ذلك سنة ٣٨٨ هـ (٣٦١) ثم سارت الجيوش الفاطمية الى مرعش فأحرقوا وهدموا بيوتها دون أن يلقوا مقاومة تذكر ، ثم اتجهوا الى أنطاكية فقاتلوا أهلها أياما ، ثم رحلوا عنها الى شيزر (٣٦٢) .

وعندما وصلت تلك الأخبار الى باسيل حزن حزنا شديدا ، وكان حينئذ مشغولا بحرب البلغار ، فحرص على أن يستتب الأمن والسلام في الشام حتى يتفرغ لحربه مع البلغار ، اذ كان يخشى من تدخل الفاطميين في البلاد البيزنطية (٣٦٣) ولذلك طلب عقد هدنة سنة ٣٨٨ هـ ، ولكن ما أحرزته الجيوش الفاطمية بالشام من انتصارات جعلت الحاكم يبعث باجابة غير مرضية ، مما جعل الامبراطور يصمم على الاتجاه بنفسه الى الشام مرة أخرى تاركا القيادة في بلغاريا لنقفور أورانوس (٣٦٤) .

وفي سنة ٣٨٩ هـ وصل الامبراطور باسيل الى الشام فتدخل أنطاكية وبعد موقعة مع الفاطميين عند جسر الحديد (٣٦٥) ثم سار الى شيزر ففتحها بعد أن منح الأمان للمغاربة (٣٦٦) ومن هذا التاريخ

أصبحت شيزر تحت حماية بيزنطة من (٩٩٩ - ١٠٨١ م - ٣٨٩ - ٤٧٤ هـ) (٣٦٧) .

ولم يتخل باسيل في حملته هذه عن سياسة التخريب والتدمير والعنف ، مثلما حدث في حصن عرقة الذي أحرق ودمرت قلعته (٣٦٨) . وأخيرا اتجه باسيل الى طرسوس (٣٦٩) وحاصرها مدة بسيطة وبينما هو يستعد لمتابعة الحرب ضد الفاطميين علم بوفاة داود ملك الكرج ، الذي كان قد أوصى بملكه قبل وفاته لباسيل مما جعله يسارع في السير الى بلاد الكرج حيث أعلن أمراؤها ولاءهم له ، وضم دولة داود الى امبراطوريته (٣٧٠) ، مما أدى الى رجحان كفة باسيل ، وعند عودته الى القسطنطينية (١٠٠٠ م - ٣٩١ هـ) وجد هناك سفارة بعثها الحاكم بأمر الله برئاسة أريسطس

Orestes بطريك بيت المقدس يطلب عقد هدنة لمدة عشر سنوات وذلك سنة ١٠٠١ م وبالفعل تم توقيع الهدنة فبدأ عهد جديد من السلام بين البيزنطيين والفاطميين .

ويوجز (فازيليف) العلاقات البيزنطية الفاطمية في عهد باسيل الثاني (٣٦٦ - ٤١٦ هـ) (٩٧٦ - ١٠٢٥ م) فيقول : « ان ممتلكات الامبراطورية في سوريا كانت مهددة بشدة من خليفة مصر وأن مدينة حلب التابعة لبيزنطة احتلها جيش العدو (الفاطميين) عدة مرات وبظهور باسيل بنفسه في سوريا في أوقات غير متوقعة استطاع أن يحتفظ بنجاح مستمر ، بالتأثير البيزنطي على هذه المناطق ، ولكنه أخفق في احراز أى نصر جديد . » (٣٧٢) .

ونحن نتفق مع الراى القائل بأن جهود باسيل الثانى فى الشام كانت خاتمة للحروب الصليبية التى قام بها البيزنطيون فى القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى) وهى الحرب التى حالت دون

امتداد النفوذ الفاطمي بالشام الى ما وراء أنطاكية مع احتفاظ البيزنطيين بنوع غير واضح من السيادة على اقليم حلب (٣٧٣) .

ومن طريف ما يحكى أن باسيل ملك الروم حج الى القدس متنكرا سنة ٣٩٣ هـ أى بعد عقد الهدنة بسنة واحدة ، وعرف الحاكم بأمر الله بذلك فأرسل اليه رجلا انتظره على باب كنيسة القيامة ومعه رقعة يعرفه أنه قد علم به وأنه قد وهبه نفسه ، فتعجب باسيل لمعرفة الحاكم بذلك ، ثم عاد الامبراطور الى بلاده ولم يعلم به سائر الناس (٣٧٤) .

استمرت الهدنة حتى سنة ٤٠٤ هـ حيث أرسل الحاكم فى تلك السنة هدية عظيمة الى امبراطور الروم مع رسول الامبراطور (٣٧٥) مما يدل على تبادل السفارات بينهما . ويبدو أن سياسة التقاعس التى اتبعتها الدولة البيزنطية فى القرن الحادى عشر الميلادى (الخامس الهجرى) أدت الى تمكين الفاطميين من فرض سيادتهم على حلب سنة ٤٠٦ هـ - ١٠١٥ م (٣٧٦) وبسيطرتهم عليها فى هذه السنة التجأ مرتضى الدولة الى الروم فى أنطاكية ، بعد أن عصاه فتح ، وكاتب الحاكم وأظهر طاعته وخطب باسمه ولقب بمبارك الدولة (٣٧٧) .

ثم ان الحاكم بأمر الله اختلف مع عزيز الدولة فاتك والى حلب ، مما جعل الأخير يضرب السكة باسمه ويدعو لنفسه على المنبر ، فأرسل الحاكم الجيوش لقتاله سنة ٤١١ هـ . فلما علم عزيز الدولة بذلك ، أرسل الى باسيل ملك الروم يستدعيه ليسلم حلب اليه ، فخرج باسيل فلما وصل الى مكان يعرف بمرج الديباج ، علم عزيز الدولة بوفاة الحاكم فأرسل الى باسيل يعلمه أنه قد أنقض ما كان بينهما من الشروط ، وأنه اذا ظهر بالشام كان هو وبنو كلاب ضده (٣٧٨) .

ظلت الأحوال هادئة نسبيا الى سنة ٤١٨ هـ - ١٠٢٧ م حين عقدت معاهدة بين الامبراطور الروماني قسطنطين الثامن والخليفة الظاهر (٣٧٩) . تقرر فيها الخطبة للظاهر ببلاد الروم وافتتاح الجامع في القسطنطينية ونزويده بالحصر والقناديل ومده بمؤذن ، وعند ذلك أذن الظاهر بفتح كنيسة القيامة التي بالقدس (٣٨٠) أى أن العلاقات بدأت تصطبغ بالصبغة الدينية .

ولكن العلاقات سرعان ما عادت عدائية من جديد ففي سنة ١٠٢٨ م - ٤١٩ هـ جهز رومانس الثالث ملك القسطنطينية أسطولا وجهه الى والى أنطاكية لمهاجمة شواطئ سورية ، فأتلف المسلمون كثيرا من سفن هذا الأسطول وثارت الحمية وعاودتهم الشجاعة وعزموا على استرداد المدن التي كانوا قد فقدوها في عهد الأباطرة نيقفور وزمسكيس وباسيل ، وقصدوا تلك المدن فقتلوا حاميتها من الروم حتى وصلوا الى أنطاكية (٣٨١) .

وهناك رأى يذهب الى أنه بعد معركة الاقحوانة ومقتل صالح ابن مرداس ، هرب ابن الجراح الى الأراضى البيزنطية واسترد الفاطميون بعض المدن مثل بعلبك وحمص وصيدا ورفنية (٣٨٢) وحصن بن عكار . واغتنم دوق (قطبان) أنطاكية ، وهو ميخائيل المعروف (بالاسبنديل Spondyle) تلك الفرصة وعزم على الخروج لقتال أميرى حلب ، نصر وثمان وهما ابنا صالح بن مرداس ، دون أن يتلقى أمرا من الامبراطور رومانوس الثالث ، فهاجم حصن قيبار ، من أعمال حلب ، غير أنه تعرض في أكتوبر سنة ١٠٢٩ م سنة ٤٢٠ هـ الى هزيمة ساحقة . وعلى الرغم من عقد الصلح بين أمير حلب وقطبان أنطاكية ، فان الامبراطور البيزنطى قرر القيام بحملة لمهاجمة حلب سنة ١٠٣٠ م - ٤٢١ هـ (٣٨٣) .

يذكر ابن العديم أنه حدث خلاف بين نصر وثمان بن حبل
« فجمع أبو علوان ثمال بن صالح الأعرابي وعزم على منازلة أخيه
نصر ، فسبى نصر إلى ملك الروم أرمانيوس يستدعيه إلى حلب فقدم إلى
الغمام (٣٨٤) . أما الأب لمانس فيذكر رأيا آخر يعلل به سبب
خروج رومان الثالث إلى الشام وهو « أن الحكم التبعي السورى
أوحى له بأن يتبع فكرة زمسكيس وباسيل الثانى » (٣٨٥) . وسواء
صح هذا الرأى أم ذاك فالراجح أن رومان الثالث خرج فى سنة
٤٢١ هـ إلى الشام فى جيش ذكر أن عدده حوالى ثلاثمائة ألف
جندى (٣٨٦) وصحب هذه الحملة ملك البلغار وملك الروس والألمان
والخزر والأرمن والبلجيك والفرنج (٣٨٧) .

كان حسان بن الجراح عندما اتصل به ما عزم عليه ملك الروم
من غزو الشام ، قد أنفذ إليه جماعة من أهله برسالة يقوى بها عزمه
ويعرض عليه المساعدة ، والمشاركة فى جيوشه بأهله وأصحابه كما
أنفذ أيضا إلى نصر وثمان ابني صالح بن مرداس مع آل جراح ابن
عمهما مقلد بن كامل بن مرداس يبذلان مثل ذلك عن نفوسهما
وعشيرتهما (٣٨٨) .

لم يزل الامبراطور رومانس الثالث متقدما حتى اقترب من
حلب فعانى جيشه من قلة الماء ، وكان الزمان صيفا ، كما كان
أصحابه مختلفين عليه ، فكان منهم من يحسده ومنهم من يكرهه (٣٨٩)
فقرر الامبراطور العودة إلى بلاده واعتذر بقوله : « لولا عطش
عسكرى لبلغت مرادى » (٣٩٠) . والراجح أن العطش واختلاف
الرأى تضافرا على صد الامبراطور عن تحقيق رغبته .

وكان أمير حلب لما رأى أن سفارته إلى ملك الروم أخفقت وأن
الامبراطور قد اقترب من حلب ، خرج شبل الدولة نصر فى

تسعمائة وثلاثة وعشرين فارسا ، فحين أشرف على الروم شعروا بالخوف ولحقت بهم الهزيمة في شعبان سنة ٤٢١ هـ (٣٩١) وهرب رومانوس . ولم يبق مع الملك الا القليل من الجند ، وقتل المسلمون من بطارقتهم وغيرهم عددا كبيرا وأسروا بعض أولاد الملوك (٣٩٢) أما البقية الباقية من الروم فقد فرت الى أنطاكية وغنم المسلمون غنائم عديدة (٣٩٣) ولذا ، فإنه على الرغم من أنه في ظل حكم الامبراطور رومان الثالث (١٠٢٨ - ١٠٣٤ م) كانت الشئون السورية قد بدأت تثار من جديد (٣٩٤) الا أن انتصار الأمير المرداسي شبل الدولة ، حقق استقلال حلب (٣٩٥) ولكن أحد القادة البيزنطيين ، وهو (جورج مانباكس Geores manapakes) حاكم سميساط ، نجح في أن يحول دون امتداد نفوذ بنى مرداس الى انطاكية (٣٩٦) .

وفي سنة ٤٢٢ هـ استولى الروم على قلعة أفامية بالشام (٣٩٧) وذلك أن الدزبري لما تولى أمر الشام استردها من المتغلبين عليها عدا حلب التي بقيت بيد بنى مرداس ، ولقى حسان ابن الجراح واخوته الهزيمة أمام الدزبري فها كان من حسان الا أن دخل في طاعة ملك الروم وحمل علما رسم عليه صليب ، وتقدم على رأس جيش كبير الى أفامية وكانت تابعة للدزبري فهزم أهلها وسبى كثيرا منهم فهدد الدزبري الغزاة فخاف نصر بن صالح وتعهد لملك الروم بأداء خمسمائة ألف درهم سنويا (٣٩٩) .

وفي سنة ١٠٣١ - ١٠٣٢ م (٤٢٤ - ٤٢٥ هـ) دارت مفاوضات بين الجانبين : البيزنطي والفاطمي لعقد الصلح واشترط الامبراطور لعقده أن يقبل الفاطميون ثلاثة شروط أساسية وهي أن يعمر الامبراطور كنيسة القيامة ببيت المقدس ويجدها على نفقته ، كما يسمح للنصارى بتعمير جميع الكنائس الخراب في الدولة الفاطمية ، وأن تتولى الحكومة البيزنطية اختيار بطريرك بيت

المقدس (٤٠٠) - وألا يتعرض الخليفة الظاهر لحلب ولا يقوم هو ولا أحد من أنصاره بقتالها أو بالتعرض لها بمكروه ، وأن يتركها تؤدي للامبراطور البيزنطي ما هو مقرر عليها من جزية سنوية . كما تتعهد الحكومة الفاطمية بألا تمد يد المساعدة لأمر صقلية أثناء نشوب القتال بينه وبين البيزنطيين فلا ينجده ولا يقويه (٤٠١)

وتعهد الامبراطور رومانس مقابل ذلك باطلاق الأسرى المسلمين المأسورين في عهده خلال الحروب مقابل تجديد بنساء كنيسة القيامة . كما طلب من الخليفة الظاهر أن يعيد حسان ابن الجراح الى الحكم على نحو ما كان عليه زمن الخليفة الحاكم بأمر الله واشترط عليه حسن الطاعة كما اتفقا على أن يتبادلا حصن شيزر بأفامية لقرب الأخير من بلاد الروم (٤٠٢) .

قبل الخليفة الظاهر الشرطين الأول والثالث ولم يوافق على الشرط الخاص بحلب ، وأعلن أنها من ثغور المسلمين . كما لم ير قبول عودة حسان بن الجراح الى الحكم ولم يرغب في أخذ شيزر مقابل أخذ افامية (٤٠٣) .

وما ان حلت سنة ٤٢٦ هـ حتى وصل الروم الى ولاية حلب فقاتلهم صاحبها شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس فهزمهم وتبعهم الى عزاز (٤٠٤) وظل الجو متوترا بين الجانبين الى بداية عهد الخليفة المستنصر بالله ، ففي سنة ٤٢٧ هـ - ١٠٣٦ م وقعت الهدنة بين الظاهر وبين ميخائيل ملك الروم لمدة عشر سنوات متوالية (٤٠٥) وفي سنة ٤٢٩ هـ هادن الخليفة المستنصر الفاطمي امبراطور الروم ميخائيل الرابع على أن يطلق سراح خمسة آلاف أسير (٤٠٦) وشرط الروم عليه أن يعمر كنيسة القيامة فأرسل اليها الامبراطور من عمرها وأنفق عليها مالا جزيلا (٤٠٧) .

ولكن سرعان ما نقض ملك الروم الهدنة وأغار على مدينتي حلب وأفامية وهزم جند الدزبري المقيم هناك ، فخرج اليه جند

حلب فهزمهم على أرمناز (٤٠٨) وقيل : ان سبب ذلك أن ثمال ابن صالح وعمه المقلد كانا مسيطرين على الرقة فبعثا الى ملك الروم يمال وثياب فطلب منهما ابتياع الرقة كما ابتيعت الرها فضاقت اللزبرى ذرعا وهدد ابن صالح فاعتذر له (٤٠٩) . هذا الى أن جماعة من بنى جعفر بن كلاب دخلوا ولاية فامية فعاثوا فيها فسادا، ونهبوا عدة قرى ، فخرج اليهم جمع من الروم فقاتلوهم وأوقعوا بهم الهزيمة ، وعلم صاحب حلب بذلك فأخرج من حلب من كان بها من تجار الفرنج وأرسل الى المتولى بأنطاكية يأمره بإخراج من عنده من تجار المسلمين ، فأغلظ القول للرسول وأراد قتله ثم أطلق سراحه فأرسل متولى حلب الى اللزبرى ينبئه بالأمور (٤١٠) . فبعث اللزبرى اليهم جندا التقى بالروم فيما بين حماه وفامية فهزمهم المسلمون (٤١١) .

وفى سنة ٤٣٧ هـ انتقضت الهدنة التى عقدها الخليفة الظاهر لأعزاز دين الله مع ملك الروم ، وسعت الرسل فى تجديداتها وكان انتقاضها فى الحقيقة منذ أربع سنوات مضت ، فلما كان الثامن من ذى الحجة وردت هدية ملك الروم من القسطنطينية الى الخليفة الفاطمى بالقاهرة فرد الهدية بهدية أخرى أكثر قيمة (٤١٢) .

وفى سنة ٤٤٠ هـ وصل رسول ملك القسطنطينية الى الخليفة المستنصر يطلب الصلح مع بنى مرداس فأجابه المستنصر الى ذلك (٤١٣) . كما أن الامبراطور البيزنطى مونوماك Monomaque حصل من الحكومة المصرية فى نفس السنة على اذن باعادة بناء كنيسة القيامة (٤١٤) .

أما حلب فكانت أكثر ارتباطا بالبيزنطيين ، وفى سنة ٤٤٣ هـ سار ثمال شيخ الدولة على بن أحمد بن الأيسر ، رسولا الى

القسطنطينية بالمال المقرر عليه في سنة وبهدية ، فشاهدوا من سداده
وكمال مروءته ما أوجب اكرامه عن غيره من الرسل ورفعوا رتبته
وكذلك رتبة كل من مقلد بن كامل وثمان الذي سيروا اليه بهدية
عظيمة مقابل هديته (٤١٥) .

وعندما ظهر الغلاء وانتشر الوباء في مصر في فترة الشبهة
المستنصرية ، استعان المستنصر بالله بصاحب القسطنطينية سنة
٤٤٥ هـ ، ليحصل اليه غلات بلاده فبعث اليه أربعمئة أردب (٤١٦)
ولكن يموت قسطنطين مونوماك في سنة ١٠٥٥ م - ٤٤٧ هـ
أصبحت الأمور في يد تيودورا ، فعقدت محالفة حربية ودفاعية
بين الدولتين أدت الى منع وصول الامدادات والمؤن ، كما أدت الى
الاعتداءات على شمال سورية (٤١٧) فجهز المستنصر عسكريا بقيادة
مكن الدولة بن ملهم ليزحف الى اللاذقية ، فخرج في جيش كثيف
وحاصرها وأعلن الجهاد ضد الروم ، وحاصر ابن ملهم حصن
قسطنون بالقرب من فامية ، وضيق على أهله ونهب أنطاكية وسبى
أهلها فبلغ ذلك امبراطورة القسطنطينية فبعثت ثمانين سفينة
حربية فأسرت القائد العربي ومن معه من أعيان العرب (٤١٨) .

وما ان حلت سنة ٤٤٧ هـ حتى بعث الخليفة المستنصر من
استولى على جميع ما كان في كنيسة القيامة ، وسبب ذلك أن القاضي
أبا عبد الله القضاعى (٤١٩) كان قد خرج من مصر برسالة الى
القسطنطينية ، فأذنت له الحكومة بالدخول حيث صلى بجامعها
وخطب للخليفة القائم العباسى ، فأنبأ القضاعى المستنصر بذلك
فغضب واستولى على نفائس كنيسة القيامة (٤٢٠) .

هدأت العلاقات بين الجانبين نوعا ما حتى سنة ٤٥٤ هـ حيث
تقاتل صاحب حلب معز الدولة ثمال بن صالح الكلابى وملك الروم
عند أرتساح ، من أعمال حلب ، وانتصر المسلمون وغنموا

وسبوا (٤٢١) . وهنا يخلف المؤرخون في سبب هذا الاشتباك فيذكر البعض أن ذلك يرجع الى أنه في المحرم سنة ٤٥٤ هـ عمر الروم حصن قسطنطين وحصن عين التمر ، فسار معز الدولة في جمادى الأولى لغزوهم ، ففتح حصن ارتاح فراسلوه في الصلح فبعث اليهم رسولا يقول « لا أجيب الى الصلح الا على أن يهدموا الحصنين ، وأن يكون ليلون للمسلمين ، ويحملوا عن حصن ارتاح ما لا يرده عليهم ، فضمنوا ذلك . وفي شوال نزل الروم من يمين العقبة (٤٢٢) ، وأحرقوها ونهبوها فأدركهم بعض الأمراء العرب فظفروا بهم على كثرتهم وقلة المسلمين فقتلوا من الروم ألفا وخمسماية (٤٢٣) في حين يذكر البعض الآخر أن سبب ذلك أن الروم قد امتنعوا عن أداء ما تعهدوا به لثمال من أموال وثياب وتحف في كل سنة ، فلما ابتعد ثمال عن حلب طلب ما تعهد به الروم ، فبعث الروم بجندهم الى الشام ، وجمع ثمال بنى كلب وغيرهم ، والتقوا عند ارتاح وجعل ثمال أخاه عطية على مقدمة الجيش واجتمعت اليه القبائل وبنو خفاجة ، فانتصروا على الروم وفتحوا ارتاح ، وتقدم ثمال الى أنطاكية وحاصرها ، فضاق بأهلها الحال فصالحوه وأعطوه مالا (٤٢٤) .

وفي سنة ٤٦٠ هـ فتحت ارتاح عنوة ونهب جميع ما فيها وما في حصنها من الأموال والذراري ، وكان فيها عدد كبير من النصارى (٤٢٥) . وفي سنة ٤٦١ هـ استولى امبراطور الروم على حصن منبج ، ثم تقدم الى عزاز ولكنه ما لبث ان رحل عنها نتيجة انتشار الوباء بين جنده ، فرجع خائبا (٤٢٦) . وفي أول شعبان سنة ٤١٦ هـ جمع قطبان أنطاكية المعروف بالبخت جموعا كثيرة وسار الى حصن أسفونا بتحريض من قوم من بنى ربيع أهل الجوزن ففتحوه ، وقتلوا كثيرا من أهله ، فلما علم الأمير عز الدولة محمود تقدم الى الحصن وقتل جميع رجاله (٤٢٧) على أن محمود شرعان

ما هادن الروم وانفقوا على أن يقترض مذهب أربعة عشر ألف دينار وأن يجعل والده نصرا رهينة لدى الروم ، وتعهد بهدم حصن أسفونا فأخرج ثابت ابن عمه معز الدولة وشبل بن جامع ، وجمعا الناس من معرة النعمان وكفر طلب وأعمالهما وخربا حصن أسفونا (٤٢٨) فقال بعضهم :

وهدوا بأيديهم حصنهم وأعينهم حزنا تدمع
عجبت لسرعة بنيانه ولكن تخريبه أسرع (٤٢٩)

وفي سنة ٣٦٢ هـ توجه ملك الروم من القسطنطينية الى الشام في ثلاثمائة ألف مقاتل فنزل على منبج ، وأحرق القرى التي ما بين منبج الى أرض الروم . وقتل رجالهم وسبى نساءهم وأولادهم (٤٣٠) ولكن سرعان ما أعاد تعمير الثغر ورحل عنه (٤٣١) ، ثم التقى بمحمود بن صالح بن مرداس وابن حسان الطائي ومن اليهم من جموع العرب فهزمهم (٤٣٢) ثم عاد الى القسطنطينية لانتشار القحط وقلة الأقوات (٤٣٣) وهلاك الكثير من جنده (٤٣٤) .

وفي سنة ٤٦٣ هـ تقدم ألب أرسلان الى ديار بكر وافتتح عدة حصون ثم نزل على الفرات ، ولم يخرج اليه محمود صاحب حلب فأحنقه ذلك فزحف نحو حلب ، وخربت جنوده المدينة ونهبوها ثم تقدمت جنوده الى القريتين من أعمال حمص ، فشفع فيهم الخليفة العباسي القائم بأمر الله فقبل ألب أرسلان الشفاعة واصطلحا (٤٣٥) .

وبعد رحيل السلطان عن حلب سار محمود بن نصر بن صالح ومعه بنو كلاب ، فنزلوا بالقرب من بعلبك قاصدين دمشق ، وكان عمه عطية بن صالح قد استنجد بالروم ضد ابن أخيه محمود ، فخرج عطية مع البخت دوق أنطاكية وجند الروم فاشتركوا جميعا

فى مهاجمة معرة مصرين (٤٣٦) وأحرقوا وقتلوا ، وما ان وصلت تلك الأخبار الى محمود حتى عاد الى حلب ، واستنجد بقرلوا التركى ومن معه من الأمراء بفلسطين فأنجدوه الى أن تفرق عسكر الروم (٤٣٧) .

وفى سنة ٤٦٨ هـ تسلم نصر بن محمود صاحب حلب قلعة منبج من الروم (٤٣٨) سلمها الحافظ لها اليه بأمان بعد حصار طويل فأعطاه محمود اقطاعا ومالا ، وكانت مدة بقائها فى يد الروم نحو سبع سنوات (٤٣٩) .

وهكذا كانت بلاد الشام فى تلك الفترة مركز صراع عنيف بين البيزنطيين من ناحية والفاطميين والمرداسيين من ناحية أخرى ، مما جعل أهل الشام لا يتمتعون بحياة الاستقرار والهدوء . وأصبحت الاضطرابات وعدم الاستقرار هى السمة الغالبة على تلك الفترة فى بلاد الشام . فقد « كان الطموح فى تنظيم سوريا دائما الاغراء المميت لحكومة مصر منذ أيام الفراعنة القدماء ، كما كان فى أى فترة من فترات التبعية التاريخية » (٤٤٠) .

الصراع القبلي والطائفي والمذهبي في بلاد الشام قبل قدوم السلاجقة :

قام الصراع القبلي والطائفي والمذهبي بدور فعال في إثارة القلاقل والاضطرابات في بلاد الشام في القرن الخامس الهجري ، فأضاف بذلك عاملا آخر الى عوامل الانحلال السياسي الذي تفاعل مع غيره فمهّد لقدوم الصليبيين الى بلاد الشام في نهاية هذا القرن .

أما الصراع القبلي ، فقد كانت أبرز قبائل الشام في ذلك الوقت التي قامت بالدور الرئيسي في إثارة العصبية القبلية ، هي قبائل بني طيء اليمنية في الجنوب ، وبني كلاب في الشمال ، وبني كلب القيسية في الوسط (٤٤١) وقد مر بنا كيف عمل الطائيون في جنوب بلاد الشام على إثارة القلاقل المستمرة في وجه الخلافة الفاطمية التي امتد نفوذها الى بلادهم في ذلك الحين . وفي مطلع القرن الخامس الهجري رأينا كيف اتخذ الطائيون من الدعوة بالخلافة لأمر مكة ستارا جديدا يخفون وراءه نزعات العصبية القبلية ، وقد قدم أمير مكة الى الشام وسلم عليه الأماشي بأمرة المؤمنين (٤٤٢) ولكن سرعان ما انفصم تحالف الطائيين وأمير مكة لأن الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله فطن الى حقيقة الأمر فاستمال الطائيين

اليه مما اضطر أمير مكة الى العودة الى بلاده وطلب العفو من الخليفة الحاكم (٤٤٣) . ويعلق (بالدوين) على نشاط قبيلة طيء المعادى بقوله : « كان أكثر رعايا الفاطميين من القبائل العربية في سوريا شغباً هي أقرب العشائر اليها وهي قبيلة طيء في فلسطين ووادي نهر الأردن » (٤٤٤) . وظلت عصبية بني طيء كاملة بعد ذلك حتى عهد الخليفة الظاهر حين خرج معظم أهل الشام عن طاعته (٤٤٥) .

وفي بداية القرن الخامس الهجري ظهرت قوة الكلابيين بزعماء صالح بن مرداس الذي حاول الاستيلاء على حلب ، ولكن مرتضى الدولة استطاع أن يأسره هو وألفاً من أتباعه في سنة ٤٠٢ هـ ولكنه استطاع الفرار سنة ٤٠٥ هـ (٤٤٦) وفي سنة ٤١٥ هـ كانت الظروف مهيأة كما رأينا لصالح بن مرداس ليبسط نفوذه على حلب نتيجة سوء سيرة الواليين الفاطميين ، ابن ثعبان وموصوف (٤٤٧) . وهكذا انتزع صالح عاصمة سورية الشمالية من يد الفاطميين (٤٤٨) .

وكان زعماء القبائل العربية (حسان أمير بني طيء ، صالح ابن مرداس أمير بني كلاب وسنان بن عليان أمير بني كلب) قد عقدوا تحالفا فيما بينهم وبين الحاكم بأمر الله سنة ٤١٨ هـ . وفي ١٠٢١ م واتفقوا على اقتسام الشام فيما بينهم (٤٤٩) . وفي سنة ٤١٥ هـ اجتمع هؤلاء الزعماء من جديد وجددوا ما كان قائماً بينهم من تحالف في آخر عهد الحاكم بأمر الله ، وحاولوا الاتصال بالامبراطور باسيل ليساعدتهم حريباً ولكنه لم يستجب لطلبهم (٤٥٠) .

وفي سنة ٤١٦ هـ حاصر سنان بن عليان ، زعيم الكلابيين ، مدينة دمشق فقاومه أهلها مقاومة عنيفة ، ف ضرب داريا وتوابعها . وفي سنة ٤١٩ مات سنان وبدأت بوادر انقسام التحالف ، فقد

توجه ابن أخيه رافع ابن أبي الليل الى الخليفة الظاهر ، فاصطنعه وجعله أميرا على الكلبيين (٤٥١) وجعله على رأس جيش الى جانب الدزبرى القائد الفاطمى المتوجه للقضاء على هذا التحالف القبلى الذى يهدد النفوذ الفاطمى ، فاستنجد حسان الطائى بصالح الكلابى ولكن صالحا لقي حتفه فى الأقحوانة عند نهر الأردن فى جمادى الأولى سنة ٤٢٠ هـ (٤٥٢) وفر ولداه أبو كامل نصر وأبو علوان ثمال الى حلب واشتركا فى حكمها (٤٥٣) وقد فطن القائد الفاطمى الدزبرى الى أهمية القوى القبلية فاستخدم بعض القبائل من الطائيين والكلبيين والكلابين لمحاربة نصر بن صالح (٤٥٤) ونجح فى إلحاق الهزيمة به .

وهكذا نجح الدزبرى فى مدة حكمه فى بلاد الشام أن يحطم العصبية القبلية ، ولكن بعد وفاته سنة ٤٣٣ هـ كثرت اغارات البدو على مدن الشام وفقدت البلاد أمنها (٤٥٥) .

وظهرت تحركات الكلبيين من جديد فى حلب سنة ٤٥٢ هـ عندما ساعدوا محمود بن نصر بن صالح فى الاستيلاء على حلب عنوة من مكن الدولة والى الفاطميين عليها (٤٥٦) . كذلك اشتبك الكلبيون مع قائد دمشق الأرمنى من قبل الفاطميين سنة ٤٥٧ هـ (٤٥٧) وأدى ذلك الى بسط نفوذهم فى السواد واستولوا على الغلات ، وأعملوا السلب والنهب فخربت بلاد الشام (٤٥٨) .

كما قام بعض المتغلبين بدور كبير فى إثارة القلاقل ضد النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام وخاصة على الساحل ، مثل القاضى عين الدولة ابن عقيل الذى كان متغلبا على صور ، فتقدم اليه أمير الجيوش بدر الجمالى من مصر فى جيش كبير سنة ٤٦٢ هـ فاستنجد ابن عقيل بالأمير التركى « فرلو » . وكان الأتراك قد بدأ ظهورهم فى

الشام فى ذلك الوقت فأنجده بـ ستة آلاف جندى فحاصر بهم صيدا التابعة لأمير الجيوش ، فحاصر بدر الجمالى صور سنة كاملة وضيق على أهلها الحصار ، ولكنه لم يبلغ غرضه فرحل عنها (٤٥٩) .

وهكذا أدت الحركات الناجمة عن العصبية القبلية الى زيادة النفك السياسى فى بلاد الشام ، والى انشغال الفاطميين باقرار النظام فى البلاد عن وضع نظم ادارية ثابتة . واذا كان المرداسيون الكلابيون أو بنو الجراح الطائيون قد نجحوا فى تحقيق أطماعهم القبلية فى فترات محدودة الا أنهم لم يحققوا أى نوع من الاستقلال وفى النهاية اندمجت القبائل الشامية بأجمعها تحت الحكم التركى السلجوقى الجديد .

والى جانب الصراع القبلى ، كان هناك الصراع الطائفى ، فلم يكن أهالى الشام جميعهم من المسلمين ، بل كان من بينهم أيضا المسيحيون واليهود . فكان كثير من أهالى بيت المقدس من النصارى واليهود (٤٦٠) . كما كان النصارى يمثلون جانبا كبيرا من أهالى مدينة حلب ، وكان بها ثمانى كنائس (٤٦١) .

ولقد نعم المسيحيون منذ تأسيس الدولة الاسلامية بالحرية الدينية والتسامح ، وكانت أبواب مناصب الدولة مفتوحة أمامهم كالمسلمين سواء بسواء ، وكانت الأديرة والكنائس المسيحية منتشرة فى كل مكان ، وكان يسمح للحجاج المسيحيين بأن يقدموا الى فلسطين من أقاصى البلاد فى حرية تامة . وفى مدينة بيت المقدس ، التى يقدسها المسلمون والمسيحيون على السواء ، أفرد حتى خاص لسكنى البطريق وقساوسته ، وعندما امتد النفوذ الفاطمى الى فلسطين والشام كان ذلك فى صالح المسيحيين ، اذ أن الخلفاء الفاطميين الأوائل سجعوا التجارة المسيحية وشملوا المسيحيين

برعايتهم (٤٦٢) وخاصة في عهد الخليفة العزيز بالله ، الذي كان
منزوجا من زوجة نصرانية ، وكن لها أخوان أحدهما اسمه
(أرميس) جعله الخليفة بطريقا على بيت المقدس ، والآخر
(أرسانيس) جعله بطريقا على القاهرة ومصر (٤٦٣) .

واستوزر الخليفة العزيز عيسى بن نسطورس في مصر ، كما
أناب عنه في بلاد الشام رجلا يهوديا هو منشأ بن ابراهيم ، وتولى
المسيحيون واليهود كثيرا من وظائف الدولة البارزة (٤٦٤) وحدث
أن كتبت امرأة الى العزيز في حاجة لها فقالت في رسالتها :
« بالذي أعز النصارى بعيسى بن نسطورس واليهود بمنشأ وأذل
المسلمين بك الا كشفت ظلامتي » (٤٦٥) . فعاد العزيز الى قصره
حزينا واستشار قاضيه فقال له : « أنت أعرف بوجه الرأي »
فقال العزيز : « لقد صدقت المرأة في القصة ونبهت من الغفلة » .
وقبض العزيز في الحال على عيسى بن نسطورس وسائر الكتاب
النصارى ، وكتب الى الشام بالقبض على منشأ وأمر برد الدواوين
والأعمال الى الكتاب المسلمين (٤٦٦) فحمل عيسى الى الخزانة
ثلاثمائة ألف دينار واستشفع بآبنة العزيز ، وكان أبوها يحبها ،
فرده الى منصبه وشرط عليه ألا يستخدم نصرانيا ولا يهوديا (٤٦٧) .

ساد التسامح معظم العصور الاسلامية ، ولم يلحق أهل
الذمة أى اضطهاد الا في فترات محدودة مثلما حدث في عهد الخليفة
الفاطمي الحاكم بأمر الله ، وهو الخليفة المعاصر لبداية القرن
الخامس الهجرى في بلاد الشام . وقد اشتهر هذا الخليفة بتناقض
سياسته ، واضطهاده لكثير من رعاياه ، واصداره كثيرا من القوانين
والأوامر الشاذة . وتنقسم مدة خلافته الى فترتين مميزتين ، فترة
نعم فيها أهل الذمة بالحرية الدينية والتسامح التام ، اذ ولاهم
الوظائف ، وقام ببناء دور العبادة . أما الفترة الثانية فقد أنزل

الحاكم سخطه واضطهاده على أهل الذمة فأمرهم بأن يرتدوا أزياء متميزة ، وهدم كنائسهم ومعابدهم . كما لحق اضطهاد الحاكم في هذه الفترة بكثير من المسلمين ، ثم انتهى الأمر بهذا الخليفة إلى ادعاء الألوهية .

امتد اضطهاد الخليفة الحاكم لأهل الذمة إلى نصارى الشام مما أدى إلى ظهور الروح الصليبية (٤٦٨) . فقد أمر الحاكم سنة ٣٩٨ هـ بهدم كنيسة القيامة ببيت المقدس (٤٦٩) وأباح الحاكم للعامة ما فيها من الأموال والأمتعة (٤٧٠) وعلى الرغم من العلاقات السلمية التي كانت قائمة بين الامبراطور باسيل الثانى والخليفة الحاكم بأمر الله ، فإن الحاكم استمر فى سياسة اضطهاد المسيحيين مما أثار غضب الامبراطور (٤٧١) .

قام (ختكين) والى الرملة (فلسطين) بتنفيذ أمر الخليفة بهدم كنيسة القيامة ، وانتزع ما بها من الذخائر والتحف والآنية المقدسة ، وأزال كنيسة ماري قسطنطين التي كانت بداخلها ، وأصبحت الكنيسة العظمى أنرا بعد عين ، ولم يبق منها سوى أثر الصخرة التي شيد عليها القبر المقدس ، كما هدم الدير الملاصق لها وكان غاصا بالراهبات من مختلف الأمم النصرانية وانتزعت سائر أحباسها وأملاكها وأموالها ، وكان هدمها فى شهر صفر سنة ٤٠٠ هـ (١٠١٠ م) (٤٧٢) .

وقيل ان سبب هدم الحاكم بأمر الله لكنيسة القيامة هو ما وصل إلى سمعه من خرافات بعض جهال النصارى وأن هناك نارا تنزل من السماء فى عيد الفصح (٤٧٣) .

وبعد هدم كنيسة القيامة بأيام أنفذ الحاكم سجلات الى سائر المدن بأن تهدم البيع وأن يحمل ما فيها من أواني الذهب والفضة الى قصره (٤٧٤) .

وتذكر الرواية الكنسية المعاصرة أن سبب هدم الكنائس عامة هو أن راهبا قبطيا يدعى يونس نقم على البطريك زخارى لأنه لم يرسمه أسقفا فتقدم الى الخليفة الحاكم ووصف له ما يتمتع به رجال الدين النصارى من النفوذ والجاه ومظاهر السلطان والعظمة والشراء ، وأنهم يبيعون المناصب الكنسية وقال فى رقعته التى رفعها الى الحاكم : « أنت ملك الأرض ، لكن للنصارى ملك لا يعبأ بك لكثرة ما قد اكتنزوه من الأموال الجزيلة لأنه يبيع الأسقفية بالمال » . وعدد فيها كثيرا من مثالبهم (٤٧٥) .

وقد قبض الحاكم على زخارى وحبسه ثلاثة أشهر بين التهديد والوعيد حتى توسط البعض عند الحاكم فعفا عنه (٤٧٦) .

وفى سنة ٤٠٦ هـ أمر الخليفة الحاكم بإحصاء المساجد المتهدمة فى مصر والشام وأن يقام فى كل قرية مسجد وأن تهدم جميع الكنائس وتحول أوقافها الى المساجد .

وفى سنة ٤١١ هـ قبيل اختفاء الحاكم بقليل ، صدرت عدة سجلات جديدة بإلغاء القوانين المجحفة وإطلاق الحرية الدينية للنصارى واليهود ورد ما أخذ من أحباس الكنائس والأديار ، ورد ما أخذ منها من الذخائر والتحف وسمح لكثير من النصارى الذين أكرهوا على الاسلام بالارتداد الى دينهم (٤٧٧) . ثم صدر يومئذ الى النصارى سجل أمان شامل (٤٧٨) .

ومن هذه السجلات سجل صادر الى نيقيفور بطريك بستان المقدس يؤذن له فيه بإقامة الصلاة فى أطلال كنيسة القيامة . وقد

جاء فى السجل : « بسم الله الرحمن الرحيم » ، أمر أمير المؤمنين يكتب هذا المنشور لنيقيفور بطريرك بيت المقدس ، بما رآه من اجابة رغبته فى صيانته والذب عنه وعن أهل الذمة من نحلته وتمكينهم من صلواتهم .. واقامة ما يلزمه فى حدود ديانتهم ، وحفظ المواضع الباقية فى قبضته ، داخل البلد وخارجه والديارات وبيت لحم ولد ... والمنع من نقص المصلبات بها ، والاعتراض لاحتباسها المطلقة لها ، ومن هدم جاراتها وسائر أبنيتها احسانا من أمير المؤمنين اليهم (٤٧٩) .

وبعد وفاة الخليفة الحاكم بأمر الله عادت سياسة التسامح مع أهل الذمة ، وفى سنة ١٠٢٣ م (حوالى سنة ٤١٤ هـ) أرسل البطريرك نيقفورس بطريرك بيت المقدس الى الامبراطور بالقسطنطينية يخبره بأن الكنائس ومحتوياتها قد أعيدت للنصارى ، وأن كنيسة القيامة وجميع كنائس مصر وسوريا قد أعيد بناؤها ، وأن المسيحيين ينعمون بالتسامح فى جميع أرجاء الدولة الفاطمية (٤٨٠) .

وفى سنة ٤١٨ هـ عقدت هدنة بين امبراطور الروم وبين الخليفة الظاهر ، فأحييت الخطبة للظاهر ببلاد الروم ، وأعيد فتح الجامع فى القسطنطينية ومدد الامبراطور بالحصر والقناديل وأقام له مؤذنا ، وعند ذلك أذن الظاهر فى فتح كنيسة القيامة فحمل اليها ملوك النصارى الأموال والنفائس (٤٨١) ، واحتفظ امبراطور الروم بحق اختيار بطريرك بيت المقدس (٤٨٢) وفى سنة ٤٢٨ هـ جددت كنيسة القدس على نفقة ميخائيل امبراطور الروم .

ساد الاضطراب الطائفى فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله نتيجة هدم كنيسة القيامة التى يمجدها المسيحيون ، ونتيجة

الاعتداء على الحجاج واضطهاد أهل الذمة مما أدى إلى إثارة الروح الصليبية الغربية ضد مسلمي الشرق وحكامه في القرن الخامس الهجري . وإذا كان مسيحيو الشرق قد تناسوا هذه الفترة من الاضطهاد وأعادوا العلاقات الطيبة مع الخلافة الفاطمية إلا أن مسيحيي الغرب لم ينسوا هذه الفترة .

وإذا كان الصراع القبلي والطائفي قد أثر في مجريات الحياة السياسية في بلاد الشام في القرن الخامس الهجري فإن الصراع المذهبي كان له أيضا نصيبه في إثارة القلاقل في البلاد . وأبرز مظاهر هذا الصراع هو انتشار المذهب الدرزي بالشام ، وهو مذهب شيعي متطرف .

وترجع جذور هذا الصراع إلى النصف الثاني من القرن الرابع الهجري حيث شهد بداية الصراع المذهبي في بلاد الشام بين المذهبين: السني والشيوعي . وقد سبقت حلب دمشق في الأخذ بالأذان الشيعي وذلك سنة ٣٤٧ هـ ، حيث زيد في الأذان عبارة « حي على خير العمل محمد وعلى خير البشر » (٤٨٣) . وهكذا كانت النزعة المذهبية في حلب عند امتداد النفوذ الفاطمي ، نزعة شيعية ، وذلك على عكس مدينة دمشق التي بدأ فيها الأذان الشيعي في صفر سنة ٣٦٠ هـ بأمر من جعفر بن فلاح فقبله الناس على مضض (٤٨٤) . وفي سنة ٣٦١ هـ قامت فتنة بين المغاربة الشيعة والمشاركة السنين بدمشق فأحرقوا دارا مجاورة لجامع دمشق ثم امتدت النار إلى الجامع حيث احترق ودثرت محاسنه (٤٨٥) . وكان ذلك في ليلة النصف من شعبان فأسف الجميع لاحتراق هذا الجامع التاريخي (٤٨٦) .

وما إن حلت سنة ٤٤٢ هـ حتى تم الصلح بين أهل السنة والشيعة وصاروا جميعا يترحمون على الصحابة وصلوا جميعا في

مساجد السنة ، وخرجوا كلهم الى زيارة أضرحة آل البيت وأكرموا الأحياء منهم ، وتحابوا وتزادوا وتزاوروا وتصاهروا ، وكان هذا في الحقيقة حدثا جديدا ، لم نشهد مثله في بغداد أو سامراء و كربلاء والنجف (٤٨٧) .

وكان لانتشار المذهب الدرزي أثر واضح في توسيع هوة الاضطرابات والقلاقل في بلاد الشام . فبعد أن لفظه المجتمع المصري انتقل الى بلاد الشام فانقسم الأهالي تجاهه بين مؤيد ومعارض ، وبذلك أصبح للصراع المذهبي دوره أيضا في إثارة القلاقل بالبلاد .

ينسب المذهب الدرزي الى داعية فارسي من دعاة الباطنية هو محمد بن اسماعيل الدرزي (الخياط بالفارسية) (٤٨٨) ، وهو ينسب الى طيروز احدى بلاد فارس (٤٨٩) ، فقد حمل لواء الحركات الخارجة عن الاسلام ، بعض الفرس الذين اجتذبتهم الخلافة الفاطمية ببهاثها ومشاريعها السرية ، والمعروف ان الشعب الفارسي كان يضطرم بغضا للاسلام والعروبة ، ولذا وقف جهوده قرونا طويلة لمناوأة الاسلام وتقويض أسسه وسلطانه السياسي ، فكافح المسلمون الدعاة السريين والملاحدة الذين عملوا باسم الاسلام على هدم مبادئه وتعاليمه (٤٩٠) .

اشتهر الخليفة الحاكم بأمر الله بالشذوذ (٤٩١) . وادعى الألوهية ، فكان قوم من الجهال اذا رأوه يقولون : « يا واحد يا أحد يامحيى يامميت » (٤٩٢) . والراجع أن الذي شجع الخليفة الحاكم على ادعاء الألوهية هو ذلك الداعي الفارسي محمد بن اسماعيل الملقب بالدرزي ، الذي وصل الى مصر سنة ٤٠٨ هـ وكان من الباطنية القائلين بالتناسخ ، فاجتمع بالحاكم وساعده على ادعاء الألوهية وصنف كتابا ذكر فيه أن روح آدم عليه السلام انتقلت الى

الحاكم ، فلما قرىء الكتاب بالجامع ثار الأهالي على الدرزي ووثب عليه أحد الأتراك فقتله (٤٩٣) واستمرت الفتن ثلاثة أيام قتل فيها جماعة من الدرزية وقبض على التركي قاتل الدرزي وقتل (٤٩٤) .

ثم ظهر داعية آخر هو حمزة بن أحمد الذي تلقب بالهادي (٤٩٥) فجدد دعوة الدرزي فثار الناس من جديد ، وانكر الحاكم أمره خوفا من الرعية وبعث اليه في السر مالا وأشار عليه بالذهاب الى الشام والدعوة بين أهالي الجبال حيث كان أهلها أكثر انقيادا ، وبالفعل خرج حمزة الى بلاد الشام وانزل بوادي بتم الله ابن ثعلبة ، غربي دمشق من أعمال بانياس ، فقرأ الكتاب على أهله واستمالهم الى الخليفة الحاكم وأغدق عليهم الأموال (٤٩٦) وساعده على نجاح دعوته في تلك المناطق وجود عدد من الأمراء التنوخيين الذين كانوا قد قدموا من العراق الى الشام وكانوا من الطائفة الباطنية المهيثين لقبول المذهب الدرزي (٤٩٧) .

وكان الخليفة الحاكم يهتم بالهادي ويسأله عن أهل دعوته وعددهم . وقطع الحاكم ما جرى به رسمه من صلواته وخطبه في الجوامع في أيام الجمعة وفي شهر رمضان والعيدين وعطل الحج الى مكة عدة سنين وانقطع حمل الكسوة التي جرت العادة بتجهيزها الى الكعبة ، وظهر مذهب الدرزية ، واشتهر بين بعض أهالي وادي التيم وصور وصيدا وجبل بيروت (٤٩٨) .

ويعتقد الدروز أن الحاكم لم يمت بل انه اختفى كغيره من الأئمة مؤقتا من هذا العالم غير الجدير بمذهبه الطاهر وأنه سوف يعود الى هذه الدنيا عندما يكون العالم مهيا لعودته (٤٩٩) .

والدروز يسمون حلب تل الخمر ويكرهون أهلها لايقاعهم بالاسماعيلية حينما قدموا عليها أول مرة (٥٠٠) والراجح أن المذهب

الدرزي. كان يجتذب أنصاره ويدعوهم في الخفاء حتى سنة ٤٢٣ هـ حين، بإقاهر الدروز، بمذهبهم وأحلوا نكاح المحارم وتفاقم أمرهم وتحصنوا في أماكن حصينة عند نهر العاصي وانضوى اليهم كثير من فلاحي حلب وطمعوا في الاستيلاء على البلاد . فخرج اليهم صاحب أنطاكية وحاصره في المغارات بمساعدة نصر بن صالح أمير حلب ، حتى التمسوا الأمان بعد اثنين وعشرين يوما ، فأمنوهم ثم قبضوا على دعايتهم وقتلوهم وكان ذلك في ربيع الأول سنة ٤٢٤ هـ (٥.١) .

ولكن رغم الجهود التي بذلت للقضاء على هذا المذهب وزغم ما أحدثه من اضطراب في بلاد الشام فلا تزال تنتشر الطوائف الدروزية في شمال سورية حتى اليوم (٥.٢) .

وهكذا لعب الصراع بألوانه المختلفة دورا ملحوظا في إثارة القلاقل في بلاد الشام في النصف الأول من القرن الخامس .

الهوامش

(١) المسعودي ١. مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٢٧١ (رفع رأسه وقال . الحمد لله الذي لم يبق ثأري قبلك وقبل رهطك ، والحمد لله الذي أظهرني بك وأظهرني عليك ثم قال : ما أبا لي متى طرقني الموت ، قد قتلت بالحسن وبنى أبيه من بني أمية مائتين ، وأحرقت بشلو هشام بابن عمي زيد بن علي ، وقتلت مروان بن يحيى إبراهيم) .

(٢) مؤلف مجهول : العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، ج ٢ ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

(٣) ذكر نفس المرجع السابق ، ص ٢٠٨ (أن عبد الله بن علي لما أمر بقتل بني أمية أمر بالبسط فبسطت على القتل وأمر بالطعام فمد بين أيدي الناس ثم التفت إلى الجماعة وقال والله الذي لا اله الا هو أنتي منذ عقلت عقلني وغرقت كيفية قتل الحسين ابن علي وقتل زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام وقتل إبراهيم بن محمد بن أخى ما رقات لي دمة عليهم والآن لقد أخذنا بثأرهم وقد طابت لذلك نفسي .

(٤) كرد علي : خطط الشام ، ج ١ ، ص ١٧٦ حوران كورة واسعة من أعمال دمشق وقصبتها بصرى (ياقوت : ج ٧ ، ص ٣١٧ .

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٥٩ .

(٦) كرد علي : خطط الشام ، ج ١ ، ص ١٨١ .

(٧) كرد علي : خطط الشام ، ج ١ ، ص ١٨٢ ، ابن خلدون ، تاريخه ، ج ٢ ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

(٨) نفس المصدر ، ص ١٨٦ .

(٩) جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ، ص ٢٦ .

(١٠) ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ج ٦ ، ص ٥٢٦ حتى : تاريخ سورية ، ج ٢ ، ص ١٦٦ .

ابن خلدون : تاريخه ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ .

(١١) كرد علي : الخطط الشام ، ج ١ ، ص ١٩٣ .

- (١٢) ابن مسكويه . تجارب الأمم ، ج ٦ ، ص ٥٥٢ .
- (١٣) كرد على : خطط الشام ج ١ ، ص ٢٠٧ .
- (١٤) قسطلی : الروضة الغناء ، ص ٢٨ - ٢٩ .
- (١٥) كرد على : خطط الشام ، ج ١ ، ص ٢١٦ .
- (١٦) سيده كاشف . مصر في عصر الأخشيديين ، ص ٣٥٣ - ٣٥٤ .
- (١٧) ابن أبيك : كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ١٢١ .

(١٨) فقد وصل النفوذ المصرى الى الشام ، منذ أيام الاسرتين : الاولى والثانية الفرعونيتين بدليل وجود اثار في مدينة ببلوس (جبيل) تدل على ذلك (زكى على . مصر في العصور القديمة ، ص ٢٧) وفي أيام الدولة الوسطى زادت الصلة التجارية والثقافية بين مصر وفلسطين والشاطئ الفينيقي وجزء كبير من سوريا (أحمد فخري : مصر الفرعونية ، ص ١٨٥) وفي أيام الدولة الحديثة وضع أحسن اللبنة الاولى في بناء الامبراطورية المصرية وفي عهد تحوتمس الاول وصل النفوذ المصرى المباشر الى جنوب فلسطين والساحل الفينيقي (أحمد فخري . مصر الفرعونية . ص ٢٢٣) وفي عهد تحوتمس الثانى وحتشبسوت ادى الخلاف بينهما الى قيام الثورات الشهيرة ووصل الى منحدرات لبنان الجنوبية (هنرى برستد . تاريخ مصر من اقدم العصور ، ص ١٩٣) وكانت الممالك الآسيوية تحت ادارة وال مصرى يلقب بحاكم البلاد الشمالية (هنرى برستد : ص ٢١٢) ثم تجددت الثورات فى عهد أمنحتب الثانى وزادت فى عهد أمنحتب الرابع (اخناتون) رغم ارسال والى بيلوس الى فرعون كتابا يصف فيه حالة البلاد المحزنة الا ان اخناتون لم يرسل أى مساعدة لازدادت الثورة لهيباً . وخسرت مصر مستعمراتها الآسيوية ثم تجدد النفوذ المصرى فى سوريا على جنوب فلسطين فى عهد سبتى الاول ورمسيس الثانى . (هنرى برستد : تاريخ مصر ، ص ٢٢٠ ، ٢٢٣ . ٢٣٤ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٧٥ ، ٢٩٥ ، ٣٠٣ .

O'Leary . A Short Hist . . . p. 246. (١٩)

O'Leary : Ibid., p. 346. (٢٠)

(٢١) حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٥٢ .

(٢٢) ابن عساكر ، التاريخ الكبير ، ج ٤ ، ص ١٤٨ .

(٢٣) بيبس الدوادارى : زبدة الفكرة ، ج ٦ ، ص ٢١٢ (١) .

(٢٤) فى النصف الاول من القرن الرابع الهجرى ، العاشر الميلادى ،

كانت الحرب بين الطرفين الا انه تخللها هدنتان احدهما سنة ٢٢٦ هـ والاخرى

سنة ٢٢٥١ هـ وتبادلت الأسرى في كل منهما (الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء ، ج ١ ، ص ٢٥٧ ، Hist. De Yahya, p. 12) ولم تمض سوى سنتين حتى انهزم سيف الدولة أمام الروم سنة ٢٢٧ هـ (بيبرس الدوادارى : زبدة الفكرة ، ج ٦ ، ص ١٧٧ (١) ، الذهبى : العبر ، ج ٢ ، ص ٢٤٤) . وفى سنة ٢٢٩ هـ خرج لمحاربتهم فاستولى على الكثير من بلادهم وأخذ عددا كبيرا من السبى (ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٢١) . ولكنهم سرعان ما حاصروه وسدوا عليه المنافذ فهزموه وفر منهم بأعجوبة (ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٢٢) إلا أنه لم ييأس فخرج مرة أخرى للجهاد سنة ٢٤٢ هـ فرجع منصورا وقد أسر قسطنطين ابن الدمستق (ابن الشحنة : روض المناظر ، ص ٩٧ (و)) حتى أنه فى سنة ٢٤٤ هـ ورد على سيف الدولة بعض الفرسان ورسول ملك الروم فى طلب الهدنة (ابن ظافر : الدول المنقطعة ، ص ٧ (ب)) إلا أنه عاد فغزاهم سنة ٢٤٥ هـ ووصل الى ما لم يصل اليه المسلمون منذ ثلاثين سنة (الانطاكى) ، ص ٧٢ ، الذهبى : دول الاسلام ، ص ٥٧ (١) وقد رد الروم على ذلك فى سنة ٢٤٧ هـ فهزموا سيف الدولة وأسروا عددا كبيرا من أصحابه (ابن العميد : ص ٢٣٠ ، الانطاكى : ص ٧٧) أما فى سنة ٢٤٩ هـ فقد تكرر ما حدث سنة ٢٢٩ هـ فقد غزاهم سيف الدولة وانتصر عليهم فى البداية وفتح عددا من حصونهم (ابن مسكويه : تجارب الأمم ج ٦ ، ص ١٨٠) ولكنه عند عودته تقابل مع الروم عند درب مغارة الكحل فغلب منهم واسترجع الروم ما أخذه المسلمون (ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٢٠) وفى سنة ٢٥١ هـ وصل الدمستق الى شمال الشام واستولى على عدد من مدنها وكان سيف الدولة فى قلة من عسكره عندما بوغت فى حلب (الغزوى : نهر الذهب ، ج ٣ ، ص ٦٠) فاستطاع الروم دخول البلد وذلك فى ذى القعدة سنة ٢٥١ هـ ثم غارقتها الدمستق وعاد اليها سيف الدولة بعد ضياع أمواله . (ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٧ ، ص ٨ ، النويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٤ ق ١ ، ص ٤٧ ، وفى سنة ٢٥٤ هـ كانت هناك بادرة للروح الصليبية نفهمها من كلام تقفور عندما استولى على طرسوس وصعد على منبرها وقال لهم « يا معشر الروم أين أنا فقالوا على منبر طرسوس فقال : لا بل أنا على منبر بيت المقدس » (ابن العديم : بغية الطلب فى تاريخ حلب ج ٢ ، ص ٢٨٠) إلا أننا نلاحظ أنه فى سنة ٢٥٥ هـ تم الغداء بين الروم وسيف الدولة الذى بنى فى تلك كل أمواله (الغزوى : نهر الذهب ، ج ٣ ، ص ٦٤ ، ابن الشحنة : روض المناظر ، ص ٩٨ ط) وفى سنة ٢٥٧ هـ خرج تقفور الى بلاد الشام وتحدث الناس أنه يريد أن ينازل انطاكية وينفذ الى حلب أيضا

من يأخذها فأشار الحاجب قرغوية على سعد الدولة أن يخرج من حلب ولا يتحاصر فيها فخرج إلى بلس (ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٥٩ - ١٦٠) وبالسى هي إحدى مدن كورة قلنسرين (المقدس : أحسن التقاسيم ، ص ١٥٤) .

(٢٥) فينكر ابن أيك الدواداري : كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ١٢١ أنه لما قام بأمر الأخشيدية بعد وفاة كافور الأخشيدى ، أحمد بن علي بن الأخشيد ، كان بالرملة الحسن ابن عبد الله ابن طفح ، فطمع أن يسبق فيكون صاحب الدولة ، فسار إلى مصر فاستقبله كبار الدولة فأراد الجلوس ، فقالوا له ، إن ابن عمك أحمد قد عقد له الأمر وقد اجتمع عليه أهل الدولة . فطمع في مال يأخذه فقال لوزير عمه ، وهو يومئذ جعفر بن حنزابة ، وكان المتحدث في الوزارة ، لأحمد : أحمل إلى مالا : فقال : ما عندي مال . فأمر به فجرى عليه مكروه وتوعدته بالقتل فحقد في نفسه ثم أن الحسن بن عبد الله رجع إلى الشام وهو يومئذ ملكها وضمير في نفسه أن يحشد جموعه ويعود لأخذ مصر . وخشى جعفر بن حنزابة منه ذلك وخاف على نفسه فكتب إلى المعز ابن تميم بالقيروان ، يحثه على الحضور ليملكه البلاد . وكان مما كتبه الوزير « أن كنت تخشى أنك لا تحضر بنفسك فأبعث من تثق به يتسلم البلاد » .

(٢٦) ابن أيك : كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ١٢٢ .

(٢٧) فتحت الاسكندرية أبوابها بدون مقاومة ، ولما علم أهل القسطنطينية وصول جيوش الفاطميين إلى الاسكندرية واستيلائهم عليها ، ندبوا الوزير جعفر ابن الفرات لمفاوضة جوهر في الصلح فأجابه جوهر إلى ما طلب وكتب له عهدا بذلك (حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ، ج ٢ ، ص ١٤٨) .

(٢٨) Lammens : La Syrie ..., V. I., p. 144.

(٢٩) تولى القائد منير من رمضان سنة ٤٠٠ هـ إلى أن قدم القائد مظفر أول ربيع الأول سنة ٤٠١ هـ . (ابن القلائس : ص ٦٦) ظل القائد مظفر في الولاية ستة أشهر وتسعة أيام ثم تولى مكانه بدر العطار فأقام كوال شهرين وعشرة أيام (ابن القلائس : ص ٦٦) وفي جمادى الثانية سنة ٤٠١ هـ تولى لؤلؤ الشيرازي أو البشرأوى لمدة ستة أشهر فقط (سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ١١ ، م ٢ ، مخطوط ، ص ٣٢٧ ، الذهبى : تاريخ الاسلام ، ج ٥ ، مخطوط ، ص ٢٤) الصفدى امرأ دمشقى فى الاسلام ص ٧٣ ثم تولاهما أبو المطاع ذو القرنين حوالى ستة أشهر من ١٠ ذى الحجة سنة ٤٠١ هـ إلى السابع من جمادى الأولى سنة ٤٠٢ هـ (ابن القلائس : ص ٦٩ الصفدى : امرأ دمشقى فى الاسلام ، ص ٣٣) .

(٣٠) ابن القلائس : ص ٦٩ تولاهما الى ذى الحجة سنة ٤٠٦ هـ وكانت
لأبته ثلاث سنوات وثمانية أشهر وعشرين يوما .

(٣١) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ١١ ، م ٢ ، مخطوط ، ص ٢٨٦ ،
لعيني : عقد الجمان ، ج ١٤ ، م ٤ ، ص ٦٦٥ .

(٣٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢٤٢ .

(٣٣) عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله ، ص ١٠٣ .

(٣٤) المقرئ : الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٨٩ . والدليل على أن عبد الرحيم

ابن الياس لم يحكم دمشق حكما متصلا من سنة ٤٠٠ الى ٤٠٩ هـ وما بعد ذلك
أن الصفدي : أمراء دمشق في الاسلام ، ص ٨٨ يذكر أن أبو منصور سديد
الدولة قدم دمشق لست وعشرين من ذى القعدة سنة ٤٠٨ هـ ، وعزل بولي العهد
عبد الرحيم بن الياس .

(٣٥) O'Leary : A Short Hist., p. 189.

(٣٦) ابن القلائس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٦٩ - ٧٠ .

(٣٧) ابن القلائس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٧٠ .

(٣٨) نفس المصدر ، ص ٧١ .

(٣٩) ابن القلائس : ص ٧١ ، ابن خلدون : تاريخه ، ج ٤ ، ص ٦٢ يسميه

أقوش تكين .

(٤٠) يرجع ذلك الى مسقط رأسه في بلاد الترك فقد ولد في ختل ثم سبي

منها وحمل الى كاشغر وهرب الى بخارى (ابن القلائس ، ص ٧١) ويلقبه ابن

عساكر في تاريخه الكبير ج ٣ ، ص ١٥١ ، بأبو منصور الختني نسبة الى ختن

وكذلك الصفدي : أمراء دمشق في الاسلام ، ص ١٤ .

(٤١) اليه ينسب لقب التزيري .

(٤٢) ابن القلائس : ص ٧١ ، الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء ، ج ١ ،

ص ٣٣ .

(٤٣) ابن القلائس : ص ٧٢ ، O'Leary : A Short Hist P. 191.

(٤٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢٦٨ .

(٤٥) O'Leary : A Short Hist P. 191.

(٤٦) O'Leary : A Short Hist P. 191.

(٤٧) O'Leary : A Short Hist P. 192.

(٤٨) الطباخ : الحلبي : أعلام النبلاء ، ج ١ ، ص ٣٣١ .

- (٤٩) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣٤ .
- (٥٠) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٦٢ وينكر ابن عساكر أن الوزير الجرجاني بلغه عنه أنه قال قد خرف الوزير فكاتب الوزير أهل دمشق وانفسد الحال بينهم وبينه (ابن عساكر : التاريخ الكبير ، ج ٣ ، ص ١٥٢) .
- (٥١) أبو المحاسن . النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣٤ .
- (٥٢) ابن القلائس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٧٩ .
- (٥٣) الذهبي : تاريخ الاسلام ، ق ٣ م ١١ ، ص ٢٧٦ ، ابن القلائس : ص ٨٢ .
- (٥٤) في رجب سنة ٤٤٠ هـ تولى القائد طارق الصقلي (ابن ميسر) : أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٤ وفي المحرم سنة ٤٤١ هـ تولاهما رفق المستنصري فلم يحكم سوى أيام (الذهبي : تاريخ الاسلام ، ق ٣ م ١١ ، ص ٣٩٠) .
- (٥٥) ابن ميسر . أخبار مصر . ج ٢ ، ص ٥ ، سبط ابن الجوزي مرآة الزمان ، ج ١٢ م ١ ، ص ١ (ب) .
- (٥٦) ابن القلائس : ص ٨٦ .
- (٥٧) ابن عساكر : التاريخ الكبير ، ج ٥ ، ص ٢١ . أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٤٥ .
- (٥٨) الأمير ناصر الدولة بن حمدان من رجب سنة ٤٥٠ هـ إلى ربيع الأول سنة ٤٥٢ هـ (ابن القلائس ص ٨٦ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٦٣) وسبكتكين المستنصري من ٤٥٢ هـ إلى أوائل سنة ٤٥٣ هـ ثم تولاهما ابن البجناكي الملقب بحسام الدولة من جمادى الأولى إلى رمضان سنة ٤٥٣ هـ (ابن القلائس ، ص ٩١) ثم ناصر الدولة ابن حمدان لمدة شهرين فقط من رمضان إلى ذي القعدة سنة ٤٥٣ هـ (ابن عساكر التاريخ الكبير ، ج ٥ ، ص ٢١) وأخيراً حيدرة بن عصب الدولة الذي ظل في ولايتها إلى ربيع الثاني سنة ٤٥٥ هـ (ابن القلائس ، ص ٩١) .
- (٥٩) الحصني : منتخبات التواريخ ، ج ١ ، ص ١٣٦ .
- (٦٠) ابن الوردي : تنمة المختصر ، ج ١ ، ص ٣٧ ، الدبس : تاريخ سورية ج ٢ م ٥ ، ص ٤٦٢ .
- (٦١) ابن القلائس : ص ٩٢ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٧٢ .

- (٦٢) ابن عيسر : أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ١٦ .
- (٦٣) ابن القلائس : نيل تاريخ دمشق ، ص ٩٢ .
- (٦٤) ابن القلائس : ص ١٩٥ .
- (٦٥) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ، ج ٢ ، ص ٥٩ .
- (٦٦) ابن العميد . تاريخ المسلمين ، ص ٢٥٦ .
- (٦٧) الدبس : تاريخ سورية ، ج ٢ ، م ٥ ، ص ٤٠٦ .
- (٦٨) O'Leary : A Short Hist. p. 137.
- (٦٩) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١١ ص ٢٧٠ ، أبو المصاسن .
النجوم الزاهرة ، ج ٤ .
- (٧٠) الغزى : نهر الذهب ، ج ٢ ، ص ٥٧ - ٥٨ ، في حين ينكر ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٧٢ أن هذه الزيادة كانت اما سنة ٣٦٩ هـ او سنة ٣٥٨ هـ وظل الأذان في حلب يزداد فيه حتى على خير العمل محمد وعلى خير البشر الى أيام نور الدين محمود زفكى وذلك في سنة ٥٤٢ هـ حين أمر بإزالة هذا الأذان ومنع سب الصحابة وقال من عاد اليه قاتلته (سبط بن الجوزى .
- مرآة الزمان ، ق ١ ، ج ٨ ، ص ١٩٩ ، ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ، م ٤ .
- مخطوط ص ٤٩٧ ، ب ، سبط بن العجمي الحلبي : كنوز الذهب ، مخطوط .
- ص ٦٤ ، ٦٥ .
- (٧١) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٦ - ١٧ .
- (٧٢) العيني : عقد الجمان ، ج ١٤ م ٤ ، مخطوط ، ص ٥٧٦ .
- (٧٣) نفس المصدر والصفحة .
- (٧٤) سبط بن الجوزى . مرآة الزمان ، ج ١١ م ٢ ، مخطوط ،
- ص ٢٥١ .
- (٧٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٢١٣ .
- (٧٦) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ١١ ، م ٢ ، ص ٢٥٢ .
- (٧٧) حاول صالح الاستيلاء على حلب سنة ٤٠٢ هـ ولكن قبض عليه هو وعدد كبير من أتباعه ثم أفلت صالح من قيوده وقيد بها ابن لؤلؤ ثم أطلق سراحه وقادر حلب (العيني : عقد الجمان ، ج ١٤ ، م ٤ ، ص ٥٧٥ - ٥٧٦ ،
- الطبائخ الحلبي : أعلام النبلاء ، ج ١ ، ص ٢١٥) .

(٧٨) مدينة حصينة من سواحل الشام وكورة من كور حمص ويسمونها بعضهم قامية بغير همزة قيل أن سلقوس بناها هي واللائقية وسلوقية وحلب .
ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ق ٢٦ ، ص ٢٢٧) .

(٧٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٢١٤ .

(٨٠) ابن العديم . زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٢١٤ . عن نسخة بخطام الحاكم ، جاء فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم » هذا من أمر الامام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين لجميع أهل حلب وأعمالها . « أنه لما انتهى إلى أمير المؤمنين ما أنتم فيه من الظلمة المذلّمة ، وقبيح ظفر من يتولى أموركم في المعاملات وزيادتهم عليكم في الخراج والجبايات ، أضعافا لكم ، وعدولا عن سنن الحق بكم ، أمر - زاد الله أمره علوا ونشادا - بإطلاق المؤن من دار كورة ونظائرها ، والصفح عن الواجب عليكم من مال الخراج لاستقبال سنة سبع وأربعمئة لتعلموا أن ضياء الدولة النبوية قد لمع وظهر ، وإن جندس الظلام قد انجاب ودثر » .

(٨١) الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ص ٦٨٤ .

(٨٢) سبط بن الجوزي مرآة الزمان ، ج ١١ م ٢ ، ص ٣٥٤ .

(٨٣) المقرئ : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ١٧٢ .

(٨٤) العيني : عقد الجمان ، ج ١٤ - ٢ ، ص ٦١٣ .

(٨٥) O'Leary : A Short Hist , p. 194.

(٨٦) المقرئ : اتعاظ الحنفا ميكروفيلم ، ص ٧٢ ب .

(٨٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٢١٩ .

(٨٨) المقرئ : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٧٢ (ب) .

(٨٩) كان أول من بنى القلعة بحلب ميخائيل وقيل سلقوس الذي بنى مدينة حلب ، وقيل لما ملك كسرى حلب وبنى سورها بنى في القلعة مواضع ولما فتح أبو عبيدة مدينة حلب كانت قلعتها مرممة الأسوار بسبب زلزلة كانت أصابها قبل الفتح فأخربت أسوار البلد وقلعتها ولم يكن ترميما محكما فنقض بعض ذلك بوبناه . ولما استولى تغفور ملك الروم على حلب سنة ٣٥١ هـ امتنعت القلعة عليه ولم يكن لها حينئذ سور عامر لأنها كانت قد تهدمت (ابن شداد : الأعلام الخطيرة ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٣ - ٢٤) ولم يكن مقام الملوك حينئذ بها بل كانت لهم قصور بالمدينة يسكنونها . وبعد سنة ٣٥١ هـ اهتم الملوك بعمارته وتحصينها وعصى فيها فتح القلعة على مولاة مرتضى الدولة لؤلؤ - كما رأينا - ثم سلمها إلى نواب الحاكم فعصى فيها عزيز الدولة فاتك على الحاكم ، ولما

قتل عزيز الدولة صار الظاهر وولده المستنصر يوليان واليا بالقلعة وآخر
بالمدينة خوفا من أن يجرى ما جرى من عزيز الدولة فلما ملك بنو مرداس سكنوا
فى القلعة (ابن الشحنة : الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب ، ص ٥٥) .
فى حين نجد أن مقر الحكم فى دمشق كان فى دير مروان الذى ظل دار اماره
فى العهد العباسى والطولونى والفاطمى الى أن زالت سلطتهم عن دمشق (ابن
طولون الصالحى : القلائد الجوهريه ، ق ١ ، ص ٩) .

(٩٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٢٢١ ، ابن العميد : تاريخ
المسلمين ، ص ٢٦١ .

(٩١) نفس المصدر . ص ٢٢١ - ٢٢٢ ، ابن العميد : نفس المصدر
والصفحة .

(٩٢) يسميه القلقشندى ابن شعبان (مآثر الأناقة ، ج ١ ، ص ٢٤٤) ولكن
الأرجح ابن شعبان نسبة الى جده .

(٩٣) المقرئى : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٧٥ (ب) .

(٩٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٢٢٣ ، ابن الوردى : تنمة
المختصر ج ١ ، ص ٢٢٣ .

(٩٥) المقرئى : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٧٥ (ب) .

(٩٦) ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٦١ .

(٩٧) المقرئى : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٧٥ ب ، ابن العديم : زبدة
الحلب ، ج ١ ، ص ٢٢٨ .

(٩٨) المقرئى : نفس المصدر والصفحة .

(٩٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(١٠٠) ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٦١ - ٢٦٢ ، ابن العميد :
شذرات الذهب ، ج ٢ ، ص ٢١٥ .

(١٠١) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٢٣٠ ، المقرئى : اتعاظ
الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ١٧١ .

(١٠٢) ابن القلائس : نيل تاريخ دمشق ، ص ٧١ .

(١٠٣) O'Leary . A Short Hist , p. 194.

(١٠٤) العيى : عقد الجمان ، ج ١٤ ، م ٥ ، ص ٧٦١ ، المقرئى : اتعاظ

- الحنقا ، ميكروفيلم ، ص ٨٢ (١) ، ابن العميد . تاريخ المسلمين ، ص ٢٦٢ .
- (١٠٥) الغزى : نهر الذهب ، ج ٣ ، ص ٧٠ .
- (١٠٦) الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء ، ج ١ ، ٣٢٢ ، المقرئى : تعاط
- الحنقا ، ميكروفيلم ، ص ٨٢ (١) .
- (١٠٧) الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء ، ج ١ ، ص ٣٢٢ .
- (١٠٨) O'Leary : A Short Hist., p. 194.
- (١٠٩) العيني : عقد الجمان ، ج ١٤ ، م ٥ ، ص ٨٢٧ - ٨٢٨ .
- (١١٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ : ص ٢٥٠ .
- (١١١) نفس المصدر ، ص ٢٥٠ - ٢٥١ .
- (١١٢) ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ١٦٩ .
- (١١٣) العيني : عقد الجمان ، ص ٢٦٩ .
- (١١٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .
- (١١٥) ابن العديم : ص ٢٥٧ ، الطباخ الحلبي . أعلام النبلاء ، ج ١ ، ص ٣٣١ .
- (١١٦) ابن العديم . ص ٢٤٩ .
- (١١٧) الغزى : نهر الذهب ، ج ٣ ، ص ٧٠ ، أبو الفدا . المختصر فى أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ١٤١ .
- (١١٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .
- Setton & Baldwin : A Hist., of Crusades, V. I., p. 91.
- (١١٩) أرسل جيش سنة ٤٢٥ هـ ولكنه فشل فى مهمته . وفى سنة ٤٢٦ هـ طلب المستنصر من ثمال إرسال المال المقرر على حلب حتى يعترف به رسمياً فرفض (بيشوف الجرمانى : تحف الأنبياء ص ٤٢) وفى سنة ٤٢٧ أرسل جيشاً الى حلب حاصر بن مرداس واستظهر عليه (أبو المحاسن النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٤٠) وفى سنة ٤٤٠ هـ أرسل جيشاً الى حلب بقيادة ابن حمدان والى دمشق ولكن عوامل الطبيعة تضاعفت مع مجهودات ثمال فى صد بن حمدان فعاد الى دمشق (ابن ميسر : أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٣ ، العيني : عقد الجمان ، ج ١٥ م ١ ، ص ٥٨) ولكن فى نفس الوقت بعث ثمال يطلب العفو من المستنصر فأجيب الى ذلك (ابن ميسر : أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٣ ، ابن

العميد : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٢٦٤) ثم عاد شمال إلى عسبانه فأرسل له جيش سنة ٤٤١ هـ فهزم وأسر قائده (الغزى : نهر الذهب ، ج ٣ ، ص ٧١ ، بيشوف الجرمانى : أعلام النبلاء ، ج ١ ، ص ٢٢٤) .

(١٢٠) الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء ، ج ١ ، ص ٢٢٤ وينكر ستانلى لين بول أنه أرسل للمستنصر ٤٠٠٠ دينار .

St. L. Poole : A Hist , P. 160.

(١٢١) بيشوف الجرمانى ، تحف الأنبياء ، ص ٤٢ .

O'Leary : A Short Hist , p. 195.

(١٢٢) ينكر المقرئى : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٩٧ (ب) ، أنه لما

كانت وزارة الجرجراى غرض طرفه عن شمال ورأى أن موادعته أحسن من اتفاق الأموال فى محاربته فكتب بولايته وقرر عليه العمل فى كل سنة وتمادى فى ذلك إلى أيام وزارة الميازورى فلم يرض بهذا ورأى أن الحيلة أبلغ ، لأنه إن أراد صرفه لم يستطع ذلك وإن نابذه التزم كلفا كثيرة فاستعمل السياسة والتدبير الخفى وندب لذلك رجلا من أهل صور له بها رياسة وجاء فقال له حين الدولة على بن عياض قاضى صور فساس الأمور وأحكم التدبير فيما قرره مع كاتب شمال بن صالح وما وعده به حتى نزل من قلعة حلب وسلمها إلى مكين الدولة الحسن بن على بن ملهم .

(١٢٣) ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٧٢ .

(١٢٤) الذهبى : دول الاسلام ، ص ٦٩ ب ، المقرئى : اتعاظ الحنفا ،

ميكروفيلم ، ص ٩٢ ١ . فى حين ينكر ابن العميد : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٢٧٤ أن مكين الدولة تسلمها فى ذى القعدة سنة ٤٤٨ .

(١٢٥) ابن العميد : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٢٧٤ .

(١٢٦) ابن الشحنة : روض المناظر ، ص ١١١ (ظ) ابن العميد . تاريخ

المسلمين ، ص ٢٧٤ . الذهبى : دول الاسلام ، ص ٧٠ .

(١٢٧) كرد على : خطط الشام ، ج ١ ، ص ٢٥٤ .

(١٢٨) الغزى : نهر الذهب ج ٣ ، ص ٧١ .

(١٢٩) ابن القلانص : نيل تاريخ دمشق ، ص ٩٠ .

(١٣٠) ابن العميد : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٢٧٦ .

(١٣١) الذهبى : دول الاسلام ، ص ٧٠ .

(١٣٢) ابن العميد : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ ، ابن العميد :

تاريخ المسلمين ، ص ٢٧٤ .

- (١٢٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٢٧٧ .
- (١٢٤) ابن ميسر : أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ١١ - ١٢ .
- (١٢٥) ابن القلائس : ص ٩٠ ، الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء ، ج ١ ، ص ٢٢٥ .
- (١٢٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٢٧٨ .
- (١٢٧) ابن العديم . زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٢٧٨ .
- (١٢٨) نفس المصدر السابق ، ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٧٥ .
- (١٢٩) نفس المصدر السابق ، ص ٢٧٩ ، وابن العميد نفس المصدر والصفحة . ويؤيد هذا الرأي قول لامانس
- Lammens : La Syrie, V. I, p. 153.
- أن حكم المرداسيين كان يشعر بعدم الطمأنينة من نفسه مهدد في استقلاله من الخليفة الفاطمي .
- (١٤٠) الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء ، ج ١ ، ص ٢٣٦ ، كرد علي : خطط الشام ، ج ١ ، ص ٢٥٤ .
- (١٤١) ابن القلائس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٩٢ .
- (١٤٢) ابن العديم . زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٢٩٧ .
- (١٤٣) جمال سرور : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، ص ٦٠ .
- (١٤٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٦ - ١٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٠١ بل قيل أن الدافع لآلب أرسلان على فتح الشام أن ناصر الدولة ابن حمدان الحاكم المتحكم في الدولة المصرية أرسل يسأله أن يسير له عسكريا من قبله ليقوم الدعوة العباسية وتكون مصر له (كرد علي : خطط الشام ، ج ١ ، ص ٢٦٣) .
- (١٤٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٨ .
- (١٤٦) ابن أبيك الدواداري : كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .
- (١٤٧) ابن العديم . زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٨ .
- (١٤٨) ابن أبيك : كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ٢٨٩ .

(١٤٩) ابن الأثير : الكامل : ج ٨ ، ص ١٠٨ ، ابن أيبك ، ج ٦ ، ص ٢٨٩ .

(١٥٠) ابن القلانيس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٩٨ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٨ ولكن هناك من يرى أن ذلك حدث سنة ٤٦٢ هـ (ابن الأثير : الكامل : ج ٨ ، ص ١٠٨ ، الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٦ .

O'Gahlnila
Gronique Abregee dla - Agimi p. 389.

(١٥١) المقرئزي : اتعاظ الحنفا ، ميكروغيلم من ١٠٥ (ب) .
(١٥٢) جمال سرور : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، ص ٤٤ .

(١٥٣) جمال سرور : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، ص ٤٥ .
(١٥٤) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ، ص ٢٣٦ ، ابن شاکر الکتبی .
عيون التواريخ ، ج ١٢ ، ص ٥٦ ولكنهما يفكران أن ذلك حدث سنة ٢٨١ هـ والراجح أنه في سنة ٤٠١ هـ يؤيد هذا الرأي (المقرئزي اتعاظ الحنفا ، طبعة سنة ١٩٤٨ ، ص ٢٠٨) ثم أن هذه الحركة حدثت في عهد الحاكم وقد تولى سنة ٢٨٦ هـ .

(١٥٥) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ، ص ٢٣٦ ، ابن شاکر الکتبی ، ج ١٢ ، ص ٥٦ .

(١٥٦) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ، ص ٢٣٨ .
(١٥٧) ابن شاکر : عيون التواريخ ، ج ١٢ ، ص ٥٦ .
(١٥٨) جمال سرور : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، ص ٤٦ ، أبو شجاع : ص ٢٣٨ .

(١٥٩) كرد علي : خطط الشام ، ج ١ ، ص ٢٤٦ .
(١٦٠) Bt, L. Poile, A Hiet ..., p. 159.

(١٦١) جمال سرور : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، ص ٤٦ .
كرد علي خطط الشام ، ج ١ ص ٢٤٦ .

(١٦٢) يذكر المقرئزي : اتعاظ الحنفا ، ميكروغيلم ، ص ٦٥ ب (أنه في سنة ٤٠٣ هـ توفي عيسى بن نسطورس فتأسف الحاكم على فقدته من غير قتل وقال ما أسفت على شيء قط أسفى على خلاص بن نسطورس من سيفى وكنت أود لو ضربت عنقه لأنه أسد دولتى وخانتى ووافق على وكتب الى حسان بن الجراح فى المداواة على ... » .

(١٦٣) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

- (١٦٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢٤٨ ، السيوطي
تاريخ الخلفاء السلاطين ، ص ٦٦ - ٦٧ .
- (١٦٥) المقرئ : اتعاظ الحنفا ، طبعة ١٩٤٨ ، ص ٢٧١ - ٢٧٢ .
- (١٦٦) العيني : عقد الجمان ، ج ١٤ ، م ٥ ، ص ٧٢٧ .
- (١٦٧) المقرئ : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٧٧ (١) .
- (١٦٨) نفس المصدر والصفحة ، كرد علي : خطط الشام ، ج ١ ، ص ٢٤٩ .
- (١٦٩) نفس المصدر ، ص ٧٧ (ب) . وهنا ينكر كرد علي أن تلك التحالف
كان سنة ٤٢١ هـ ولكن نحن نرجح الرأي الأول .
- (١٧٠) المقرئ : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٧٨ (ب) .
- (١٧١) المقرئ : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٨١ (١) .
- (١٧٢) ابن أبيك : كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ٣٢٤ .
- (١٧٣) كرد علي : خطط الشام ، ج ١ ، ص ٢٤٩ .
- (١٧٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٢٣١ ، أبو المحاسن : النجوم
الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢٥٢ - ٢٥٣ ، سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ١١ ،
م ٣ ، مخطوط ، ص ٤٦٤ .
- (١٧٥) ابن الأثير : الكامل : ج ٨ ، ص ٣٢ ، ولكن ابن الصيرفي يذكر في
الإشارة إلى من نال الوزارة ص ٢٧ أنه توفي ٤٢٥ هـ ولكننا نرجح رأي ابن
الأثير .
- (١٧٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٣٢ ، ابن الشحنة : روض المناظر ،
مخطوط ، ص ١٠٨ (و) .
- (١٧٧) كرد علي : خطط الشام ، ج ١ ، ص ٢٥٩ ينكر ابن خلدون أن
للدول أعماراً طبيعية كالاشخاص لا تنتقص في الدول التي يحكمها الأفراد حكماً
استبدادياً وسعادة الدولة لا تقوم كالأفراد أكثر من أربعة بطون . الأول يفتح
ويجمع ، والثاني ينظم ويرتب ، والثالث ينعم ويتمتع والرابع يفرق ويخرب .
- (١٧٨) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٨٧ ، النويري : نهاية
الأرب ، ج ٢٤ ق ٢ ، ص ١٠٧ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١١٠ وهو
يذكر أن ذلك كان سنة ٤٦٤ هـ وسواء كان هذا الرأي أم ذاك فقد بدأت البلاد
تدخل طوراً جديداً في حياتها .
- (١٧٩) كان أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية تركيا إذ كان أبوه أحد
الأتراك الذين كان يرسلهم الولاة من بلاد ما وراء النهر إلى الخلفاء العباسيين
ضمن هداياهم (حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام ، ج ٣ ، ص ١٣٦ ، كرد علي :

خطط الشام ، ج ١ ، ص ٢٠٢) في حين كان أبو بكر محمد بن طنج بن جف رجلاً تركياً من أولاد ملوك فرغانة ، وكان كل ملك من ملوكها يلقب بالخشيد ، كما يلقب ملك الفرس بكسرى ، وملك الروم بقيصر وملك الحبشة بالنجاشي (فيليب حتى : تاريخ سورية ، ج ٢ ، ص ١٩٠ ، حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام ، ج ٢ ، ص ١٢٥) .

• (١٨٠) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ، ج ٣ ، ص ٤٢٥ .

• (١٨١) المقرئ : اتعاظ الحنفا ، ص ٢١٨ .

• (١٨٢) ابن شاکر : عيون التواريخ ، ج ٩ ، مخطوط ، ص ٩١ .

• (١٨٣) ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٦٣ .

• (١٨٤) ابن شاکر : عيون التواريخ ، ج ٩ ، مخطوط ، ص ١٠٩ .

• (١٨٥) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٢٨١ ، ابن الاثير الكامل

ج ٧ ، ص ٦٣ .

• (١٨٦) المقرئ : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٩٤ .

• (١٨٧) عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله ، ص ٤٧ .

• (١٨٨) أرسل العزيز لفتكين رسولا وقال له قل : يا فتكين انا العزيز

وقد أزعجتني عن سرير ملكي وأخرجتني لمباشرة الحرب بنفسى وأنا مسامحك

بجميع ذلك وصافح لك عنه فأتى ما أنت عليه ولذ بالعفو منى تلك عهد الله وحيثاقه

أتى أوامرك وأصطفيك وأتوه . باسمك وأجعلك أسفهلار عسكرى وأهب لك

الشام بأسره وأتركه فى يدك فمضى الرسول ثم أعاد اليه الفتكين الرسالة وخرج

بحيث يراه الناس وترجل وقبل الأرض مرارا ومرغ خديه عليها معفرا وقال له .

لأمر المؤمنين لو تقدم هذا القول منك لسارعت اليه واطعت أمرك فاما الآن

ليس إلا ما ترى فرجع الرسول للعزيز بذلك فقال له : قل له يقرب منى بحيث

يرانى وأراه فإذا استحلقت أن يضرب فى وجهى بالسيف فليفعل - فمضى بذلك

فقال له . ما كنت الذى أشاهد طلعة أمير المؤمنين وأتأبذه بالحرب وقد خرج

الأمر عن يدي .

(ابن القلائس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٨ - ١٩ ، ابن الاثير : الكامل ،

ج ٧ ، ص ٦٤ .

• سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ١١ ، م ١ ، ص ٩٣ ، ٩٤ .

• (١٨٩) ابن القلائس : ص ١٩ ، ابن الاثير ، ج ٧ ، ص ٦٤ .

• (١٩٠) عندما حمل الفتكين للعزيز لم يشك فى أنه سيقتله ولكنه عندما دخل

حمل الى دمت قد نصب له ليجلس عليه فرمى نفسه الى الأرض ورمى ما على

رأسه وعفر خديه علي التراب وبكى بكاء شديدا سمع منه نسيجه وقال : ما استحققت الابقاء علي فضلا عن العفو الكريم ولكن مولانا أبي الا ما يقتضيه أعرافه الشريف وامتنع من الجلوس في الدست وقعد بين يديه وأتاه بعد ساعة أمين الدولة الحسن بن عمار وهو أجل كتابه وجوهر ومعهما عدة من الخدم علي أيديهم الثياب فسلما عليه وأعلماه رضا العزيز عنه . . . وقال له : أمير المؤمنين يقسم عليك بحقه الا طرحت سوء الاستشعار وعدت الي حالة السكوت والانبساط فجدد الدعاء وتقبيل الأرض وشكر جوهر علي ما ظهر منه في أمره (ابن القلائس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٩ - ٢٠) .

St. L. Poole : A Hist. Of Egypt., V. I., p. 119-120. (١٩١)

(١٩٢) المقرئى : اتعاط الحنفا ، ص ٢٤٤ .

(١٩٣) نفس المصدر والصفحة ، مصطفى غالب : تاريخ الدعوة الاسماعيلية ،

ص ١٥٩ ، حسن ابراهيم ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٦٣ .

St. L. Poole : A Hist ..., p. 159.

(١٩٤) ابن أيبك : كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ١٨٩ .

(١٩٥) ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٦٣ .

(١٩٦) ابن القلائس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢١ ، بن الأثير ، الكامل ،

ج ٧ ، ص ٦٤ .

(١٩٧) ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٣٧ .

O'Leary : A Short Hist ..., p. 119-120., (١٩٨)

(١٩٩) المقرئى : اتعاط الحنفا ، ص ٢٥٧ ، ابن خلدون العبر ، ج ٤ ،

ص ٥٣ .

وهنا ينفرد ابن شاکر وابن كثير برأى آخر الراجح انه غير صحيح ويبدو أن ابن شاکر نقله عن ابن كثير وهو أن بلتكين التركى قدم من مصر فى يوم الخميس سابع عشر المحرم سنة ٣٧٦ هـ فآخذها من قسام .

(ابن شاکر : عيون التواريخ ، ج ٩ ، ص ١٧٦ ، ابن كثير : البداية

والنهاية ، ج ١١ ، ص ٢٩٣) أما سبط ابن الجوزى فيعطينا رأيا ثالثا بعيدا

كل البعد عن الصنعة وهو أن بلتكين التركى قدم واليا على دمشق فى سنة

٣٧٧ هـ وكان عليها قسام الحارثى ويعود مرة أخرى لينكر أنه فى سنة ٣٧٨ هـ

ولى العزيز بالله على دمشق منير الخادم وعزل عنها بكجور التركى وقيل إنما

أخرج منها بلتكين لأنه كان قد عصى على خليفة مصر (سبط بن الجوزى : مراة

الزمان ، ج ١١ م ١ ، ص ١٢٨ - ١٤٠) مما يظهر مدى اضطرابه وبذلك يكون

رأى المقرئى وابن خلدون هو الأرجح .

- (٢٠٠) ابن القلانص : نيل تاريخ دمشق ، ص ٢٩ ، النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٤ ق ٢ ، ص ٥١ بيبيرس الدواداري : زبدة الفكرة ، ج ٦ ، ص ٢٥٦ (ب) .
- (٢٠١) ابن القلانص : ص ٢٧ - ٢٨ ، بيبيرس الدواداري : زبدة الفكرة ، ج ٦ ، ص ٢٥٦ (١) .
- (٢٠٢) نفس المصدر ، ص ٢٨ ، ابن الأثير . الكامل ، ج ٧ ، ص ١١٢ .
- (٢٠٣) ابن القلانص : ص ٢٨ .
- (٢٠٤) بيبيرس الدواداري : زبدة الفكرة ، ص ٢٥٦ (ب) ، ابن القلانص ، ص ٢٨ ، ابن الأثير : الكامل ج ٧ ، ص ١١٢ .
- (٢٠٥) ابن الأثير . الكامل ، ج ٧ ، ص ١١٣ .
- (٢٠٦) ابن أبيك . كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ٢١٠ .
- (٢٠٧) ابن القلانص : ص ٢٩ .
- (٢٠٨) ابن أبيك : كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ٢١١ - ٢١٢ ، أبو الفدا : المختصر ج ٢ ، ص ١٢٣ .
- (٢٠٩) ابن القلانص : نيل تاريخ دمشق ، ص ٢٩ .
- (٢١٠) ابن أبيك : ص ٢١٢ .
- (٢١١) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٧٧ .
- (٢١٢) ابن أبيك ، ص ٢٢٠ .
- (٢١٣) نفس المصدر ، ص ٢٢١ .
- (٢١٤) الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء ، ج ١ ، ص ٣٠٠ .
- (٢١٥) ابن أبيك : كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ٢٢٢ ، ابن القلانص ، نيل تاريخ دمشق ، ص ٣٠ .
- (٢١٦) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٥٤ .
- (٢١٧) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٢٨٦ .
- (٢١٨) عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله ، ص ٣٦ .
- (٢١٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٧٨ ، المقرئ : انعاظ الحنفا ، ص ٢٦٠ .
- (٢٢٠) نعمان قساطلي : الروضة الغناء ، ص ٤٣ .
- (٢٢١) منجوتكين من الأعلام التركية المؤلفة من كلمتين ، منجوت (غش)

وتكنين (المغوار أو الشجاع أو الباسل) (ابن الصيرفي : الإشارة الى من قال الوزارة ، ص ٦٨) .

(٢٢٢) ابن ميسر : أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٤٨ ، المقرئى : اتعاط الحنفا ، ص ٢٦٩ هنا يستطرد المؤرخان الى احصاء النعم والخلع التى خلعها العزيز على منجوتكين فيذكران أنه حمل اليه عشرة أحمال فيها مائة الف دينار ومائة قطعة من الثياب الملونة على ايدى خمسة وعشرين غلاما وعشر قباب بأقشية ومناطق مثقلة واهلة وفروش وخمسين بندا منها ثلاثة مثقل وعشر منجوقات وعشرة أفراس قيد ذلك كله بين يديه فأقام بمنية الأصبغ (مكان تدريب جيش بنجوتكين) شهرين ونصف شهر يخرج اليه العزيز لمشاهدة لعب الغلمان وينفذ اليه كل يوم جائزة وخلعا .

• (٢٢٣) ابن ميسر ، أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٤٨ - ٤٩ .

• (٢٢٤) المقرئى : اتعاط الحنفا ، ص ٢٦٩ .

• (٢٢٥) ابن القلائس : نيل تاريخ دمشق ، ص ٤٠ .

• (٢٢٦) نفس المصدر والصفحة .

• (٢٢٧) ابن ابيك : كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ٢٢٢ .

• (٢٢٨) المقرئى : اتعاط الحنفا ، ص ٢٧٠ .

• (٢٢٩) المقرئى : اتعاط الحنفا ، ص ٢٧٤ .

• (٢٣٠) كان الحمام الزاجل يستخدم فى البريد فى ذلك الوقت .

• (٢٣١) المقرئى ، ص ٢٧٥ .

• (٢٣٢) ابن القلائس : نيل تاريخ دمشق ، ص ٤٢ .

• (٢٣٣) ابن ميسر : أخبار مصر : ، ج ٢ ، ص ٥٠ .

• (٢٣٤) نفس المصدر والصفحة ، ابن القلائس ، ص ٤٤ .

• (٢٣٥) أبو شجاع : نيل تجارب الأمم ، ص ٢٢٢ .

(٢٣٦) C'Deary é A Short Hist ... , 125.

• (٢٣٧) ابن القلائس : نيل تاريخ دمشق ، ص ٤٦ .

• (٢٣٨) أبو شجاع : نيل تجارب الأمم ، ص ٢٢٢ .

• (٢٣٩) نفس المصدر والصفحة ، ابن القلائس : نيل تاريخ دمشق ،

ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٢٤٠) أبو شجاع : ص ٢٢٢ .

(٢٤١) Lammens : La Syrie ..., p. 147.

(٢٤٢) ابن عساكر : التاريخ الكبير ، ص ٢٢٥ .

(٢٤٣) نفس المصدر : ص ٢٢٦ .

(٢٤٤) نفس المصدر والصفحة .

(٢٤٥) وقد أجمع على هذا الرأي كل من ابن عساكر وأبو المحاسن وسبط

ابن الجوزي .

(ابن عساكر . التاريخ الكبير ، ج ٦ ، ص ٢٢ ، أبو المحاسن : النجوم

الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢٣٩ ، سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ١١ ، م ٢ ،

ص ٢٦٨) في حين ينفرد ابن القلائس برواية أخرى وهي أن د شهم الدولة

شاطكين ولي دمشق في العاشر من صفر سنة ٤٠٧ هـ ثم وصل ابن زوجته القائد

يوسف بن باروخ واليا على دمشق في ذي القعدة سنة ٤٠٧ هـ الا أن شهم الدولة

لم يرحل الى مصر الا في الثامن من جمادى الثانية سنة ٤٠٨ هـ ابن القلائس (

نيل تاريخ دمشق ، ص ٦٩) ونحن نرجح أن شاتكين تولى في آخر سنة ٤٠٦ هـ

استنادا الى رأى ابن عساكر ، وربما يكون قد تأخر في الحضور الى دمشق

الى العاشر من صفر سنة ٤٠٧ هـ على رأى ابن القلائس .

(٢٤٦) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ١١ ، م ٢ ، ص ٢٨٦ ،

العيني : عقد الجمان ، ج ١٤ ، م ٤ ، ص ٦٦٥ .

(٢٤٧) ابن عساكر : التاريخ الكبير ، ج ٦ ، ص ٤٢ ، ابن القلائس

نيل تاريخ دمشق ، ص ٦٩ .

(٢٤٨) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢٤٢ سبط بن الجوزي

مرآة الزمان ، ج ١١ ، م ٣ ، ص ٢٨٦ - ٢٨٧) .

O'Leary : A Short Hist ..., p. 175.

(٢٤٩) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢٤٢ ، سبط بن الجوزي .

مرآة الزمان ، ج ١١ ، م ٣ ، ص ٢٨٧ .

(٢٥٠) ابن عساكر . التاريخ الكبير ، ج ٦ ، ص ٦٦ ، ابن القلائس ،

ص ٧١ .

(٢٥١) الذهبي : تاريخ الاسلام ، ق ١ : م ١١ ، ص ١٤٧ وهو يسميه

سختكين .

(٢٥٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢٦٨ ، ابن القلائس ،

ص ٧٢ .

- O'Leary : A Short Hist ..., p. 191. (٢٥٣)
- O'Leary : Ibid., p. 192. (٢٥٤)
- (٢٥٥) ابن خلدون . العبر . ج ٤ ، ص ٦٢ .
- نكر ابن عساكر أن الوزير الجرجاني بلغه عنه أنه قال قد خرف الوزير
فكاتب الوزير أهل دمشق واعسد الحار بينه وبينهم (ابن عساكر التاريخ الكبير .
ج ٢ ، ص ١٥٢) .
- (٢٥٦) ابن العديم . ريدة حلب ، ج ١ ، ص ٢٦٠ ، ابن القلانص ،
ص ٧٦ .
- (٢٥٧) العيني عقد الجمان ، ج ١٥ ، م ١ ، ص ٢٠ .
- (٢٥٨) ورد الكتاب بأكمله في نيل تاريخ دمشق لأبن القلانص ، ص
٧٦ - ٧٧ .
- (٢٥٩) نص كتابه في المصدر السابق ، ص ٧٧ - ٧٨ .
- (٢٦٠) سورة النساء ، الآية ٧٨ .
- (٢٦١) ما وصل .
- (٢٦٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣٤ ، الطباخ الحلبي .
- أعلام النبلاء ، ج ١ ، ص ٢٢١ في حين يذكر ابن القلانص أنه مات بعد أن
أصابه شلل في يده ورجله اليمنى وذلك في سنة ٤٣٦ هـ (ابن القلانص . ص ٧٨)
وسواء كان هذا السبب أم ذاك فنحن نرجح أنه توفي سنة ٤٣٣ هـ لاجتماع
المراجع على ذلك ويبدو أن ابن القلانص أخطأ في ذكر السنة .
- (٢٦٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣٤ .
- Lammens : La Syries ..., V. I., p. 153. (٢٦٤)
- (٢٦٥) العيني : عقد الجنان : ج ١٥ ، م ١ ، ص ٢١ .
- (٢٦٦) ابن القلانص : ص ٨٤ ، ابن خيسر : أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٤ .
- (٢٦٧) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٤٥ .
- (٢٦٨) الذهبي : تاريخ الاسلام ، ق ٣ ، م ١١ ، مخطوط ، ص ٣٩٠ .
- (٢٦٩) ابن القلانص ، ص ٩٠ .
- (٢٧٠) ابن عساكر : تهذيب ابن عساكر ، ج ٦ ، ص ٦٤ .
- (٢٧١) ابن القلانص : ٩٢ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٧٢ .
- (٢٧٢) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٢٨٣ .
- (٢٧٣) ابن القلانص : ص ٩٢ ، ابن عساكر : التاريخ الكبير ، ج ٥ ،
ص ٢٢ .

(٢٧٤) ابن ميسر . أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ١٦ .
(٢٧٥) ابن القلانص . ص ٩٢ ويذكر ابن الأثير في الكامل ، ج ٨ ،
ص ١٧٢ انه هرب للمرة الثانية سنة ٥٦٠ هـ ولكن يبدو أنه اخطأ في الأرقام
والراجع أنها سنة ٤٦٠ هـ .

(٢٧٦) ابن خلكان . وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ١٦٠ .
St. L. Poole : A Hist., p. 150.

(٢٧٧) ابن الصيرفي : الإشارة الى من نال الوزارة ، ص ٥٥ .
(٢٧٨) نفس المصدر والصفحة .
(٢٧٩) عبد المنعم ماجد : السجلات المستنصرية ، ص ٦٢ - ٦٦ جاء في
نصه : « أما بعد : فإن السيد الأجل ، أمير الجيوش ، سيف الاسلام ،
ناصر الاسلام ، كافل القضية المسلمين وهادى دعاة المؤمنين ، عضد الله به
الدين ، وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين .. الآية التى أطلع الله بها لأمير
المؤمنين شمس الخلافة فشرقت ، والموهبة التى وهبها لدولته وللإسلام فظهرت
وأشرقت .. هجر الكرى فى الخدمة .. حتى أصبحت الملكة بلطف الله وآيائه
محفوظة النظام ، مكبوتة الأضداد .. » .

(٢٨٠) ابن الصيرفي : الإشارة ، ص ٥٥ .
(٢٨١) نفس المصدر والصفحة : فى حين يذكر ابن خلكان : وفيات الأعيان ،
ج ٢ ، ص ١٦٠ انه وصل القاهرة فى آخر جمادى الأولى وقبل الأخرى سنة
٤٦٦ هـ ونحن نرجح رأى ابن الصيرفي فهو معاصر أكثر ومتخصص فى دراسة
الوزراء فى مصر .

St. L. Poole : A Hist. ..., p. 150. (٢٨٢)

(٢٨٣) ابن الصيرفي : الإشارة ، ص ٥٦ .
St. L. Poole : Op. Cit., p. 151. (٢٨٤)

(٢٨٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ١٦٠ .
Vasiliev : History of The Byzantine Empire ..., p. 311. (٢٨٦)

(٢٨٧) ابن عساكر : التاريخ الكبير ، ج ١ ، ص ٥٨ : قال أبو الدرداء .
« سيفتح على أمتى من بعدى الشام وشيكا ، فإذا فتحها واحتلها فأهل الشام
مرابطون الى منتهى الجزيرة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم وعبيدهم فمن احتل
ساحلا من تلك السواحل فهو فى جهاد ومن احتل بيت المقدس وما حولها
فهو فى رباط » وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لجلسائه يوما ، أى الناس
أعظم أجرا فجعلوا يذكرون له الصوم والصلاة ويقولون فلان وفلان بعد أمير

المؤمنين ، فقال الا اخبركم بأعظم الناس اجرا ممن نذرم ومن أمير المؤمنين قالوا بلى ، قال . رويجل بالشام اخذ بلجام فرسه يحلا من وراء ببضه المسلمين ، يدري اسبع يحرسه ام هامة يدعه او عدو يعساه عدب اعظم اجرا ممن نكروتم ومن أمير المؤمنين »

(١٨٨) ابن العديم : بغيه الطلب في تاريخ حلب ، ج ١ ، مخطوط

ص ٢٦٨ - ١٧٢ (وهي هنا حاصه بطرسوس)

في وقت وقع النفير برحب المتولى للحسبة ورجالته بين يديه ينادونه بأعلى أصواتهم يقولون النفير يا أصحاب الخيل والرجال ، النفير حملكم الله الى باب معين يعينونه لهم وتطلق ساير أبواب المدينة ، ولا تزال مغلقة حتى يعود السلطان من النفير ، فتفتح الأبواب المغلقة كلها ويطوف المحتسب ورجالته الشوارع كلها عادا كان دلت نهارا انضاف الى رجالته عدد خير من الصبيان وساعدوهم على النداء بالنفير وحض الناس على المسير في اثر الأمير اين اخذ وكيف سار . ويتردد المحتسب في الاسواق اذا طال امر النفير ويبعث على اللحق بمن سار مع الأمير وبمن توجه الى النفير فلا يزال الامر على هذا حتى يعود السلطان الى دار الامارة ويخرج الى النفير قواد الرجاله معروفون متى عقد السلطان لقائده من الفرسان فيبعثه للقاء من ورد من ذلك الوجه انضاف اليه قائدا من قواد الرجاله واتباعه من أجلاذ الرجاله أهل القوة والنشاط حتى اذا نزلوا اول منزل أقبل شيخ شيوخ من الصلحاء معروفون بحفظ من هناك من الغلمان المزموقين بالصاحه والوطاة فتتضاف طبقة الى ذى معرفتهم وثقتهم وحصلوا تحت علمه . وكان الصبي اذا خرج من حد الطفولة واشتد عضده وقارب حد البلوغ أو بلغ وتجاوز البلوغ انضاف الى قائد من قواد الرجاله الذين تكثرت وصحبته في نفيره وغزوه وارتاد لنفسه الرفاق فاذا التحى وخرج عن حد المد دخل في جمهور الناس حاذقا بما يحتاج اليه ماهرة بصيرا بالجهاد وتدبير أمره نافذا يقظا .

(٢٨٩) ابن كثير البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٢٦٨

(٢٩٠) بيزنس الدوادارى : زبدة الفكرة ، ج ٦ ، ص ٢٠٧ (ب) في حين

ينكر ابن شاکر الكتبي : عيون التواريخ ، ج ٨ ، ص ٥٣٤ - ٥٣٥ ان ذلك حدث سنة ٢٥٩ هـ والأرجح انه حدث سنة ٢٥٨ هـ

(٢٩١) سبط بن العجنى الحلبي : كنوز الذهب ، مخطوط ، ص ٥٠ ،

أبو الحسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٥٥

(٢٩٢) شبط بن العجنى الحلبي : ص ٥٠ .

Vasiliev : Hist. Of The Byzantine ..., p. 309. (٢٩٣)

- (٢٩٤) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ١١ ، م ١ ، ص ١١ .
(٢٩٥) أبو الفدا : المختصر ، ج ٢ ، ص ١١١ ، ابن الأثير . الكامل ،
ج ٧ ، ص ٢٧ .

(٢٩٦) جاء في كتاب مرآة الزمان لابن الجوزي ، ج ١١ ، م ١ ، ص ١٢ :
« قيل أنه كان ولد رجل سام من أهل طرسوس يعرف بابن الفقاس وكان نقفور
رجلا شجاعا مدبرا سايساً لم ير مثله من عهد الاسكندر ذي القرنين وهو الذي
فتح حلب ولم يفتحها أحد قبله فعظم في عين الروم وجلت منزلته وارتفع
قدره فوثب على الملك الذي كان في زمانه فقتله وجلس مكانه وتزوج امرأته
على كره منها وكان لها ولدان من المقتول وصرف نقفور همه الى البلدان
الاسلامية حتى ملك العديد منها وطل أمره في ارتفاع حتى فكر في اخضاع
ولدى زوجته ويهديهما للبيعة فلما علمت احتمالت عليه حتى أدخلت اليه من
قتله في ليلة الميلاد وأجلس ابنها الأكبر مكانه وقيل أن الذي قتله هو الدمستق
(وهو اسم لكل من يلي بلاد الروم شرق حلب بالقسطنطينية) . »

Hist. de Yahya Ibn Sa'id D'antioche ..., p. 127-128. (٢٩٧)

لم يشك أحد في أن نقفور الملك فتح جميع الشامات وديار ربيعة وديار
بكر وذلك أنه كان قد بنى أمره على قصد سواد المدن والقرى فيخزوها ويحرقها
ويسبي أهلها ومواشيها وإذا بلغ وقت الحصاد يخرج وأحرق جميع الغلات
وترك أهل المدن يموتون جوعاً وكان لا يزال يفعل ذلك بهم سنة بعد سنة الى
أن تدفعهم الضرورة الى تسليم المدن اليه فملك بذلك الثغور الشامية بأسرها
والثغور الجزيرية وقتل من أهلها وسبي ما لا يحيط بعدده إلا الله تعالى لكثرة
حتى كانت غزواته قد صارت كالغزاة لأصحابه لأنه لم يكن يقصد بهم أحداً
ولا يخرج بين أيديهم وكان يقصد حيث يشاء ويخرب كيف أراد من غير أن
يلقاه أحد من المسلمين ولا غيرهم ولا يدفعه عما يريد دافع ولا مانع :

(٢٩٨) الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ص ٤٨٩ .

(٢٩٩) المقرئزي : اتعاظ الحنفا ، ص ١٢٦ .

(٣٠٠) ابن أبيك : كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ١٢٣ .

(٣٠١) أسد رستم : الروم ، ج ٢ ، ص ٤٨ .

(٣٠٢) ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٨ .

(٣٠٣) المقرئزي : اتعاظ الحنفا ، ص ١٢٦ .

(٣٠٤) الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٥٤٤ - ٥٤٥ .

(٣٠٥) نفس المصدر ، ص ٥٤٦ .

(٣٠٦) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٦٤ (ينتمى حنا زمسكيس الى أسرة أرمينية عريقة ، احترف الجندية منذ حداثة سنه تان مشور الذى يتصل به من جهة أمه ٠٠ صاحب نقفور فى حملات عديدة ٠٠ وقد تمتع بمحبة الجند لما اشتهر به من البساطة والشجاعة . لما تولى العرش شغل الوظيفة التى كان يحتلها الامبراطور البيزنطى قبله وهى وظيفة قائد القوات البيزنطية فى الأناضول (الدمستق) فصار لزاما عيله أن يواصل ما قام به نقفور من فتوح (الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٥١٦ - ٥١٧) « وهنا يجب ألا ننسى أن من العوامل التى أدت الى هجوم البيزنطيين على بلاد الشام فى ذلك العصر ، هو رغبتهم فى استعادة مستعمراتهم القديمة فى الشرق الأدنى ، والتى كانوا قد فقدوها فى القرن السابع الميلادى عندما قام العرب بحركة فتوحاتهم الكبرى ، وزادت هذه الرغبة نتيجة لما شعر به البيزنطيون من نمو قوتهم فى القرن العاشر الميلادى ، وكذلك على أثر الانتصارات الاولى التى أحرزوها أثناء تقدمهم فى الشرق (عمر كمال : مقدمات العدوان الصليبي على الشرق العربى ، ص ٩٦ ، ٩٧) .

(٣٠٧) الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٥٤٦ عمر كمال : مقدمات

العدوان الصليبي ، ص ٩٩ - ١٠٤ .

(٣٠٨) المقرئى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢١٤ .

(٣٠٩) C. Cahen : La Chronique Abrégée d'al-Azimi .

(٣١٠) المقرئى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٣٠ .

(٣١١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٦٤ .

(٣١٢) الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٥٤٧ .

(٣١٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٦٥ .

(٣١٤) المقرئى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٢١ (وهو ينكر أن المدافع عنها

هو الفتكين التركى) ، ابن ايبك . كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ١٧٠ وهنا يذكر

ميخائيل البعلبكي : تاريخ بعلبك ، ص ٢٣ أن دخول الشمش بعلبك كان سنة

٣٦٣ هـ ولكن الأرجح أنه كان سنة ٣٦٤ هـ .

(٣١٥) ابن القلانيس : نيل تاريخ دمشق ، ص ١٣ .

(٣١٦) نفس المصدر والصفحة .

- (٢١٧) نفس المصدر والصفحة ، ابن أبيك : ص ١٧٠ .
- (٢١٨) المقرئى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٢٢ فى حين ينكر البائمز العرينى .
الدولة البيزنطية ، ص ٥٥٤ أنها ستون ألف دينار كل عام ، أما ابن القلائس ،
ص ١٣ فيذكر أنها مائة ألف درهم .
- (٢١٩) ابن أبيك ، ج ٦ ، ص ١٧٠ وهنا يذكر أسد رستم : الروم ، ج ٢ ،
ص ٤٨ أنه قبل بقاء حامية مسيحية فى المدينة .
- نصت اتفاقية دمشق سنة ٩٧٥ م على : طاعة أهل دمشق للامبراطور
البيزنطى وتعهدهم بقدر معين من المال يدفعونه له سنويا . وفى مقابل ذلك تعهد
لهم الامبراطور بالأمان على أنفسهم وأموالهم ، والدفاع عنهم ضد من يتهددهم
من الأعداء .
- (عمر كمال مقدمات العدوان الصليبي ، ص ١٥٩) .
- (٢٢٠) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٦٥ - ٦٦) .
- (٢٢١) أسد رستم . الروم ، ج ٢ ، ص ٤٨ - ٤٩ .
- (٢٢٢) Vasiliev : Hist. Of Byzantine Empire ..., p. 310.
- (٢٢٣) Vasiliev : Obid, p. 310.
- (٢٢٤) أسد رستم : الروم ، ج ٢ ، ص ٤٩ .
- (٢٢٥) ابن القلائس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٤ .
- (٢٢٦) ابن أبيك : كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ١٧٠ - ١٧١ . المقرئى : اتعاظ
الحنفا ، ص ٢٢٢ .
- (٢٢٧) نفس المصدر ، ص ١٧١ . نفس المصدر والصفحة .
- (٢٢٨) ابن القلائس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٦٤ .
- (٢٢٩) المقرئى اتعاظ الحنفا ، ص ٢٢٢ . حتى قيل أنه أقام عليها حوالى
أربعين يوما وبدأ فى بناء العرادات والمناجق (ابن القلائس : ج ١٤ ، ابن
العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٣٣ ، ابن أبيك ، كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ١٧١) .
- (٢٣٠) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٦٦ ، عمر كمال :
مقدمات العدوان الصليبي ، ص ١٦٧ - ١٦٨ .
- (٢٣١) الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٥٥٥ ، عمر كمال : مقدمات
العدوان الصليبي ، ص ١٦٩ . وقد شهد هذا العصر انتعاش الخطابة نتيجة لاشتداد
الخطر البيزنطى . وهب المتحمسون ليعتلوا المنابر ويحثوا المسلمين على الجهاد

والدفاع عن « دار الاسلام » وكان من أبرز الشخصيات التي قامت بمجهود كبير في الدعوة للجهاد ، الخطيب والفقير المعاصر ابن نباته ، (عمر كمال : مقدمات العدوان الصليبي على الشرق العربي ، ص ٨٩) . وحصن صهيون حصن حصين من سواحل بحر الشام من أعمال حمص ولكنه ليس بمشرف على البحر ، وهو قلعة حصينة في طرف جبل (ياقوت الحموي معجم البلدان ، ج ١٢ ص ٤٣٦) أما حصن برزويه : فهو قرب السواحل الشامية على جبل شاهق يضرب به المثل في جميع بلاد الأفرنج (ياقوت : ج ٣ ، ص ٢٨٣) فيقول الناس كأنه في حصن برزويه وهو يعرف بهذا الاسم أيضا (ابن العديم : بغية المطلب في تاريخ حلب . المجلد ٢ ، ص ٤٠٤) .

(٢٣٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٥٦٦ ، أسد رستم ، الروم ، ج ٢ ، ص ٤٩ وهنا ينكر سبب وضع السم له انه أثناء عودته الى العاصمة شاهد اراضى مسيحية جميلة خصبة ، فسأل عن مالكتها فقبل له انها تخص ، رئيس الخصيان باسيلوس المقدم بين الوزراء . فاستعظم يوحنا هذا الأمر نظرا لاحتياج الدولة وشقاء رؤسائها في سبيل الفتوحات وبلغ هذا باسيلوس نفسه فخاف ودس سما خفيفا للامبراطور فقتله في مدة لا تبلغ السنة . أما عمر كمال . مقدمات العدوان الصليبي ، ص ١٧٠ فيذكر ان هناك بعض المؤرخين يرون انه أصيب بحمى التيفود في أواخر مدة حملته على الشام وأنه مات متأثرا بهذا المرض .

(٢٣٣) ابن القلانص : نيل تاريخ دمشق ، ص ١٠٤ ، ابن العميد ، تاريخ المسلمين ، ص ٢٣٣ .

(٢٣٤) ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ .

(٢٣٥) Vasiliev : Op. Cit., p. 310.

(٢٣٦) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٦٦ - ٦٧ .

(٢٣٧) Vasiliev : Op. Cit., p. 310.

(٢٣٨) الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ص ٦١١ .

(٢٣٩) ابن حوقل : صورة الأرض ، ق ١ ، ص ١٧٧ .

(٢٤٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٧٤ . في حين ينكر

جروسية أن سعد الدولة اضطر للاعتراف بأنه تابع لبيزنطة بدفع ٢٠٠٠٠٠ درهم أو ٢٠٠٠٠ دينار .

Grousset : L'Empire du Levant ..., 123.

(٢٤١) ابن العديم . زبدة الحلب : ج ١ ، ص ١٧٤ .

(٢٤٢) نفس المصدر السابق ، ص ١٧٥ ويذكر أن هناك سببا آخر لرجوع الدمشقي هو أنه رأى في نومه المسيح وهو يقول له مهديا : « لا تحاول أخذ هذه المدينة » ، وفيها ذلك الساجد على الترس . وأشار الى موضعه في البرج الذي بين قنشرين وبرج الغنم في المسجد المعروف بمشهد النور فلما أصبح ملك الروم سأل عنه فوجده ابن أبي نعيم عبد الرازق بن عبد السلام العابد الحلبي وكان ذلك سببا لرحيله عن حلب .

(٢٤٣) Grousset : L'Empire du Levant ..., p. 123.

(٢٤٤) Grousset : Ibid. p. 123.

(٢٤٥) ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٤٩ والراجع أنه جعل دوقا على انطاكية وليس دوقس .

(٢٤٦) نفس المصدر والصفحة .

(٢٤٧) فبعد هزيمة الامبراطور باسيل في بلاد البلغار بدأت الأرستقراطية البيزنطية تتشجع على الثورة فتجهز سكليروس لغزو آسيا وكان يدعى الملك لنفسه في حين أن بارداس فوكاس لم يكن بأقل طموحا من سكليروس ولم ينس ما نزل به في السنوات القليلة الماضية من الازلال والمهانة بأن عزله عن دمشق الشرقية التي يتولى صاحبها القيادة العامة للجيش البيزنطية في الشرق . يضاف الى ذلك أن بارداس اتخذ عمه الامبراطور نقفور فوكاس مثله الأعلى ثم أعلن نفسه امبراطورا في أغسطس سنة ٩٨٧ م - ٣٧٧ هـ . وهكذا أصبح هناك امبراطوران ، في آسيا بارداس سكليروس وبارداس فوكاس ، وامبراطوران بالقسطنطينية (باسيل وقسطنطين) وخشى الأولان اذا تطاحنا أفاد من ذلك الآخران فتحالفوا واتفقا ضد عدوهما المشترك . وعلى ذلك بدأ باسيل يستعين بالجند المرتزقة من الروس . ليوازن بذلك الانشقاق الداخلي في امبراطوريته بينه وبين كبار القواد . وأدت هذه الظروف مجتمعة الى خوف باسيل من الدخول في حرب مكشوفة مع الفاطميين فسعى لعقد هدنة مع الفاطميين سنة ٣٧٧ هـ (الباز العريني الدولة البيزنطية ، ص ٦٠٧ ، ٦١٠ ، ٦١٢ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٦٨) .

(٢٤٨) الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ص ٦١١ .

(٢٤٩) Grousset : L'Empire du Levant ..., p. 123.

- (٢٥٠) مصطفى غالب : تاريخ الدعوة الاسلامية ، ص ١٥٩ .
- (٢٥١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٦ ، ص ٣١ .
- Grousset : L'Empire ..., p. 124. (٢٥٢)
- Grousset : L'Empire ..., p. 124. (٢٥٣)
- (٢٥٤) المقرئى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٨٦ .
- (٢٥٥) نفس المصدر السابق والصفحة : كان ملك الروم قد ارسل رسولين الى ابن حمدان سرا فالتقى بهما رجال منجوتكين فسألهما (من أين جئتما ؟) فظنهم الرسولان رجال ابن حمدان فاخبراهم خبر الروم ، ولما بلغ منجوتكين ذلك طرح النار فى خزائن السلاح وفى بيوت وحوانيت كان قد بناها عسكريه فاحترقت ورحل عائدا الى دمشق .
- Grousset : L'Empire ..., p. 124. (٢٥٦)
- (٢٥٧) المصدر السابق والصفحة ، سعيد عاشور . الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٦٨ .
- (٢٥٨) المقرئى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٨٦ .
- St. L. Poole : A Hist. Of Egypt, V. I ..., p. 159. (٢٥٩)
- (٢٦٠) المقرئى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٨٥ ، مصطفى غالب ، تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، ص ١٦٥ وفاميه مدينة كبيرة وكورة من سواحل حمص . ويقال لها افامية ايضا (ياقوت ج ١٤ ، ص ٢٢٣) .
- Grousset : L'Empire ..., p. 124. (٢٦١)
- (٢٦٢) مرعش مدينة فى الثغور بين الشام وبلاد الروم (ياقوت ج ١٧ ، ص ١٠٧) .
- وشيزر : قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعزة فى وسطها نهر الاردن (ياقوت ج ١٢ ، ص ٢٨٢) .
- المقرئى : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٥٣ (ب) .
- (٢٦٣) الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٦٧٤ .
- (٢٦٤) نفس المصدر والصفحة .
- Grousset L'Empire ..., p. 125. (٢٦٥)

- (٣٦٦) ابن العديم . زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٩٢ .
- (٣٦٧) Grousset L'Empire ..., p. 125.
- (٣٦٨) الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٦٧٦ .
- حصن عرقة : بلدة فى شرقى طرابلس ، وهى آخر عمل لدمشق ، وهى فى سفح جبل وعلى جبلها قلعة لها (ياقوت ج ١٢ ، ص ١٠٩) .
- (٣٦٩) طرسوس : سميت بطرسوس بن الروم بن اليفز بن سام بن نوح . وهى مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم (ياقوت : ج ١٢ ، ص ٢٨) .
- (٣٧٠) أسد رستم : الروم ، ج ٤ ، ص ٥٧ .
- (٣٧١) الباز العرينى . الدولة البيزنطية ، ص ٦٧٧ .
- (٣٧٢) Vasiliev : Hist, Of The Byzantine , p. 311.
- (٣٧٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٦٩ وفى أواخر القرن العاشر الميلادى . الرابع الهجرى عقدت معاهدة تجارية بين القسطنطينية وبين حكام المسلمين فى حلب ومن شروط هذه المعاهدة أن يكون للموظفين البيزنطيين فى المدينة حق تحصيل ضريبة مقدارها ١٠٪ على كل الوارد من الحرير الخام والمخمل والأحجار الكريمة والحلى النفيسة على حين يحصل الحكام المحليون ضرائب على الملابس والكتان والماشية وسائر البضائع المستوردة من بلاد الامبراطورية البيزنطية . وهكذا غدت مدينة حلب أحد المنافذ الرئيسية لتجارة بيزنطة مع العالم العربى فى الشرق . وبلغ من أهميتها أن استثنىها الامبراطور باسيل الثانى من قرار تحريم الاتجار مع الخلافة الفاطمية فى مصر ، وقت اضطهادات الخليفة الحاكم للمسيحية سنة ١٠١٥ م . (أرشيبالد - ر - لويس . ترجمة أحمد عبس : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ص ٣٣٤ .
- (٣٧٤) العينى : عقد الجمان ، ج ١٤ م ٣ ، ص ٥١٧ . ولو ان هنالك نوعا من الشك فى هذا التاريخ لأن الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٦٤١ يذكر أن باسيل ، بعد عقد الهدنة ، توجه لقتال البلغار ولبت ببلادهم أربع سنوات .
- (٣٧٥) المقرئى : اتعاط الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٦٧ (ب) .
- (٣٧٦) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٦٩ .

- (٢٧٧) الغزى : نهر الذهب ، ج ٣ ، ص ٦٨ .
- (٢٧٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٢١٨ - ٢١٩ .
- (٢٧٩) Hitti : Hist. Of The Arabs ..., p. 621.
- St. L. Poole : A History Of Egypt., V. 1, p. 136.
- (٢٨٠) المقرئى : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ص ٨١ (ب) كان الحاكم قد أمر بهدمها سنة ٣٩٨ هـ (ابن القلائس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٦٦ ، وبالفعل تم هدمها فى صفر سنة ٤٠٠ هـ - ١٠٠١ م (عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله ، ص ٦٩) .
- (٢٨١) الدبس : تاريخ سوريه ، ج ٣ ، م ٥ ، ص ٤٥٦ ، أسد رستم : الروم ، ج ٢ ، ص ٦٤ .
- (٢٨٢) كورة ومدينة من أعمال حمص يقال لها رغبة تدمر . (ياقوت : ج ٩ ، ص ٥٤) .
- (٢٨٣) الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٧٧٧ - ٧٧٨ .
- (٢٨٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ وهنا يذكر الباز العرينى . الدولة البيزنطية ص ٧٧٨ أن هذه الحملة لم يكن لها شيب جوهري سوى حرص الامبراطور على أن ينبع صيته ويشتهر اسمه باحراز النصر فى الشرق مثلما ذاع اسم تقفور وزمسكيس وباسيل ولذا حشد لهذه الحملة من العساكر ما لم يحشد من قبل .
- (٢٨٥) Lammens : La Syrie ..., V. 1, p. 608.
- (٢٨٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٢٤٩ ، الياقنى : مرآة الجنان : ج ٣ ، ص ٢٧ حين يذكر ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٢٣٩ أن عددهم كان ستمائة ألف .
- (٢٨٧) الغزى : نهر الذهب ، ج ٣ ، ص ٧٠ .
- (٢٨٨) كرد على : خطط الشام ، ج ١ ، ص ٢٥٠ .
- (٢٨٩) ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٢٤٩ ، ابن شاکر عيون التواريخ ، ج ١٣ ، ص ١٩٤ ، ب : وقد ذكر ابن الأثير أنه كان مع الملك ابن الدوقس وكان يريد هلاك الملك ليملك بعده فقال الملك الرأى أن نقيم حتى تجيء الأمطار وتكثر المياه فقبل ابن الدوقس هذا الرأى وأشار بالاسراع لتدبير كان قد دبّر عليه ، فسار ففارق ابن الدوقس وابن لؤلؤ هى عشرة آلاف فارس وملكوا طريقا آخر ، فخلا بالملك بعض أصحابه وأعلمه أن ابن الدوقس وابن

لؤلؤ قد حالفا أربعين رجلا هو أحدهم على الفتك به فاستشعر من ذلك وضاق
ورجل راجعا ولحقه ابن الدوقس وسأله عن السبب الذي أوجب عودته فقبال
لقد اجتمعت علينا العرب وقربوا منا وقبض في الحال على ابن الدوقس
وابن لؤلؤ وجماعة معها غاضطرب الناس واختلفوا ورجل الملك وتبعهم العرب .

(٢٩٠) ابن العديم : زبدة الحلب . ج ١ ، ص ٢٤١ .

(٢٩١) نفس المصدر : ص ٢٤٢ .

(٢٩٢) نفس المصدر والصفحة ، الطباخ الحلبي : اعلام النبلاء ، ج ١ ،

ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٢٩٢) بيشوف الجرمانى : تحف الانباء ، ص ٤١ .

(٢٩٤) Grousset : L'Empire du Levant ... , p. 127.

(٢٩٥) المصدر السابق ، ص ٢٢ من المقدمة .

(٢٩٦) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٧٠ .

(٢٩٧) ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٢٥٦ في حين ينفرد الدبس

تاريخ سورية ، ج ٣ ، م ٥ ، ص ٤٥٨ .

ان ذلك حدث سنة ٤٢٣ هـ سنة ١٠٣٢ م ، والراجع ان هذا الرأي غير

صحيح .

(٢٩٨) المقرئى : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٨٢ (١) ابن الاثير

الكامل ، ج ٧ ، ص ٢٥٦ .

(٢٩٩) المقرئى : المصدر السابق ، ص ٨٢ ، العيني : عقد الجمان ،

ج ١٤ ، م ٥ ، ص ٧٨٧ .

(٤٠٠) الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٧٨٥ ، اسد رستم : الروم ،

ج ٢ ، ص ٦٥ .

(٤٠١) الباز العرينى : ص ٧٨٥ - ٧٨٦ .

(٤٠٢) الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٧٨٦ .

(٤٠٣) الباز العرينى : ص ٧٨٧ .

(٤٠٤) سبط بن العجمي والحلي : كنوز الذهب : ص ٥٠ ، ابن الوردي :

تنمة المختصر ، ج ١ ، ص ٢٤١ .

(٤٠٥) المقرئى اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٨٢ ب والراجع ان المعاهدة

كما ذكر أسد رستم الروم ، ج ٢ ، ص ٦٥ عقدت بين ميخائيل وأرملة الظاهر
الوصية على ابنها القاصر المستنصر .

(٤٠٦) ابن الشَّحْد : روض المناظر ، ص ١٠٧ (و) .

(٤٠٧) العيني : عقد الجمان ، ج ١٤ م ، ٥ ، ص ٨٤٨ ، جمال سرور :
مصر في عصر الدولة الفاطمية ، ص ١٦٩ .

(٤٠٨) المقرئى : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٨٢ (١) وارمناز بليدة
قديمة من نواحي حلب . (ياقوت : ج ٢ ، ص ١٥٨) .

(٤٠٩) نفس المصدر والصفحة ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٩ .

(٤١٠) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٩ ، الطباخ الحلبي ، ج ١ ،
ص ٢٢٨ .

(٤١١) المقرئى : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٨٢ ونكر ابن الأثير .
الكامل ج ٨ ، ص ٢٩٠ أنه كان بين أسرى المسلمين ابن عم الملك بذلوا في فدائه
مالا جزيلا .

ينكر : جمال سرور : مصر في عصر الدولة الفاطمية ، ص ١٦٩ أن
الامبراطور قسطنطين التاسع أرسل الى الخليفة المستنصر الفاطمي هدية عظيمة
في سنة ٤٣٧ هـ واشتملت على ثلاثين قنطارا من الذهب الأحمر ، قيمة كل
قنطار منها عشرة آلاف دينار عربية .

(٤١٢) المقرئى : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٨٤ ، العيني . عقد
الجمان ، ج ١٥ ، م ١ ، ص ٤٥ .

(٤١٣) العيني : عقد الجمان ، ج ١٥ ، م ١ ، ص ٦٢ .

(٤١٤) Grousset : L'Empire du Levant ..., p. 127.

(٤١٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٢٦٨ .

(٤١٦) العيني : عقد الجمان ، ج ١٥ ، م ١ ، ص ٩٨ .

(٤١٧) St. L. Poole : A Hist of Egypt ..., V. I., p. 143.

ينكر جمال سرور : مصر في عصر الدولة الفاطمية ، ص ١٧٠ أن الامبراطورا
تيودورا اشترطت لتقديم المساعدة الى الفاطميين أن يمدوا المستنصر بالجند اذا
ما اعتدى على دولتها أى معتد ، غير أن المستنصر رفض الموافقة على هذا

الشرط • ويرجع هذا الرأي أرشيبيالد لويس • ترجمة أحمد عيسى : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ص ٢٦٦ في أن السبب الأول لقيام الحرب بين الجانبين هو منع ارسال الحبوب الى مصر •

(٤١٨) كرد على : خطط الشام ، ج ١ ، ص ٢٥٢ •

(٤١٩) يذكر عبد الله عنان : انحاكم بأمر الله ، ص ٢٢٢ أن أبو عبد الله محمد بن سلامه بن جعفر القضاعى ، الفقيه المحدث والمؤرخ ، ولد بمصر في أواخر القرن الرابع الهجرى وتوفى سنة ٤٥٤ هـ وكان من أقطاب الحديث والفقه الشافعى ، وتولى القضاء وغيره من مهام الدولة في عهد المستنصر بالله ، وأوفده المستنصر الى تيودورا امبراطورة القسطنطينية سنة ٤٤٧ هـ •

(٤٢٠) ابن ميسر : أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٧ •

يذكر جمال سرور : مصر في عصر الدولة الفاطمية ، ص ١٧٠ - ١٧١ أنه في الوقت الذى لم تحفل فيه الامبراطورة تيودورا بالقاضى عبد الله القضاعى ، بالغت في الترحيب برسول السلطان طغرل بك السلجوقى الذى قدم اذ ذاك من العراق ومعه رسالة من السلطان يلتصق فيها أن يضى زسولة في جامع القسطنطينية ، فأننت له بذلك ، فدخله وحلى فيه صلاة الجمعة واقام الخطبة للخليفة القائم بأمر الله العباسى • ولا غرو فقد كان السلاجقة في ذلك الوقت أشد خطرا على البيزنطيين من الفاطميين الذين اضمحل سلطانهم في بلاد المغرب وأصبحوا يواجهون في مصر الفتن والشدائد •

(٤٢١) ابن العماد شفرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٢٩٢ ، اليافعى : مراة

الجنان ، ج ٣ ، ص ٧٤ •

(٤٢٢) من قرى حلب المشهورة (ياقوت : ج ١٧ ، ص ١٠٧) •

(٤٢٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٢٨٦ - ٢٨٧ •

(٤٢٤) سبط بن الجوزى : مراة الزمان ، ج ١٢ م ١ ، ص ٨٢ ، ب

(ولو أنه يذكر أن تلك حدث سنة ٤٥٥ هـ الا أن الراجع أنه كان سنة ٤٥٤ هـ)

العيني عقد الجمان ، ج ١٥ م ١ ، ص ١٩٤ - ١٩٥ •

(٤٢٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٢ - ١٣ وارتاح اسم

حصن منيع كان من العواصم من أعمال حلب : (ياقوت : ج ٢ ، ص ١٤٠) •

(٤٢٦) نفس المصدر ، ص ١٣ - ١٤ ، الفزى : نهر الذهب ، ج ٣ ،

- ص ٧٢ • وعزاز بليدة فيها قلعة شمالي حلب : (ياقوت . ج ٢ ، ص ١١٨) .
 (٤٢٧) (نفس المصدر ، ص ١٤ - ١٥) .
- C. Cahen : La Chronique Abrégée d'al Azimi p. 359.
- (٤٢٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٥ .
- (٤٢٩) الغزى : نهر الذهب ، ج ٢ ، ص ٧٣ .
- (٤٣٠) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٩٩ ، ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٥٦ .
- (٤٣١) ابن القلائس : نيل تاريخ دمشق ، ص ٩٨ .
- (٤٣٢) الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء ، ج ١ ، ص ٢٢٨ ، ابن خلدون العبر ، ج ٢ ، ص ٤٧٠ .
- (٤٣٣) اليافعي : مرآة الجنان ، ج ٢ ، ص ٨٥ ، الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء ، ج ١ ، ص ٢٣٨ .
- (٤٣٤) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٥٦ .
- (٤٣٥) أبو المعاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٨٦ - ٨٧ .
- (٤٣٦) وهي بليدة وكورة بنواحي حلب (ياقوت : ج ١٨ ، ص ١٥٥) .
- (٤٣٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢١ .
- (٤٣٨) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٤٩ ، الذهبي : دول الاسلام ، مخطوط ، ص ١٧٣ .
- (٤٣٩) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ١٢ م ٢ ، ص ١٦٠ .
- (٤٤٠) O'Leary : A Short Hist ..., p. 117.
- (٤٤١) Setton & Baldwin : A Hist. Of Crusades, V. I, p. 87.
- (٤٤٢) أبو شجاع : نيل تجارب الأمم ، ص ٢٢٦ ، ابن شاکر الكتبي عيون التواريخ ، ج ١٢ ، ص ٥٦ .
- (٤٤٣) جمال سرور : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، ص ٤٦ .
- (٤٤٤) Setton & Baldwin : Op. Cit., p. 90.
- (٤٤٥) مؤلف مجهول بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٢٦ تاريخ تيمور ص ٣ (ب) .
- (٤٤٦) O'Leary ; A Short Hist ..., p. 175.
- (٤٤٧) المقرئى : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٧٥ (ب .) .

(٤٤٨) Hitti : Hist. Of Syria ..., p. 581.

• (٤٤٩) كرد على خطط الشام ، ج ١ ، ص ٢٤٩ .

• (٤٥٠) الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٦٨٨ .

• (٤٥١) كرد على . خطط الشام ، ج ١ ، ص ٢٤٩ .

(٤٥٢) المقرئى : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٨٢ (١) ابن العميد : تاريخ

المسلمين ، ص ٢٦٢ .

• (٤٥٣) نفس المصدر والصفحة ، الغزى : نهر الذهب ، ج ٣ ، ص ٧٠ .

• (٤٥٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

• (٤٥٥) نعمان قسطللى : الروضة الغناء ، ص ٤٣ .

• (٤٥٦) الذهبى : دول الاسلام ، ص ٧٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ،

ج ١ ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .

(٤٥٧) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ١٢ م ١ ، مخطوط بدار الكتب

رقم ٥٥١ تاريخ ص ١٠٢ ١ ولكن الراجح أن ذلك حدث سنة ٤٥٨ هـ ضد بدر الأرمى

لأنه تولى فى شعبان سنة ٤٥٨ هـ (ابن ميسر : أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ١٦) .

(٤٥٨) سبط بن الجوزى . مرآة الزمان : ج ١٢ م ١ ، مخطوط ،

ص ١٠٢ .

(٤٥٩) العينى عقد الجمان ، ج ١٥ م ٢ ، مخطوط بدار الكتب رقم

١٥٨٤ تاريخ ، ص ٢٥٩ .

• الذهبى : دول الاسلام ، مخطوط بدار الكتب ، رقم ٢٩٩ ، تاريخ ص ٢٧١ .

C. Cahen : La Chronique Abrégée d'al Azimi ..., p. 359.

• (٤٦٠) المقدسى أحسن التقاسيم ، ص ١٦٧ .

Hitti : Hist. Of Syria .. , p. 581. (٤٦١)

Ameer Ali : A Short Hist. Of The Saracens ..., (٤٦٢)

pp. 321-322.

• (٤٦٣) ابن العميد . تاريخ المسلمين ، ص ٢٤٧ .

(٤٦٤) ابن الجوزى . المنتظم ، ج ٧ ، ص ١٩٠ ، ابن الشحنة : روض

الناظر ، مخطوط ، ص ١٠٢ ظ ، ابن ظاهر : أخبار الدول المنقطعة ، مخطوط

بدار الكتب رقم ٨٩٠ تاريخ ، ص ٥٤ (ب) .

(٤٦٥) ابن الوردى : تنمة المختصر ، ج ١ ، ص ٣١٢ ، ابن كثير :
البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٣٢٠ .

(٤٦٦) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ، ص ١٨٦ .

(٤٦٧) سبط بن الجوزى : مراة الزمان ، ج ١١ ، م ١ ، مخطوط ،
ص ١٥٤ .

(٤٦٨) O'Leary : A Short Hist., p. 157, Hitti : Hist. Of The
Arabs, p. 621.

(٤٦٩) بيبرس الدوادارى : زبدة الفكرة ، ج ١ ، ص ٢٩١ أ فقد
أمر الخليفة الحاكم بكتابة سجل الى والى بيت المقدس بأن تهدم القيامة ، فكتب
الكاتب الى والى كتاب هذه نسخته : « خرج أمر الامامة اليك بهدم قمامة
(وكان الحاكم يسميها بذلك) ، فأجعل سمايها أرضا وطولها عرضا » وكان
كاتب السجل نصرانيا نسطوريا يعرف بابن شيرين فلما أنفذ السجل الذى كتبه
صار المذكور مثل السكران الذى صبحا من سكره ، وظل حزينا حتى مات
(ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ، م ٢ ج ٢ ، ص ١٢٨) .

(٤٧٠) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٣٣٩ .

(٤٧١) Basiliev : Hist Of The Byzantine Empire ..., p. 311.

(٤٧٢) عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله ، ص ٦٩ .

(٤٧٣) O'Leary : A Short Hist., p. 157.

(٤٧٤) ساويرس بن المقفع . تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية م ٢ ، ج ٢ ،
ص ١٢٨ .

(٤٧٥) عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله ، ص ٦٩ .

O'Leary : A Short Hist ..., p 158.

(٤٧٦) O'Leary : Ibid., p. 158-159.

يذكر عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله ، ص ٧٢ أن واسطة التفاهم بين الحاكم
وبين زخاريا يرجع الى راهب يدعى يعين كان قد أسلم ايام المحنة ، ثم عاد الى
دينه ، واستأنن الحاكم فى عمارة دير الشهداء فى مصر ، وأن الحاكم كان يزوره
فى الدير ويستمع الى رغائبه .

(٤٧٧) محمد عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله ، ص ٧٢ ، ٧٣ . ويذكر

(أوليرى) أن بعض المسيحيين واليهود ذهبوا الى الحاكم وقالوا له : يا الهنا .

نحن نريد العودة الى ديانتنا السابقة • فاجابهم الحاكم بأن افعلوا ما يحلو لكم •
(O'Leary : A Short Hist., p. 179).

(٤٧٨) ذكر المصدر السابق السجل من ص ٧٣ : ٧٤ • بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من عبد الله ووليه المنصور ابن علي الامام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ابن الامام العزيز بالله أمير المؤمنين لجماعة النصاري بمصر ، عندما انهبوا اليه الخوف الذي لحقهم ، والجزع الذي هالهم فأقلقهم واستنراءهم بظل الدولة وتحريمهم بحضور الحضرة بما رآه وأمر به من تكميل النعمة عليهم بتوحيه لهم نعمة الاسلام وشرعه من تصييرهم تحت كنفه بحيث تصفو لهم موارد الطمانينة ، • فأنتم جميعا آمنون بأمان الله عز وجل • ()

(٤٧٩) كرد على : خطط الشام ، ج ٦ ، ص ١١ •

(٤٨٠) Vasiliev : Hist. Of The Byzantine Empire ... , p. 311-312.

(٤٨١) المقرئى : اتعاط الحنفا ، ميكروفيلم ، رقم ٦ تاريخ ، ص ٨١

(ب) •

وهنا يذكر بلدوين فى كتابه :

Settonaob aldwin : A Hist of Greaces, V. I. p. 90.

أن بنى الجراح دخلوا فى مفاوضات مع الروم فى أنطاكية وفى سنة ١٠١١ م أى حوالى سنة ٤٠٢ هـ بدأ بنو الجراح فى إعادة بناء كنيسة القيامة المقدسة • والراجع أن هذا التاريخ غير صحيح لأن القيامة هدمت حوالى سنة ٤٠٠ هـ ثم أن الذى قام بإعادة البناء هم الروم وليسوا بنو الجراح •

(٤٨٢) Vasiliev : Hist. Of The Byzantine Empire ..., p. 312.

(٤٨٣) الغزى : نهر الذهب ، ج ٣ ، ص ٥٧ •

(٤٨٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٢٧٠ ، أبو المحاسن :

النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٥٨ •

(٤٨٥) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٣٢٢ ، ابن الشحنة ، وروض

المنظر ، مخطوط ، ص ١١٢ ظ ، الذهبى : دول الاسلام ، مخطوط ، ص ٧١

(١) •

(٤٨٦) الحصنى : منتخبات التواريخ ، ج ٣ ، ص ١٠٣٤ •

قيل سمع الشافعى • رضى الله عنه يقول : عجائب الدنيا خمسة أشياء أحدها

منارتكم هذه ، يعنى منارة ذى القرنين والثانى أصحاب الرقيم البين هم بالروم

اثنا عشر رجلا أو ثلاثة عشر رجلا ، والثالث مرآة ببلاد الأندلس معلقة على

باب مدينتها الكبيرة فإذا غاب الرجل من بلادهم على مسيرة مائة فرسخ في مائه فرسخ واتي بعض أهله الى تلك المنارة ففقد تحتها ونظر في المراة يرى صاحبه من مسافة مائة فرسخ . والرابع مسجد دمشق وما يوصف من الانفاق عليه . والخامس الرخام والفسيفساء فانه لا يدري له موضع (ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ، ج ٢ . ص ٤٩ . ابن عساكر . تاريخ مدينة دمشق ، ج ٢ ق ١ ، ص ١٦) . وقبل أربعة أجبل مقدسة بين يدي الله تبارك وتعالى . طور زيتا . وطور سنيثا ، وطور تينا ، وطور تبعافا . فطور زيتا بيت المقدس ، وطور سنيثا طور موسى . وطور تينا مسجد دمشق . وطور تيماننا مكة (ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ١٦) وسئل سفيان الثوري وهو في ظل الكعبة عن قوله في الصلاة في هذا البلد ؟ قال بمائة ألف صلاة فقال غفي مسجد رسول الله (صلعم) قال بخمسين ألف صلاة . قال غفي مسجد بيت المقدس قال بأربعين ألف صلاة قال غفي مسجد دمشق قال بثلاثين ألف صلاة (عز الدين الصيادي الروضة البهية في فضائل دمشق الحمية ، ص ١٤) .

ونكر انه كان في الجامع الاموي قبل حريقه طلسمات لسائر الحشرات معلقة في السقف وانه لم يوجد في الجامع شيء من الحشرات قبل الحريق ، فلما احترقت الطلسمات وجدت (النعيمي الدارس في تاريخ المدارس ، ج ٢ ص ٢٨٩ - ٢٩٠) .

(٤٨٧) الحصني . منتخبات التواريخ لدمشق . ج ٣ ، ص ٤٧٢ .

(٤٨٨) Hitti : Hist. Of Syria, ..., p. 588-584.

(٤٨٩) الغزي . نهر الذهب . ج ١ ، ص ٥١٤ .

(٤٩٠) عبد الله عنان . الحاكم بأمر الله . ص ٢٠١ .

(٤٩١) Lammens : La Styrie ..., p. 152.

(٤٩٢) القرمانى : اخبار الدول واثار الاول ، ص ١٥٢ .

O'Leary : A Short Hist. p. 179.

(٤٩٣) المقرئى : انقضاء الحنفا . ميكروفيلم ، ص ٦٩ (١) ، ابن العميد :

تاريخ المسلمين ، ص ٢٦٤ في حين ينكر القرمانى : اخبار الدول ، ص ١٩٢ ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ، ص ١٨٤ ان الخليفة الحاكم ارسل اليه سرا بان ينهب الى الشام وينشر الدعوة في الجبال حيث ان أهلها سريعو الانتقاد . ولكن الراجح ان محمد بن اسماعيل قتل وان الذي سبر الى الشام هو حمزة الملقب باليهادى وقد ظهر بعده .

- (٤٩٤) العيني : عقد الجمان ، ج ١٤ م ٤ ، مخطوط ، ص ٦٦٢ .
- (٤٩٥) حمزة هذا مواطن فارسي من زوزان ينظر اليه الدروز على أنه مؤسس مذهبهم ويؤرخون سنواتهم منذ ظهور سنة ٤٠٨ هـ .
- (O'Leary : A Short Hist., p. 178)
- وقيل أن الدروز يكرمون حمزة ويكرهون الدرزي ويلعنونه (الدبس : تاريخ سورية ، ج ٣ م ٥ ، ص ٤١١) وهنا ينفرد بروكلمان بالقول بأنه بعد موت الحاكم حمل لواء المذهب الدرزي كل من محمد بن اسماعيل الدرزي ، حمزة بن أحمد الهادي في حين أن ذلك حدث أثناء حياته .
- C. Brocklemann : Hist. Of. The Islamic People, p. 161.
- (٤٩٦) أبو الحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ١٨٤ ، في حين يذكر ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ، ص ٣١٩ أن أهل وادي التيم من الدرزية هم اتباع هاستكر غلام الحاكم بأمر الله الذي بعثه اليهم يدعوهم الى الكفر المحض فأجابوه .
- (٤٩٧) الدبس : تاريخ سورية ، ج ٣ م ٥ ، ص ٤١١ .
- (٤٩٨) ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٦٥ ، وخلاصة المذهب الدرزي كما ذكرها الغزي : نهر الذهب ، ج ١ ، ص ٢١٧ ، « انهم يؤمنون بوجود الباري ونبوة أنبيائه العظماء الذين منهم المسيح عليه السلام الا أنهم يعتقدون أن الألوهية حلت في ناسوت الحاكم بأمر الله وأن الفرائض الاسلامية كالصوم والصلاة مفروضة عليهم تقية لا تدينا وهم يقرون بالحشر والنشر ومجازاة النفوس على أعمالها من قبيل ناسوت الحاكم ويؤمنون بالقران العظيم والتوراة والانجيل الا أنهم يفسرون معانيها على مقاصدهم .
- O'Leary : A Short Hist., p. 187. (٤٩٩)
- (٥٠٠) الغزي : نهر الذهب ، ج ١ ، ص ٥١٤ - ٥١٥ .
- (٥٠١) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ في حين ينكر ابن أبيك : كنز الدرر ، ج ٦ ص ٣٣٤ أن ذلك حدث سنة ٤٢٤ هـ أما المقرئزي اتعاط الحنفا ، ميكروفيلم ، رقم ٦ تاريخ ص ٨٢ ب ، والراجح أن كلام ابن العديم هو الاصدق باعتباره متخصصا في تاريخ حلب .
- (٥٠٢) فيليب حتى . تاريخ سورية ، ج ٢ ، ص ٢١٩ .

الباب الثاني

الحياة السياسية في بلاد الشام في العصر السلجوقي

رأينا في الباب الأول كيف تنوعت مظاهر الحياة السياسية في بلاد الشام في النصف الأول من القرن الخامس الهجري ، أي أثناء امتداد النفوذ الفاطمي إليها ، وكيف قامت تلك العناصر السياسية بدورها البارز في إثارة القلاقل بالبلاد مما يجعلنا نتساءل : هل كان مصدر ذلك الاضطراب أن الفاطميين كانوا شيعة بينما كان أهل الشام سنيين ؟ وهل كان هذا هو سبب الصدام ؟ وهل أدى امتداد النفوذ السلجوقي السني (١) إلى بلاد الشام في الستينات من القرن الخامس الهجري إلى هدوء الأحوال السياسية في البلاد ؟ وسنجيب عن هذه التساؤلات حتى نرسم صورة متكاملة لأحوال بلاد الشام في آخر القرن الخامس في العهد السلجوقي الذي مهد لقدم الحملات الصليبية إلى الشرق الإسلامي .

بعد أن استتبّت الأمور للسلطان السلجوقي ألب أرسلان في خراسان والعراق وغيرها أخذ ينازع الخليفة المستنصر الفاطمي في سورية (٢) ففي سنة ٤٦٠ هـ خطب تاج الملوك محمود بن نصر بن

مرداس بحلب للخليفة العباسي القائم بأمر الله وللسلطان ألب أرسلان (٣) ويرجع سبب ذلك التحول - رغم ميل أهل حلب للتشيع - إلى أن محمود بن نصر لما لمس ازدياد النفوذ السلجوقي جمع أهل البلد وحذرهم من تلك القوة الجديدة وأشعار عليهم بالدخول في ولائها قبل قوات الأوان فاستجابوا له كارهين ذلك (٤) . فما كان من الخليفة العباسي إلا أن بعث إليه بالخلع والهدايا والتحف (٥) . وفي نفس السنة تقدم السلطان السلجوقي إلى حلب ، وطلب محمود أمير حلب من رسول السلطان أن يعود إلى سيده ويخبره أنه على طاعته ، فأصر السلطان على مثول محمود بين يديه - وحاصر حلب في آخر جمادى الثانية سنة ٤٦٣ هـ ولم يتعرض جنده للأهالي ، واستمر حصار حلب شهرا (٦) فلما طال الحصار خشي محمود من تفاقم الأمور ، فخرج ليلا إلى السلطان وتقدمت أمه إلى السلطان تشفع لابنها ، فعفا السلطان عنه وسمح له بالاحتفاظ بمنصبه ونجت حلب مما كان يتهددها (٧) .

وفي نفس السنة توجه اتسز بن أوق الخوارزمي (الاقسييس) مقدم الأتراك إلى جنوب بلاد الشام ففتح الرملة وبيت المقدس وناوش أهالي دمشق (٨) ولكن يبدو أن خضوع بيت المقدس النهائي للسلاجقة كان سنة ٤٦٥ هـ حيث ورد في كتب اتسز نبأ فتح بيت المقدس وإقامة الخطبة للخليفة العباسي . وقيل : ان وإلى الفاطميين على بيت المقدس آنذاك كان تركيا فراسل اتسز قائلا : « أنا منكم وما أقمت على الامتناع الا وفاء لمن كنت خادما له . . فان أمنتني على نفسي ومالي سلمت اليك البلد ونزلت اليك وأقمت معك فأمنه وحلف له وأقطعه ضياعا اقترحها وفتح الباب ودخل ونودي في البلد بالأمان (٩) . وظل اتسز يقصد دمشق كل سنة عند نضج المحاصيل فيستولي عليها للانفاق منها على جيشه وللأضرار بمصالح دمشق الاقتصادية ، فعانى أهالي دمشق من الأزمات الاقتصادية والمجاعات

وخاصة في سنة ٤٦٨ هـ فلما علم اتسز بذلك توجه إلى دمشق في شوال وحاصرها فسلمت إليه بالأمان وخطب بها في آخر ذي القعدة للمقتدى بأمر الله العباسي (١٠) . وأبطل اتسز الأذان الشيعي فأبدى الناس سرورهم في أرجاء الشام المختلفة فقد كانوا يعتبرون حكم الفاطميين حكما ظالما غاشما (١١) .

نظر الملك اتسز بن أوق في أمور دمشق وأحوالها بما يعود بصلاح أعمالها وأطلق لفلاحى المريج والغوطة الحرية في زراعة القلات والزمهم بالعمل المستمر فصلحت الأحوال ورخصت الأسعار وطابت النفوس وأيقن الناس بزوال الأزمات الاقتصادية (١٢) .

كان اتسز بن أوق الخوارزمي (أو الاقسييس) ، بلقب بالملك المعظم وهو أول من استعاد بلاد الشام من أيدي الفاطميين وأول من تولى الملك بحلب والشام من السلاجقة (١٣) وقد نشر العدل وأظهر السنة ، وهو أيضا أول من أسس القلعة بدمشق ، ولم يكن فيها قبل ذلك معقل يحتوى المسلمون به من العدو (١٤) . وبذلك شهدت دمشق في هذا العهد عودة هيبة الحكم وأصبح في دمشق جيش من الأتراك ومن أهلها يدافع عنها . وضرب فيها دينار خاص نقش عليه اسم الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي ووالى دمشق ، وكان هذا حدثا جديدا (١٥) .

وهكذا انقضى عهد الفاطميين بالشام أو كاد - حيث بقيت لهم بعض المعاقل - وقد حفلت فترة نفوذهم بالحروب والفتن ، ولم يخفق عامهم على بلاد الشام كلها طوال تلك الفترة بل كان إذا خضعت مدن الساحل ثارت المدن الداخلية وإذا أطاع الجنوب نشز الشمال ، وهكذا اضطربت أحوال البلاد في إدارتها وسياستها حتى أقبلت من الشرق قوة عظيمة لا قبل بدفعها وهي قوة الدولة السلجوقية

التركمانية ، التي جاءت لتقضى على نفوذ الدولة الفاطمية في الشام (١٦) .

ويرى البعض أن الدافع للسلطان ألب أرسلان على فتح بلاد الشام هو أن ناصر الدولة ابن حمدان ، وكان له نفوذ كبير في مصر ، كان قد أرسل الى ألب أرسلان يطلب منه ارسال جيش لاقامة الدعوة العباسية مقابل أن تكون مصر له (١٧) . وكان الأتراك السلاجقة قد سيطروا على القسم الشرقي من الخلافة العباسية ثم استولوا على بغداد نفسها سنة ٤٤٧ هـ (١٨) حيث اعترف الخليفة العباسي القائم بنفوذ طغرل بك السلجوقي وخطب له بجوامع بغداد ، وقبض طغرل بك على الملك الرحيم ، آخر سلاطين بني بويه ، وحبسه وبذلك حل السلاجقة محل بني بويه في السيطرة على الخلافة العباسية . وكان من الطبيعي أن يزحف السلاجقة على بلاد الشام وما يليها غربا .

ويبدو أن اتسز السلجوقي طمع في امتلاك مصر بعد استقرار نفوذه في دمشق ، وكان قد أساء السيرة بين أهالي دمشق وخيب ظنهم فيه ، وبذلك لم يؤمن ظهره اذا فكر في الزحف الى مصر . فعندما دخل اتسز دمشق أنزل جنده في دور الدمشقيين ، واعتقل من بعض وجوههم جماعة حتى افتدوا أنفسهم بمال أدوه له ، ورحل جماعة منهم عن دمشق الى طرابلس (١٩) .

وحينما اقترب اتسز (٢٠) من حدود مصر في سنة ٤٦٩ هـ خرج اليه أمير الجيوش بدر بجيش كبير فهزم اتسز ووضع السيف في عساكره قتلا وأسرا ونهباً فما كان منه الا أن فر الى الرملة ثم الى دمشق ففرح الناس لما أصابه (٢١) ولما خاف اتسز من ظفر

المصريين به ، الى جانب عدم اطمئنانه الى جانب الدمشقيين ، أرسل الى تتش بن ألب أرسلان يستنجد به فقدم الأخير الى دمشق سنة ٤٧١ هـ واستولى عليها ثم قتل اتسز في ربيع الأول من السنة (٢٢) واتخذ دمشق مقراً له وأسس فيها دولة سلاجقة الشام (٢٣) وعدل بين الأهالي وأزال جور اتسز (٢٤) .

أما حلب فقد خضعت لنفوذ الترك بعد مقتل نصر بن محمود ابن مرداس في مستهل شوال سنة ٤٦٨ هـ ، وكان قد أفرط في شرب الخمر يوماً ثم خرج لقتال الترك ، الذين كانت لهم اليد الطولى في تولية أبيه ، فضربه أحدهم بسهم فقتله (٢٥) وبعد أن استقر نفوذ تتش بن ألب أرسلان في دمشق قصد حلب سنة ٤٧٢ هـ فحاصرها أربعة أشهر ونصف شهر (٢٦) ثم رحل عنها فدخلها شرف الدولة مسلم بن قريش صاحب الموصل (٢٧) الذي تعهد للملكشاه السلجوقي أن يحمل إليه كل سنة ثلاثمائة ألف دينار وكان سابق بن محمود وأخوه وثاب قد التجأ الى قلعة حلب فعرض مسلم ابن قريش عليهما الأمان واستولى بذلك على القلعة وانتهى نفوذ بني ملداس في حلب (٢٨) .

ولما سيطر شرف الدولة على حلب أحسن الى أهلها ، وأصلح أحوالها ، وقام بنقل الغلات الى حلب فانخفضت الأسعار بعد أن سادها فترة الغلاء الشديد (٢٩) وكان شرف الدولة عادلاً كثير العطاء فأحبه الناس (٣٠) ورضى أهل حلب عن الحكومة الجديدة واستقرت الأحوال والأمن ، ويرجع حب الحلبيين لشرف الدولة مسلم الى أن تتش بن ألب أرسلان كان قد حاصر مدينتهم عدة مرات فكان شرف الدولة يمدهم بالغلات والامدادات (٣١) .

كان سليمان بن قتلمش السلجوقي يحكم قونية واقصر وملاطيه، وقد أشار عليه السلطان ملكشاه بالاستيلاء على أنطاكية فتم ذلك سنة ٤٧٧ هـ (٣٢). ولما كانت أنطاكية تابعة لحلب فقد أرسل مسلم بن قريش إلى سليمان يطلب المال الذي كان يحمله صاحب أنطاكية الرومي إليه في كل سنة فأبى، وأخيرا تنازع الطرفان فانهزم مسلم وأتباعه من العرب وقتل في المعركة وبذلك انتقل النفوذ السياسي في الشام من أيدي العرب إلى الترك، وأصبح النفوذ منذ ذلك الحين للأمراء التركمان والأتراك والشراكسة والأكراد (٣٣).

وبعد مصرع مسلم بن قريش أرسل مقدم حلب إلى سليمان ابن قتلمش في تسليم حلب إليه وفي نفس الوقت وعد تتش بتسليمها إليه أيضا. وبالفعل توجه الاثنان إلى حلب فاقتتلا وقتل سليمان سنة ٤٧٩ هـ وبعثت رأسه إلى مقدم حلب، وسيطر تتش على حلب وشفع الأمير أرتق بن اكسك، من أمراء تتش، في ابن الحثيثي. وامتنع بالقلعة سالم بن مالك بن بدران بن المقلد فحاصره تتش، وكان ابن الحثيثي قد كاتب السلطان ملكشاه واستدعاه للسيطرة على حلب فتقدم إليها من أصفهان ونجح السلطان في السيطرة على حلب وعاد تتش إلى دمشق وأعلن سالم ابن مالك الطاعة وتنازل عن القلعة في مقابل استيلائه على قلعة جعفر فأقطعها السلطان له واستمرت خاضعة لنفوذ ملكشاه وأولاده حتى ملكها نور الدين الشهيد (٣٤).

وللتعرف على طبيعة الحياة السياسية في بلاد الشام في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري أو بمعنى أدق في فترة النفوذ السلجوقي حتى قدوم الحملات الصليبية إلى بلاد الشام يجب علينا دراسة بعض الموضوعات بشيء من التفصيل وهذه النقاط هي :

- ١ - علاقة السلاجقة بالفاطمين أو بتعبير آخر محاولات الفاطمين لاستعادة نفوذهم في بلاد الشام .
- ٢ - علاقة السلاجقة بالبيزنطيين .
- ٣ - علاقة السلاجقة بالقوى السياسية الموجودة في بلاد الشام مثل بني منقذ وبني عمار وحكام حلب .
- ٤ - انقسام السلاجقة والصراع بين القوى السلجوقية .
- ٥ - أثر انتشار المذهب الاسماعيلي في الحياة السياسية في تلك الفترة .

أولا : العلاقات بين السلاجقة والفاطمين :

كان السلاجقة المسيطرون على بلاد الشام على يقين من أن الفاطمين لن يسكتوا على زوال معظم ممتلكاتهم في بلاد الشام بعد أن انتزعها الأتراك منهم ، ولذا تكررت محاولات الفاطمين لاستعادة نفوذهم وأمالكهم المسلوبة . ولم يكتف اتسز قاهر دمشق وجنوب بلاد الشام بذلك النصر بل سارع في سنة ٤٦٩ هـ الى جمع جيش كبير قاصدا مصر نفسها ليحطم الفاطمين في عقر دارهم ، ولكن تكتل المصريين بقيادة أمير الجيوش بدر الجمالي أدى الى هزيمة اتسز هزيمة منكرة ورجوعه مهزوما الى دمشق (٣٥) ويبدو أن النصر الذي أحرزه بدر الجمالي على اتسز على أبواب مصر شجعه على ارسال حملة لاسترداد دمشق ، وندب أمير الجيوش لهذا الغرض نصير الدولة الجيوشي وذلك سنة ٤٧٠ هـ ، فحاصرها أياما ثم رجع الى مصر (٣٦) .

ولم يلبث الفاطميون ان عادوا لمهاجمة دمشق من جديد ، فقد أرسل بدر الجمالي جيشا كبيرا سنة ٤٧١ (٣٧) هـ حاصر دمشق واستولى على أعمالها وأعمال فلسطين وظل محاصرا لها فترة طامعا في فتحها (٣٨) . فما كان من اتسز الا أن استنجد بتاج الدولة تتش الذي كان مقيما بحلب ، وكان أخوه السلطان ملكشاه قد أقطعه الشام وما يفتحه في تلك النواحي سنة ٤٧٠ هـ ، فقدم الى حلب وحاصرها فعانى أهلها من المجاعة وكان معه جمع كثير من التركمان (٣٩) . وأقبل تتش في جمع كبير لنجدة اتسز ضد المصريين ، فلما فطن القائد المصري الى ذلك رحل عن دمشق راجعا الى مصر (٤٠) فلما وصل تتش الى دمشق خرج اتسز للقاءه .

وما ان استتبت أقدام تتش في دمشق حتى جمع جيشا كبيرا سنة ٤٧٥ هـ واتجه الى أنطاكية وما جاورها ، فلما سمع شرف الدولة مسلم بن قريش صاحب حلب بذلك خاف وجمع العرب من عقيل كما جمع الأكراد وغيرهم وراسل الخليفة الفاطمي بمصر يطلب منه الامدادات حتى يحاصر دمشق فوعده الخليفة بتحقيق طلبه . وتشجع شرف الدولة بهذا الوعد وسار الى دمشق فعاد تتش الى دمشق في أول المحرم سنة ٤٧٦ هـ في حين قدم شرف الدولة اليها في آخر المحرم (٤١) .

أدت بعض العوامل الشخصية الى أحجام مصر عن ارسال أي مساعدة الى شرف الدولة ، فقد خاف أمير الجيوش من ميل العرب اليه فتناقل عن مساعدته (٤٢) . لذلك عندما التقى جيش شرف الدولة بجيش تتش انهزم العرب اتباع شرف الدولة ، وأشرف هو على الأسرى ، ولذلك صمم على العودة الى بلاده ، وشجعه على ذلك انه سمع بعصيان أهل حران عليه (٤٣) .

وفي صفر سنة ٤٧٦ هـ سلم والى قلعة بعلبك من قبل المستنصر الفاطمي القلعة الى تاج الدولة تتش (٤٤) وفي سنة ٤٧٨ هـ قاد أمير الجيوش بدر جيشا الى بلاد الشام (٤٥) فوصل الى دمشق في ربيع الأول (٤٦) وكان بها تاج الدولة تتش ، فحاصرها ولكنه لم يستطع فتحها فعاد الى مصر دون أن يحقق أى نتيجة (٤٧) .

ولم ينقطع أمل الفاطميين في السيطرة على بلاد الشام بعد أن قطعت الخطبة لهم في أهم مدنها وخاصة في مدن الساحل ، وفي سنة ٤٨٢ هـ أعد بدر الجمالي أمير الجيوش جيشا بقيادة نصير الدولة الجيوشي (٤٨) وجهه الى سواحل الشام فحاصر مدينة صور ، وكان قد تغلب عليها القاضي عين الدولة بن أبي عقيل وخلفه أولاده بعد وفاته فحاصروهم الجيش المصري ، فلم يكن لهم من القوة حتى يصمدوا فسلموا المدينة للجيش . ثم زحف الجيش الى مدينة صيدا فاستولى عليها ثم على عكا وجبيل (٤٩) وأصلح الفاطميون أحوال هذه البلاد ثم عاد الجيش الى مصر بعد أن ولي أمير الجيوش على هذه المدن المفتوحة الأمراء والعمال (٥٠) .

ويبدو أن الترك عادوا فاستولوا على بعض تلك الثغور مرة أخرى بدليل أن « ابن ايبك » و « كاهين » يذكران استرداد صور وصيدا وبيروت سنة ٤٨٣ هـ من الأتراك (٥١) .

وكان لنتش بهذه الثغور التي أجدها المصريون أموال وذخائر ، فطلب من آق سنقر صاحب حلب ، وبوزان صاحب الرها مساعدته فبعثا له عسكريا (٥٢) . وهناك رواية أخرى تذهب الى أن السلطان السلجوقي كان ببغداد سنة ٣٨٥ هـ فقدم عليه أخوه تاج الدولة تتش من دمشق وآق سنقر من حلب وبوزان من الرها فأمر السلطان

أميرى حلب والرها أن يسيرا مع عساكرهما في خدمة أخيه تاج الدولة حتى يستولى على ما للخليفة المستنصر الفاطمي بساحل الشام من البلاد ، بل ذهب بأطماعه الى أبعد من ذلك ، فقد أمرهم أيضا بالمسير مع أخيه الى مصر لفتحها (٥٣) . فتقدم الجميع الى الشام وحاصروا حمص (٥٤) وكان بها ابن ملاعب الذى خطب للخليفة المستنصر الفاطمي . فلما ضيقوا عليه تنازل لهم عن المدينة ثم سار قتش ومعه ابن ملاعب وولداه الى قلعة عرقه فملكها عنزة ، ثم استولى على حصن فامية (٥٥) .

وفى سنة ٤٨٦ هـ أعلن والى صور منير الدولة العصيان (٥٦) وكان أهل صور قد انكروا عصيانه وكرهوا معارضته لسلطانه أمير الجيوش بدر (٥٧) فسير أمير الجيوش الى ثغر صور جيشا كبيرا فلما اشتد القتال نادى الأهالى بشعار المستنصر بالله وأمير الجيوش وهجم الجيش المصرى على البلدة وأعمل فيها النهب ، وأسر كثيرا من أهلها ، كما أسر منير الدولة وخواصه وأجناده وحملوا الى مصر فى الرابع عشر من جمادى الثانية ، فضربت أعناقهم وفرض على أهل صور غرامة قدرها ستون ألف دينار (٥٨) .

وفى شعبان سنة ٤٨٩ هـ استولى الجيش الفاطمي على القدس من ايل غازى وسقمان ابنى أرتق (٥٩) فقد سار الأفضل ابن أمير الجيوش بجيش من مصر الى القدس فحاصرها ونصب عليها المجانيق وقاتلهم أربعين يوما وراسل أهلها ، فطلبوا منه الأمان فأمهم وخرج سقمان الى الرها ومضى أخوه بلغازى الى بغداد ، وهما أول ملوك الارتقبة ظهورا (٦٠) .

كان رفاق السلجوقي يسيطرون على دمشق ، بينما أخوه رضوان يحكم في حلب وفي سنة ٤٩٠ هـ خرج الملك رضوان صاحب حلب وياغى سيان صاحب أنطاكية الى ناحية شيزر وعزما على الاتجاه الى دمشق لفتحها ، فوقع الخلاف بين مقدمى العسكر فرجع ملك حلب (٦١) وفي نفس السنة وصلت هدية مصر الى الملك رضوان صاحب حلب (٦٢) . ثم ورد كتاب المستعلى بالله الخليفة الفاطمي يعرض عليه الدخول في طاعته واقامة الدعوة له ، كما ورد كتاب آخر من الأفضل يتضمن مثل هذا الطلب فأجابهما رضوان الى طلبهما وأمر بأن يدعى على المنبر للمستعلى ثم للأفضل ثم له (٦٣) . فقام الخطيب أبو تراب حيدره بن أبي اسامة بتنفيذ ذلك في يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة ٤٩٠ هـ (٦٤) .

وكان الدافع لرضوان الى ذلك أنه أراد أن يستعين بالجيش المصرى للاستيلاء على دمشق من أخيه دقاق (٦٥) ولكن حدث أن وصل الأمير مكمان ابن أرتق وياغى سبان صاحب أنطاكية الى حلب وانكروا على الملك الدخول في طاعة الفاطميين ، وأشارا عليه بالعدول عن ذلك ، فاستجاب لطلبهما بعد أن خطب للمستعلى أربع جمع (٦٦) .

وفي سنة ٤٩٠ هـ أيضا أعلن والى صور المعروف بالكتيلة عصيانه للخليفة الفاطمي ولذلك أرسل اليه أمير الجيوش الأفضل جيشا في شهر ربيع الأول ، ففتح صور عنوة وقتل كثيرا من أهلها واستولى على أموالهم كما أسر الكتيلة وحمل الى مصر حيث قتل بها (٦٧) .

وهكذا ظلت الدولتان : السلجوقية والفاطمية في نزاع وصدام مستمرين فاذا ما شعرت دولة منهم بضعف الدولة الأخرى كانت

تغير على يلايدها وظلوا على هذا النحو من العسداء حتى باغتهم الصليبيون وهم منهكو القوى وبلادهم في فوضى شاملة وجيوشهم قد سئمت الحرب وزهدت في القتال والدفاع (٦٨) .

حتى اذا حلت سنة ٤٩٠ هـ بدأ ظهور بوادر الزحف الصليبي على بلاد الشام ولم يلبث الصليبيون أن حلوا محل الأتراك السلاجقة في هذه البلاد . وبعد هذه الدراسة للعلاقات السلجوقية الفاطمية ، نلاحظ أنها كانت في شد وجذب مستمرين ، مما أضاف عاملا جديدا الى عوامل التفكك والانحلال السياسي في بلاد الشام في القرن الخامس الهجري مما مهد للزحف الصليبي .

ثانيا : العلاقات السلجوقية البيزنطية :

في الوقت الذي سيطر فيه السلاجقة على بلاد الشام كانت هناك جماعة شديدة الارتباط بالسلاجقة تقوم بالهجوم على الأراضي البيزنطية ، وهم التركمان ، وقد اشتهروا بالبسالة والميل للمغامرة . ومما ساعد هؤلاء التركمان على السيطرة على آسيا الصغرى (٦٩) كراهية كثير من عناصر سكانها للدولة البيزنطية (٧٠) الى جانب الفتن المتكررة بالقسطنطينية ، والنزاع بين القادة البيزنطيين وعجز الحاميات البيزنطية في اطراف البلاد عن السيطرة على الطرق المؤدية الى داخل آسيا الصغرى (٧١) . بالاضافة الى الاضطرابات الاقتصادية بسبب خضوع الدولة لنفوذ التجار الايطاليين الغربيين الذين احتكروا تجارتها (٧٢) .

وحوالي سنة ٤٦٣ هـ أو سنة ١٠٧١ م كانت هناك موقعة فاصلة بين التركمان والبيزنطيين هي موقعة مانزيكرت **manzikart** أو ملاذكرد **Malazgart** من أعمال الخسلاط في مدخل آسيا

الصفري (٧٣) فقد نجحت القوات السلجوقية في بلاد الشام في تأمين الجيش السلجوقي الرئيسي الزاحف الى بلاد الروم وتمهيد سبيله (٧٤) . فأيقن الامبراطور رومانوس دوجين أن السلاجقة يهدفون الى القضاء على الدولة البيزنطية وحصارها من الشرق والجنوب ، فهرع بجيش كبير الى ملاذكرد (٧٥) في حين تذكر رواية أخرى أن أحد الأمراء البيزنطيين قاد جيشا لمهاجمة الأتراك ، ولكنه وقع في الأسر ، وتفاوض القائد التركي الذي أسره معه لتدبير مؤامرة ضد ألب أرسلان ، ولكن السلطان كشف المؤامرة وتقدم الى منزيكوت واستولى عليها (٧٦) . ونحن نرجح الرواية الأولى .

التقى الامبراطور البيزنطي رومانوس بالسلطان السلجوقي ألب أرسلان ، فهدد الامبراطور السلطان بكثرة رجاله (٧٧) وهدده بخيوفته من القتال ، ولكن السلطان لم يخفل بتهديده ، وتصدى له في شتجاعة وثبات وإيمان كبير بالله ، فحلت الهزيمة الساحقة بالقوات البيزنطية ، ووقع الامبراطور أسيرا في يد ألب أرسلان (٨٧) وهنا حاول الامبراطور أن يستدر عطف السلطان عليه وطلب منه أن يخفو عنه في مقابل دفع جزية سنوية ، فوافق السلطان على ذلك وأطلق سراحه وخلع عليه وأعادته الى بلاده سالما (٧٩) بعد أن عقدت معاهدة بين الطرفين مدتها خمسون عاما تعهد فيها الروم بدفع الجزية للسلاجقة (٨٠) .

وتعتبر معركة (ملاذكرد) من المعارك الفاصلة في التاريخ ويسمى بها بعض المؤرخين باسم الملحمة الكبرى ، وتعد أكبر نكسة في تاريخ الامبراطورية البيزنطية وأصبحت الاراضى البيزنطية تحت رحمة السلاجقة وبذلك يكون السلاجقة قد تابعوا الكفاح الذي قام به العرب المسلمون ضد الروم (٨١) . وقد كان من أبرز نتائج هذه المعركة أن انفتح الطريق أمام السلاجقة ليتقدموا الى قلب آسيا

الصغرى وأبتدأ منذ هذا التاريخ تدهور الامبراطورية البيزنطية وتوقف انتشار الحضارة اليونانية والآداب المسيحية السائدة في هذه المنطقة ، وحلت الحضارة الاسلامية محلها (٨٢) . كما تعتبر موقعة ملاذكرد أكبر كارثة حلت بالامبراطورية البيزنطية حتى نهاية القرن الحادى عشر الميلادى . فقد جاءت دليلا على نهاية دور الدولة البيزنطية فى حماية المسيحية فى الشرق الاسلامى وفى حراسة الباب الشرقى لأوربا من غزو الآسيويين ، وبذلك صار على الغرب الأوربى أن يقوم بدوره فى هذا المضمار بدلا من اعتماده حتى ذلك الوقت على الامبراطورية البيزنطية . ولذلك يعتبر بعض المؤرخين أن الدعوة الى الحرب الصليبية فى مؤتمر كلير مونت سنة ٤٨٨ هـ سنة ١٠٩٥ م كانت رد فعل للكارثة التى حلت بالدولة البيزنطية سنة ٤٦٣ هـ سنة ١٠٧١ م (٨٣) .

كذلك نتج عن معركة مانزيكرت أن استقر التركمان بالأراضى البيزنطية ، والتمس سكان أرمينية وقبادوقيا ، حماية التركمان بعد أن أدركوا عجز البيزنطيين عن الدفاع عنهم . وقد شجع التنازع على العرش فى بيزنطة ، والنضال بين الطبقة الارستقراطية الحربية والطبقة الارستقراطية المدنية ، والاستعانة بالجنود المرتزقة ، التركمان على التوغل فى داخل آسيا الصغرى ، فبلغوا فى زحفهم بحر مرمرة والبوسفور وبحر ايجه واتخذوا من (نيقية) قاعدة لهم ، واستقلوا على الدولة السلجوقية (٨٤) . فقد اتجه قطلмыш ابن عم ظفر بك ، مع طائفة من التركمان الى الجبال الواقعة جنوب بحر قزوين اذ اعتبر نفسه أحق بالملك منه ، ولأن أباه كان أرشد أفراد الأسرة السلجوقية . وقام أبناء قطلмыш بالثورة على ألب أرسلان ، ولحقوا بالتركمان فى الأناضول كى يقيموا لهم امارة مستقلة يناوئون بها البيزنطيين وأبناء عمومتهم فى العراق . فاستقر سليمان بن قطلмыш فى نيقية ، وأضرباف اليها قبليقية وملطية

وبذلك سيطر سليمان على أطراف الجزيرة والشام واتصل بالفاطمين
لمناهضة السلاجقة (٨٥) .

وفي سنة ٤٦٨ هـ حاصر سليمان بن قطلمش حلب وطمع فيها
وعلم أن السلطان متقدم نحو الشام فرحل عنها ، وفي طريق العودة
التقى بتتش الذي ألحق به الهزيمة فمضى ابن قطلمش إلى
أنطاكية (٨٦) .

وفي سنة ٤٧٥ هـ استولى ابن قطلمش على حصني انطرووس
وطرسوس من الروم وبعث إلى ابن عمار قاضي طرابلس وصاحبها
يطلب منه قاضيا وخطيبا لكل مدينة (٨٧) . وفي نفس السنة توجه
ملك الروم إلى أنطاكية فنقدم إليها شرف الدولة مسلم بن قريش
صاحب حلم للقاءه . وكان سبب توجه ملك الروم إلى أنطاكية أنه
طلب من واليها ما نصت الهدنة عليه من أموال ، وتبلغ ثلاثين ألف
دينار في كل سنة ، فلم يحمل إليه شيئا فكاتب بعض أهالي أنطاكية
شرف الدولة وعرضوا عليه تسليم البلدة إليه . ولما كان شرف الدولة
يثق في أحد كتابه النصاري فقد ترك عنده الكتب التي بعثها أهل
أنطاكية إليه ، فلما تحقق الكاتب من فتح أنطاكية هرب إليها ودفع
بالكتب إلى الفردوس فقبض على أهالي أنطاكية العصاة ، وكانوا حوالي
ثلاثمائة ، فقتلهم ، وكاشف شرف الدولة بالأمر ، ثم وشى به عند
السلطان واتهمه بأنه يرأس الخليفة الفاطمي ويبعث إليه بالخام
والأموال ، واستقر الأمر على أن يحمل الفردوس مال الهدنة إلى
السلطان ، ونفى مسلم بن قريش اتصاله بخليفة مصر (٨٨) .

وفي سنة ٤٧٧ هـ سار سليمان بن قطلمش السلجوقي صاحب
قونية وأقصر أعمالها من بلاد الروم إلى الشام فاستولى على مدينة
أنطاكية وكانت بيد النصاري منذ مائة وعشرين سنة (٨٩) . وكان

سبب قلوب سليمان اليها أن صاحبها الفلاردوس (أو الفردوس) كان قد رحل عنها الى بلاد الروم تاركاً بها ابنه مع نائب عنه يدبران أمرها .

ولما كان الفردوس هذا مكروها من أهلها ومن جنده وابنه أيضا ، فقد اتفق الابن مع النائب على تسليم المدينة الى سليمان ابن قظلمش وكتبوا اليه يستدعونه ، فسار اليهم بجيوشه (٩٠) ، وزعم أن الفلاردوس استدعاه (٩١) . وعندما وصلوا الى المدينة تساق بعضهم أسوارها ونجحوا في دخول المدينة في العاشر من شهر شعبان دون أن يشعر بهم الأهالي ، وظن أهل أنطاكية أن القادمين هم عسكر الفلاردوس فقاتلوهم وهزموهم ، ثم علموا أن القادمين هم الأتراك فهرب البعض الى القلعة وقفز البعض الآخر من فوق الأسوار للنجاة بأنفسهم (٩٢) . واستولى سليمان على كنيسة كيسان وعلى كل ما بها من المتاع والأواني الذهبية والفضية وودائع أهل البلد وتقدير قيمتها بمبالغ طائلة ، ثم جول الكنيسة الى مسجد ونادى بالأمان في المدينة ، وأمن أهلها على أموالهم وأرواحهم ومنع الترك من اقتحام بيوت النصارى ونهاهم عن سبي بناتهم حتى ولو قصدوا من وراء ذلك الزواج بهن ، ولم يسمح لهم بنقل شيء ما من أنطاكية، كما أمرهم ببيع كل ما امتدت اليه أيديهم وأن يقنعوا فيه بالثمن الزهيد ، مما أرضى أهالي المدينة ، وسلم الوالي القلعة اليه ، وفضله الأهالي على (فيلاردوس) الذي لم يكن له نصيب من المسيحية سوى اسمه فقط (٩٣) . وبعد فتح سليمان لأنطاكية كتب الى السلطان ملكشاه يبشره بفتحها ، فأظهر ملكشاه سروره وهنا الناس (٩٤) .

ولما استولى سليمان بن قطلмыш على مدينه انطاكيه ارسل اليه شرف الدولة مسلم بن قريش يطلب منه ما كان يحمله اليه الفردوس من المال ويحذره من معصية السلطان فأجابه : « أما طاعة السلطان فهي شعاري ودثاري والخطبة له والسكة في بلادى وقد كاتبته بما فتح الله على يدي بسعادته من هذا البلد وأعمال الكفار وأما المال الذي كان يحمله صاحب أنطاكية قبلى فهو كان كافرا وكان يحمل جزية رأسه وأصحابه وأنا بحمد الله مؤمن ولا أحمل شيئا » (٩٥) . فما كان من شرف الدولة الا أن أقدم على نهب أنطاكية فانتقم سليمان منه بنهب حلب فلما شكوا له أهل حلب ما قام به عسكريه من انتهاب قال : « أنا كنت أشد كراهية لما يجرى ولكن صاحبكم أخرجني الى ما فعلت ولم تجر عادتي بنهب مال مسلم ولا أخذ ما حرمة الشريعة وأمر أصحابه بإعادة ما أخذوه منهم فأعادوه » (٩٦) . وفي الرابع والعشرين من صفر سنة ٤٧٨ هـ اقتتل سليمان ومسلم فانهزم الأخير في نفس اليوم وقتل مع أربعمئة غلام من أحداث حلب (٩٧) . فلما قتل مسلم قصد بنو عقيل أخاه ابراهيم بن قريش وكان مسجوناً ، فأطلقوا سراحه وولوه عليهم ، وكان قد أمضى في الحبس سنين طويلة (٩٨) . ثم ان سليمان ابن قطلмыш قصد حلب فحاصرها في مستهل ربيع الأول سنة ٤٧٨ هـ وظل يحاصرها شهراً فلم يبلغ منها شيئا فرجع عنها (٩٩) .

ويبدو أن سليمان بن قطلмыш كان قد بسط بعد ذلك سلطانه على حلب فترة قصيرة بدليل أن ابن كثير يذكر انه في سنة ٤٩٧ هـ حدثت وقعة بين تتش صاحب دمشق وبين سليمان صاحب حلب وأنطاكية ، فانهزم أصحاب سليمان ولقى هو حتفه . فسار السلطان ملكشاه من أصفهان الى حلب فاستولى عليها ، ثم استناب السلطان علي حلب قسيم الدولة آقسنقر التركي وهو جد نور الدين

الشهيد (١٠٠) . كما أقر حكم تتش على بلاد الشام وحكم أبناء سليمان بن قطلمش على بلاد الروم (١٠١) .

واستمرت العلاقات بين الشام وبيزنطة هادئة حوالى عشر سنوات ، وفى سنة ٤٨٩ هـ تواترت الأخبار بخروج امبراطور الروم من بلاده قاصدا بلاد الشام (١٠٢) .

ثالثا : العلاقات السياسية بين السلاجقة والقوى السياسية فى بلاد الشام قبل قدوم الصليبيين :

وقفنا فى الفصل السابق على صورة متكاملة للعلاقات السلجوقية الفاطمية فى بلاد الشام بعد استيلاء السلاجقة على هذه البلاد ، وكان الفاطميون يمثلون قوة سياسية فى الشام فى تلك الفترة . ورغم التطاحن المستمر بين الجانبين : التركى والمغربى فلم يستطع أحدهما التفوق على العنصر الآخر تماما . فبالرغم من سيطرة السلاجقة على معظم بلاد الشام فان الفاطميين ظلت لهم السيادة على معظم بلاد الساحل الشامى ، اذ أنه عند قدوم الصليبيين الى البلاد كان الفاطميون مسيطرين على عدد من الموانئ مثل عكا وصور وصيدا وعسقلان (١٠٣) . هذا الى جانب بيت المقدس التى سبق أن ذكرنا أنهم استردوها من السلاجقة فى سنة ٤٨٩ هـ (١٠٤) .

والى جانب العنصر الفاطمى المغربى كان هناك العنصر العربى الذى بدأت قوته فى الظهور أثناء امتداد النفوذ الفاطمى على بلاد الشام ، ويمثل هذه العنصر بنو عمار بطرابلس وبنو منقذ بشيزر .

فاذا كان الفاطميون قد استغلوا تفوقهم البحرى على السلاجقة وظلوا على ساحل الشام ، فقد خسروا طرابلس حوالى منتصف القرن

الحادى عشر الميلادى (الخامس الهجرى) عندما استقل بها أحد أتباعهم وهو القاضى الشيعى ابن عمار أبو طالب (١٠٥) . وفى رجب سنة ٤٦٤ هـ توفى القاضى أبو طالب قاضى طرابلس فخلفه ابن أخيه جلال الملك أبو الحسن بن عمار وأتبع سياسة حكم رشيدة (١٠٦) . ورغم محاولات بدر الجمالى أمير الجيوش لاسترداد طرابلس منه فانه عجز عن أخذها (١٠٧) .

وفى سنة ٤٧٣ هـ استولى جلال الملك بن عمار على حصن جبلة (١٠٨) . وكانت العلاقات ودية بين السلاجقة وبنى عمار فى السبعينات من القرن الخامس الهجرى بدليل أنه فى سنة ٤٧٦ هـ عزم تتش صاحب دمشق على مصاهرة أمير الجيوش بدر الجمالى وزير مصر ، فأشار ابن عمار قاضى طرابلس وصاحبها على تتش بالا يفعل فعدل عن ذلك (١٠٩) . وفى سنة ٤٧٧ هـ خرج تتش ابن ألب أرسلان من دمشق الى انطربوس فحاصرها وانتزعها من ابن عمار صاحب طرابلس مقابل مبلغ من المال (١١٠) . ولكن سرعان ما ساءت العلاقات فى الثمانينات من نفس القرن ففى سنة ٤٨٤ هـ حاصر تتش طرابلس ، وانضم اليه آق سنقر صاحب حلب ، وبوزان صاحب الرها ، ونصبوا المجانيق ، فاحتج ابن عمار صاحبها عليهم وأطلعهم على منشور السلطان ملشكاه بأقراره على طرابلس ، فلم يقبل منه تتش ذلك ، وانسحب آق سنقر ، ثم وقع خلاف بين تتش وأتباعه وانسحبوا جميعا عن طرابلس (١١١) .

وقد أشرنا فى معرض حديثنا عن بنى عمار الى خلف بن ملاعب ، وهو من الشخصيات العربية التى اشتهرت بمغامراتها قبيل الحروب الصليبية ، اذ استطاع أن يقيم لنفسه امارة فى حمص بمساعدة أمير حلب مسلم بن قریش العقيلى كى يتخذ مسلم من امارة حمص حائلا يرد عنه هجوم أمير دمشق ، ولكن ابن ملاعب

لم يلبث أن تخلى عن حمص وعن أفامية تحت ضغط السلاجقة (١١٢) ففى سنة ٤٨٥ هـ أمر السلطان ملكشاه آق سنقر وبوزان بمساعدة أخيه تتش فى استخلاص ما بايدى الخليفة الفاطمى من مدن (١١٣) . ولما كان ابن ملاعب قد خطب للخليفة المستنصر فقد اتجه الجميع الى حمص واستولوا عليها وأسروا ابن ملاعب وولديه ثم تقدم تتش الى عرقة وأفاميه فاستولى عليهما أيضا (١١٤) .

أما بنو عنقذ فقد كانوا قادة عربا يقيمون بشيزر على نهر العاصى ، وكانوا يمزجون الحياة الأدبية بحياة الصيد (١١٥) . وفى سنة ٤٦٨ هـ بدأ سديد الملك أبو الحسن على بن مقند بن نصر بن منقذ بعمارة حصن الجسر ، وموضع الحصن اليوم تل خالد وهو غربى شيزر على مسافة قريبة منها (١١٦) . وكان سديد الملك هذا شجاعا مقداما قوى النفس وهو أول من انتزع قلعة من بنى منقذ (١١٧) .

وفى رجب سنة ٤٧٤ هـ استولى سديد الملك على حصن شيزر من الأسقف الذى كان مسيطرا عليه (١١٨) . وكان فى شيزر وال للروم (١١٩) يدعى (دمتري) فلما ضاق بالهجوم على الحصن ، راسل سديد الملك فى تسليم الحصن مقابل بعض المال وأن تظل للأسقف أملاكه التى تحت يديه (١٢٠) . وبعد استيلاء سديد الملك على الحصن شرع فى عمارته وتحصينه واتخذ قاعده له (١٢١) . وبعتبر سديد الملك هو مؤسس الدولة المنقذية بشيزر (١٢٢) ولم يزل هو وأبناؤه مسيطرين على الحصن حتى كان الزلزال الكبير الذى حدث فى شيزر فى الثالث من رجب سنة ٥٥٢ هـ فهدمت القلعة ومات معظم بنى منقذ تحت الانقاض وظلت القلعة متهدمة حتى عمرها نور الدين زنكى (١٢٣) .

وعندما كان السلطان ملكشاه بحلب سنة ٤٧٩ هـ قدم عليه نصر بن علي بن منقذ صاحب شيزر وطلب منه الأمان فأمنه ، ودخل نصر في طاعته ، وقد كان من قبل نائبا عن الفاطميين ، وسلم للسلطان ملكشاه فامية والأذقية وكفر طاب وشيزر ولكن السلطان أقره على نيابة شيزر فقط (١٢٤) وحدث صدام بين حكام شيزر وحكام المدن المجاورة ، فقد حدث في سنة ٤٨١ هـ أن جمع آق سنقر صاحب حلب عساكره وتقدم الى قلعة شيزر وكان نصر ابن منقذ لا يزال بها فضيق عليه ونهب البلد فاضطر ابن منقذ الى مصالحته ، فانسحب آق سنقر (١٢٥) .

والى جانب مراكز الثقل هذه التى أشرنا اليها كان هناك مركز مهم يقف ندا لدمشق ، وهو حلب ، وقد توالى على حكمها قبل قدوم الصليبيين حكام من العرب والأتراك ، وأبرز هؤلاء واليان أحدهما عربى من بنى عقيل هو مسلم بن قريش ، والآخر تركى ولاء السلطان ملكشاه وهو قسيم الدولة آق سنقر . ومن الغريب أن الاثنين ماتا مقتولين بيد السلاطين السلاجقة .

ففى سنة ٤٧٢ هـ تولى شئون حلب شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي صاحب الموصل وكان سبب توليته ضيق أهالى حلب بحصار تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان لمدينتهم ، فكاتبوا شرف الدولة يعرضون عليه تسليم حلب اليه ، اعترافا بجميله اذ كان يمددهم بالغلال خلال الحصار (١٢٦) .

وكانت علاقات مسلم بتتش غير طيبة ، ولذلك كانت الاحتكاكات دائما بينهما ، ففى سنة ٤٧٥ هـ سار مسلم بن قريش الى دمشق فحاصرها ولكنه اضطر الى الانسحاب لاختفاق الحصار (١٢٧) . وتكرر الحصار فى السنة التالية سنة ٤٧٦ هـ دون جدوى (١٢٨) .

حتى اذا مرت ثلاث سنوات زاد خوف تتش فزحف بجيوشه الى حلب
لحصارها ، وهنا أدرك السلطان ملكشاه سوء أحوال حلب ، كما
فطن الى تغلب نزعة السيطرة عند أخيه . فسار الى حلب سنة
٤٧٩ هـ مما أربب اخاه تتش فانسحب الى دمشق (١٢٩) .

ولم يلبث السلطان ملكشاه أن ولى الأمير قسيم الدولة آق
سنقر على حلب سنة ٤٨٠ هـ (١٣٠) . وقد أحسن السيرة فيها
وبسط العدل بين أهلها ، وتتبع المفسدين فأبادهم (١٣١) . ولذلك
ازدهرت حلب فى عهده ، ونشطت الحركة التجارية وقدم اليها كثير
من التجار من كل مكان (١٣٢) .

وفى ربيع الثانى سنة ٤٨٧ هـ توجه تاج الدولة من دمشق
الى حلب فلما علم قسيم الدولة بذلك شرع فى الاستعداد لمواجهته .
وقدم اليه بوزان صاحب الرها وكربوقا صاحب الموصل ويوسف
صاحب الرحبة فى عساكرهم لمساعدته ضد تاج الدولة (١٣٣) .
وقد كانوا يخافون من تسلطه عليهم جميعا اذا قضى على قسيم
الدولة . والتقى الفريقان فلهقت الهزيمة بقسيم الدولة وحلفائه ،
ثم لقي حتفه على يد تاج الدولة (١٣٤) . ودخل تتش حلب ونودى
فيها بشعاره (١٣٥) .

من هذا العرض السريع نرى أن العناصر غير السلجوقية لم
تمكن السلاجقة من بسط سلطانهم المطلق على بلاد الشام بل كانت
أحيانا تصطدم بها لتوسيع نطاق نفوذها على حساب السلاجقة غير
قادرة ببسط نفوذها على بعض أجزاء البلاد ؛ مما أدى الى عدم استقرار
أحوال البلاد .

رابعاً : انقسام السلاجقة والصراع بين القوى السلجوقية :

رأينا فى الفصول السابقة كيف أدى صدام السلاجقة بالفاطميين وبالبيزنطيين وبالقوى السياسية الموجودة فى بلاد الشام ، الى اثاره القلاقل والاضطرابات فى بلاد الشام زمن الحكم السلجوقى لها . ولم يقتصر اضطراب الأمور على هذا النحو فحسب ، بل ان انقسام السلاجقة فيما بينهم ، واختلاف كلمتهم ، ونشوب العداء بينهم ، قد اضاف عاملاً جديداً الى عوامل التفكك السياسى الأخرى فى بلاد الشام فى تلك الفترة الحرجة .

وقبل ان نتناول علاقات سلاجقة الشام ببعضهم يجدر بنا ان نلقى نظرة سريعة على العلاقات السلجوقية عامة ، ومتى بدأ الضعف والتفكك يدب فى جسد الدولة السلجوقية وكيف امتد ذلك الخلاف الى بلاد الشام .

نشأت الدولة السلجوقية قوية فتية موحدة فاستطاع سلاطينها ان يسيطروا نفوذهم على أجزاء واسعة من الأقاليم المجاورة فى آسيا . ولكن بتوالى السنوات بدأت الدولة تدخل دور الهرم وخاصة بعد عصر السلطان الكبير ملكشاه . ولاقت الدولة السلجوقية نفس المصير الذى لاقت دولة شارلمان ، بعد وفاة هذا الملك العظيم ، فىرى المؤرخ (جيزو Guizot) أن أسباب سقوط امبراطورية شارلمان ، هى نفس أسباب سقوط امبراطورية ملكشاه ،

فالدولة تمر بنفس أدوار حياة الانسان وحينما تكون الدولة في شبابها تستطيع أن تدير جهاز الحكم وتتغلب على جميع المشاكل ، وخاصة اذا كانت الدولة قد بلغت اتساعا كبيرا (١٣٦) .

أدت وفاة السلطان ملكشاه ومقتل وزيره العظيم نظام الملك الى حرومان السلاجقة من شخصيتين كان لهما من الحنكة السياسية والخبرة والعسكرية ما دعم قوة الدولة السلجوقية وذلل الصعوبات التي واجهتها . وبوفاة ملكشاه أخذ الضعف يدب في كيان الدولة السلجوقية ويوهنها الانقسام والتنازع على السلطنة (١٣٧) . فقد خلف ملكشاه أربعة أولاد صغار أكبرهم بركياروق وكان في الثانية عشرة من عمره ثم يليه محمد فسنجر فمحمود ، ولم يكن الأمراء الأربعة أشقاء ، كما كان لكل منهم حاشية تلتف حوله وتوغر صدره على أخوته ولذلك وقع الصدام بين الاخوة جميعا وخاصة بين بركياروق ومحمد ، فقد كان بركياروق يعتبر نفسه أحق بالسلطنة من أخيه فنشب لذلك نزاع عنيف كانت له نتائج خطيرة أدت بمرور الزمن الى أحداث تصدع كبير في صفوف السلاجقة (١٣٨) :

والى جانب النزاع على السلطنة كان هناك نزاع آخر على صعيد الأمراء ، فمنذ أن بدأ نظام الاتابكيات (١٣٩) . بدأ عامل التنافس والطمع يلعب دوره في تفتيت وإضعاف الإمارات التي يتكون منها العالم السلجوقي (١٤٠) .

ولم تقتصر الاحتكاكات بين بركياروق وأخوته بل تعدتها الى أعمامه أيضا فقد اصطدم بعمه تتش الذي كان واليا على دمشق

والذي أعلن أنه أحق بالسلطنة من بركياروق. وساعده على ذلك
الخلافات القائمة بين بركياروق وأخوته ، فتقدم الى حلب ويمنط
سلطانه عليها ، ولم يلبث أن دانت له أنطاكية والرها وحران
ونصيبين بالولاء ، ولم تنجح محاولات استنجد أمراء هذه المناطق
بالسلطان بركياروق (١٤١) . وتمكن تتش من فتح الموصل وديار
بكر وأذربيجان وبدأ يفكر في التوجه الى بغداد للاتصال بالخليفة
العباسي للاعتراف به سلطانا على السلاجقة : وهنا شعر بركياروق
بالخطر الذي يهدده من ناحية عمه تتش فتوجه الى أذربيجان لرفع
خطر عمه عن البلاد فلما تقارب الجيشان انضم عدد من أمراء جيش
تتش الى بركياروق . فأبقت تتش أنه لا طباقة له بهم فعباد الى
الشام (١٤٢) . ولكن تتش عاد لحرب ابن أخيه من جديد وكان في
هذه المرة أقوى من سابقتها ، ولكنه رغم ذلك خسر المعركة مع
بركياروق قرب الرى سنة ٤٨٨ هـ وقتل في نفس المعركة في السابع
عشر من صفر بيد ابن أخيه (١٤٣) .

وأصبح سلاجقة الشام لا يقلون انقساماً وتنازعا عن غيرهم
من السلاجقة في إيران والعراق ، بعد مقتل تتش ، فلم تكن لهم
زعامة موحدة وذلك نتيجة التنافس الذي ثار بين ابنه رضوان
ودقاق (١٤٤) وهنا سنلاحظ أن مفاسد نظام الاتابكيات قد ظهر
جليا في غمرة هذا الصراع .

فعندما خرج تتش لقتال بركياروق ترك بحلب أبا القاسم
الحسن بن علي الخوارزمي نائبا عنه (١٤٥) . في حين ترك بدمشق
الأمير ساوتكين الخادم (١٤٦) وفي نفس الوقت أخذ ولاية العهد
لابنه رضوان وكتب اليه يأمره بأن يتجه الى العراق ولكن عندما
اقترب رضوان من بلدة هيت (١٤٧) بلغه مقتل أبيه فعاد الى حلب
واستولى عليها ولحقه أتابكة وزوج أمه جناح الدولة الحسن بن أيتكين

الذى استطاع بجهوده أن يجعل الخطبة على المنابر باسمه ، لا باسم أبيه ، بعد أن ظلت الخطبة لأبيه شهرا بعد مقتله . وأحسن جناح الدولة تدبير مملكة حلب ولكنه بدأ يصطدم بياغى سيان حاكم أنطاكية (١٤٨) . لما أبو نصر شمس الملوك رقاق ابن تتش (١٤٩) فقد شهد مع أبيه الموقعة التى قتل فيها فلما قتل أبوه أخذه غلام لأبيه اسمه أبتكين الحلبي ، وسار به الى حلب وأقام عند أخيه الملك رضوان (١٥٠) . وهناك راسله نائب أبيه بدمشق الأمير ساوتكين البخادم يدعو سرا للسيطرة على دمشق ، وبالفعل سار إليها وولاه ساوتكين مكان أبيه (١٥١) . وهنا بدأ ياغى سيان يرأسل دقاق ويحرضه على الانفراد بالحكم ، وفى نفس الوقت أيضا وصل الأمير طغتكين أتابك دقاق وزوج أمه فتقرب إليه وولاه على البلاد وتخلص من ساوتكين بقتله (١٥٢) . وذلك فى سنة ٤٨٩ هـ (١٥٣) .

وبدأ الصراع يشتد بين الأخوين رضوان ودقاق واستعان الطرفان بالقادة الترك والتركمان ، فاستعان دقاق بياغى سيان حاكم أنطاكية وإيلغازى حاكم بيت المقدس ، فى حين استعان رضوان بالأمير سكيان الارتقى وبقبيلة بنى كلاب أيضا (١٥٤) . وحاول رضوان أن يستولى على دمشق فقدم إليها وحاصرها ولكنه رجع عنها دون أن يحقق أى نصر (١٥٥) .

واستمر الصراع بين الجانبين فترة طويلة مما أنهك قوى السلاجقة ، ثم انحلت عرى هاتين القوتين بالنزاع الذى قام بين دقاق وإيلغازى (١٥٦) . ثم بالنزاع الذى وقع بين جناح الدولة ورضوان فقد ترك جناح الدولة حلب الى حمص فاستولى عليها سنة ٤٨٩ هـ (١٥٧) . ثم ان ياغى سيان ترك دقاق وأصبح أتابكا لأخيه (١٥٨) .

وفي سنة ٤٩٠ هـ وبينما كان الأرييون يدقون أبواب بلاد الشام كان الاخوان السلجوقيان وصاحبها الأمر في البلاد يتصارعان ، فقد تقاتل الاثنان بقنسرين فانهزم دقاق ونهب جيشه (١٥٩) وأخيرا تم الصلح بينهما على أن يخطب لرضوان بدمشق وأنطاكية قبل الخطبة لدقاق (١٦٠) .

وهكذا كانت الصلات بين السلاجقة في بلاد الشام لا تبشر بالخير أو بالقدرة على الصمود أمام العدو الصليبي الزاحف من الغرب ولم يحاول الاخوان السلجوقيان أن يصفيا ، ولو مؤقتا ، تلك الخلافات والأطماع الشخصية ولم يقدر اخطورة الطوفان الصليبي .

بل ان سوء التدبير والتقدير حدا برضوان أمير حلب الى أنه لم ينجد باغى سيات ، أول من اصطدم بالصليبيين ، وذلك بسبب موقفه العدائي منه غير مقدر أنه بذلك يقترب من حافة الهلاك (١٦١) . فلو كانت الأقدار تخبيء للمسلمين حاكما مثل ألب أرسلان أو ملكشاه حينما اندفع الصليبيون الى بلاد الشام لما نال الصليبيون النجاح الذي حازوه في الحملة الصليبية الأولى . اذ كان الجيش الصليبي ينقصه التدبير ويفتقد الى مجالس الحرب المنظمة القادرة الى جانب الشجاعة بين القواد الصليبيين بالاضافة الى ذلك إلى المعتمد الكبير من النساء والأطفال والمسنين والعجزة ، ولا شك أن موقف الصليبيين كان سيصبح حرجا لو التقوا بقائد بأسل مثل ملكشاه (١٦٢) .

وهكذا عندما وصل الصليبيون الى بلاد الشام كانت البلاد على شفا الهاوية بسبب انقسام السلاجقة ، حكام الشام ، فيما بينهم من ناحية وصراع مع القوى المحيطة بهم من ناحية أخرى .

خامسا : افر انتشار المذهب الباطنى فى بلاد الشام :

ان كان السلاجقة قد احتفظوا بجزء يسير من طاقتهم بعد كل ألوان الصراع التى أشرنا اليها فى الفصول السابقة فقد استنفذوا هذا الجزء أيضا فى صراعاتهم المذهبية المرير ضد الاسماعيلية الباطنية ، وقد استمر هذا الصراع على أشده بعد قدوم الصليبيين الى بلاد الشام ، ولذلك توزعت جهود سلاطين السلاجقة فى بلاد الشام بين مناهضة الصليبيين ومقاومة الباطنية .

يعرف ابن الأثير الاسماعيلية بأنهم الذين كانوا يسمون قديما بالقرامطة (١٦٣) فى حين يذكر (بنطلج جوزى) أن القرامطة يشكلون فرعا كبيرا من الاسماعيلية (١٦٤) ومهما كان رأى فهم من غلاة الشيعة المتطرفين ، ولذلك كان من المحتم أن يصطدموا بالسلاجقة وهم من أهل السنة .

سمى الاسماعيلية أنفسهم أصحاب الدعوة الهادية ، ومن الناس من يسميهم الباطنية ومنهم من يسميهم الملاحدة ، وجوهر معتقدتهم التناسخ (١٦٥) .

انتشرت الاسماعيلية انتشارا واسعا وكان الذين بالشام منهم يعرفون بالحشيشية ، ومن كان بالموت يقال لهم الباطنية والملاحدة ومن كان بخراسان يقال لهم التعليمية (١٦٦) .

كانت أول قلعة ملكها الباطنية هى الموت سنة ٤٨٣ هـ وقد ملكها الحسن بن الصباح (١٦٧) . وكان يمارس نشاطا خطرا ، لذلك أرسل اليه السلطان ملكشاه يهدده وينهاه ، ولكن الرسول أدرك تفانى أتباع الحسن فى طاعته ، ولذلك امتنع السلطان بعد ذلك عن مراسلته (١٦٨) . ولكن الباطنية لم يمتنعوا عن إيذاء

السلاجقة حتى أنهم قتلوا نظام الملك وزير ملكشاه المحنك . وبوفاة
 السلطان العظيم ملكشاه اشتهت شوكة الباطنية وقويت
 أطماعهم (١٦٩) . مستغلين فرصة انقسام وتنازع السلاجقة بعد
 وفاة ملكشاه ، فوصلت دعوتهم الى أصفهان إحدى عواصم الدولة
 السلجوقية (١٧٠) وبالرغم من أن السلطان بركياروق أصدر أوامره
 في سنة ٤٩٤ هـ بقتل جماعة الباطنية (١٧١) فإن نفوذهم اتسع
 بشكل ملحوظ ، إذ امتد نشاط الاسماعيلية الى بلاد الشام
 وسيطروا على عدة قلاع بين حمص وحماه (١٧٢) ومن العجيب أن
 يعتنق أحد سلاطين السلاجقة بالشام ، وهو رضوان بن تتش ،
 مذهب الباطنية ويؤيده . فقد استطاع الحكيم المنجم الباطني استمالة
 رضوان فظهر هذا المذهب في حلب في عهده (١٧٣) وتعصب رضوان
 للباطنية وصار لهم بحلب نفوذ كبير ، وصارت لهم دار للدعوة في
 حلب ورغم محاولات الملوك المعاصرين لرضوان لابعاده عن هؤلاء
 الباطنية ، فإنه لم يعبأ بمحاولاتهم ولم يتخل عن أتباعه
 الجدد (١٧٤) . والواقع أن رضوان ساعد الباطنية حتى يتخذ
 منهم أداة قوية لتنفيذ بعض مآربه السياسية وللتخلص من خصومه .
 ففي سنة ٤٩٦ هـ أرسل الحكيم المنجم الباطني ثلاثة أعجام من
 الباطنية فاغتالوا جناح الدولة بحمص ، وكان ذلك بتحريض من
 رضوان (١٧٥) وقد مر بنا أن جناح الدولة هذا كان أتابكا لرضوان
 ثم اختلف معه وخرج من حلب الى حمص فاستولى عليها وظل على
 موقفه العدائي من رضوان حتى قتل بيد الباطنية . وما إن قتل
 جناح الدولة حتى انزعج أهل حمص وهرب معظم سكانها من الأتراك
 الى دمشق ، وراسل الباقون الملك شمس الملوك بدمشق يلتمسون
 منه انقاذ من يتسلم المدينة ويحميها قبل أن يصل الخبر الى الفرنج
 فيستولون عليها فسار اليها شمس الملوك وأتابكه ظهير الدين
 وتسلماها (١٧٦) .

وبوفاة المنجم الباطنى قام بأمر الدعوة بعده رفيقه أبو طاهر الصائغ العجمى (١٧٧) الذى أرسل بدوره جماعة من الباطنية من أهل سمرين (١٧٨) لاغتيال خلف بن ملاعب حاكم أفامية والاستيلاء على هذه المدينة ونادوا بشعار الملك رضوان وذلك فى السادس والعشرين من جمادى الأولى سنة ٤٩٩ هـ (١٧٩) وظل حصن أفامية بيد الباطنية حتى أخذه الفرنج منهم سنة ٥٠٠ هـ (١٨٠) .

هكذا أثر انتشار المذهب الاسماعيلى الباطنى تأثيرا واضحا فى أحوال الدولة السلجوقية السياسية ، كما أثر على نفوذها فى بلاد الشام ، وبذلك أصبح سلاجقة الشام قبل قدوم الصليبيين ، بل وخلال السنوات الأولى من الغزو الصليبي ، منهوكى القوى مشغول بالجهود بين القضاء على هذين الخطرين الجسيمين ، الصليبي والباطنى .

الهوامش

(١) يذكر ابن عساكر ضمن النصوص المأخوذة عنه بواسطة صلاح الدين المنجد في كتاب ولاية دمشق في العهد السلجوقي ص ٢ : « أن المقصود بالعهد السلجوقي في دمشق ، الحقبة التي تبدأ بزوال السلطان الفاطمي وخروج جند المصريين من دمشق بدخول مقدم الغز اتسزين أوق إليها سنة ٤٦٨ هـ . وتنتهي بخروج آخر البوريين منها ودخول نور الدين محمود بن زنكي إليها سنة ٥٤٩ هـ وتأسيسه الدولة النورية فيها . » ولكننا هنا نقصر تناولنا للعصر السلجوقي على تلك الفترة الصغيرة التي سبقت قدوم الصليبيين الى الشام .

(٢) الدبس : تاريخ سورية ، ج ٣ ، م ٥ ، ص ٤٦٥ .

(٣) يتفق بعض المؤرخين ان ذلك حدث سنة ٤٦٢ هـ ومنهم :

C. Cahen : *La Chronique Abrégée d'al Azibi ...*, p. 359.

النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٤ ، ق ٢ ، مخطوط ، ص ١٠٦ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٠٨ . في حين يذكر البعض الآخر أنه تم سنة ٤٦٢ هـ ومنهم ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٠١ .

ابن العديم . زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٦ ، ابن أبيك : كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ٣٨٨ - ٣٨٩ .

وسواء كان هذا الرأي أم ذاك ففي سنة ٤٦٣ هـ كان النفوذ الفاطمي الشيعي قد انحسر عن حلب .

(٤) النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٤ ق ٢ ، مخطوط ، ص ١٠٦ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٠٨ .

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٠١ .

(٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢١ .

(٧) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٣٧ .

(٨) أبو المحاسن . النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٨٧ .

(٩) سبط بن الجوزي : مراة الزمان ، ج ١٢ ، م ٢ ، ص ١٤٦ ، ب .

(١٠) بن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٢٢ ، ابن عساكر : التاريخ الكبير ، ج ٢ ، ص ٣٣١ .

(١١) الذهبي : دول الاسلام ، مخطوط ، ص ٧٣ (ب) .

(١٢) ابن القلانيس : نيل تاريخ دمشق ، ص ١٠٩ . ولو أن الصفدي يتناقض مع ابن القلانيس في هذا الرأي وذلك في أرجوزته في كتاب أمراء دمشق في الاسلام ، ص ١٤٥ .

حيث يقول . بعد ذا استولى عليها اتسز وكان في أموره يستوفز

تكررت منه لها المحاصرة وقد تظاهرا الى المصادره

وغلت الاقوات والأسعار وكان في هذا عليه العار

وللتوفيق بين الروایتين نذكر أن التسز أحسن السيرة في البداية ثم

أساءها .

(١٣) القرمانی : أخبار الدول ، ص ٢٧٧ .

(١٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١١٣ . وهي تسمى بالأسد الرايض وتعتبر من أشهر أبنية دمشق ومنشأتها العسكرية على الإطلاق (ياسين الحموي : دمشق في العصر الأيوبي ، ص ٥٨) ويذكر ابن كثير في المصدر السابق ، ص ١١٤ أن أول من بناها هو اتسز الخوارزمي بناها بدمشق بعد انتزاعها من الفاطميين فبدأ في عمارتها سنة ٤٦٩ هـ وقد ارتفع بعض أبرجتها فلم يتكامل حتى انتزع ملك البلد منه الملك المظفر تاج الملوك تتش ابن ألب أرسلان السلجوقي فأكملها وأحسن عمارتها . في حين يذكر بن شداد : الأعلام الخطيرة ، ج ٢ ، ص ٢٧ - ٢٨) ، تلقى الدين الحصني : منتخبات التواريخ لدمشق ، ج ٣ ، ص ١٠٩٢) أنه بعد قيام الفتن بين أهالي دمشق وبين بدر الجمالي وأهلها من قبل المستنصر احترقت دار الإمارة ولم يبق بدمشق دار للإمارة إلى أن ملكها تاج الدولة تتش سنة ٤٧١ هـ فبنى بها قلعة لطيفة جعلها دار إمارة وسكنها . وللتوفيق بين الروایتين نذكر أن قلعة دمشق بدأت في أيام اتسز وزادت عمارتها أيام تتش كما زادت في عهد غيره من الملوك الذين حكموا دمشق بعد ذلك . وكان بهذه القلعة مقام السلطان ومرافق الحكومة كلها من مدنية وعسكرية ومخازن السلاح وبيت المال ودار حك النقود ، والسجن ،

وفيها مسجدها وحماماتها ومدافن الملوك وقاعانهم وأشهرها قاعة الفضة . وكان
القلعة مدينة مستقلة بذاتها عن دمشق (ياسين الحموي : دمشق في العصر
الأيوبي ، ص ٥٨ - ٥٩) .

(١٥) نصوص من ابن عساكر : ولاية دمشق في العهد السلجوقي : تحقيق
صلاح الدين المنجد ، ص ١٢ .

(١٦) كرد علي : خطط الشام ، ج ١ ، ص ٢٦١ .

(١٧) نفس المصدر ، ص ٢٦٣ .

(١٨) الدبس : تاريخ سورية ، ج ٢ ، م ٥ ، ص ٥٠١ .

(١٩) ابن عساكر : التاريخ الكبير ، ج ٢ ، ص ٣٢١ . وهنا يسميه أبو
الفضائل الحموي في تاريخه تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان والمعروف
بتاريخ المنصوري ، ص ١٥٦ ، (الأفشين) .

(٢٠ ، ٢١) ابن القلائس : نيل تاريخ دمشق ، ص ١٠٩ - ١١٢ .

(٢٢) ابن عساكر : التاريخ الكبير ، ج ٢ ، ص ٣٣١ في حين تذكر
رواية أخرى في نفس المصدر والصفحة أنه قتل في ربيع الآخر سنة ٤٧١ هـ بعد
أن حكم دمشق ثلاث سنوات وستة أشهر وأياما . ويذكر ابن كثير : البداية
والنهاية ، ج ٢ ، ص ١١٩ أن سبب قتل اتسز أنه عندما وصل تقش الى دمشق
لم يركب اليه اتسز لتلقيه فأمر بقتله لساعته .

(٢٣) عبد النعيم حسنين . سلاجقة ايران والعراق ، ص ٦٦ .

(٢٤) ابن الشحنة : روض المناظر ، مخطوط ، ص ١١٤ ظ .

(٢٥) الطباخ الحلبي : اعلام النبلاء ، ج ١ ، ص ٣٤٣ - ٣٤٤ .

(٢٦) كرد علي : خطط الشام ، ج ١ ، ص ٢٦٦ في حين يذكر ابن خلدون في
تاريخه ج ٤ ، ص ٢٧٥ أنه حاصرها أياما ، ويبدو أنه قصد هنا إحدى مرات
الحصار لأنه كان . يتردد عليها كثيرا .

(٢٧) في حين يذكر أبو الفضائل الحموي : تلخيص الكشف والبيان ،
ص ١٥٦ ، أن مسلم أخذ حلب سنة ٤٧٣ هـ .

(٢٨) كرد علي : خطط الشام ، ج ١ ، ص ٢٦٦ ، ابن خلدون ، تاريخه ،
ج ٤ ، ص ٢٧٥ .

- (٢٩) ابن العديم . زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٧٢ .
- (٣٠) نفس المصدر : ص ٧٤ ، ٧٥ ومن دلائل ذلك أنه لما فتح حلب مدحه ابن حبوس بقصيدة كان لها أثر كبير في نفس مسلم وأشار عليه وزيره بمجازاة ابن حبوس بجائزة كبيرة . فاقطعه الموصل ولكن الشاعر مات قبل أن يصل إليها سنة ٤٧٢ هـ ، وترك مالا جزيلا فقيل لشرف الدولة . « هذا لا وارث له الا بيت المال ، فقال : « والله لا يدخل خزانتي مال قد جمعه من صلات الملوك فانظروا له قرابة » فسألوا عن ذلك فوجدوا له من نوى الأرحام بنت أخ فاعطاها المال كله .
- (٣١) كرد على : خطط الشام ، ج ١ ، ص ٢٦٦ .
- (٣٢) كرد على : خطط الشام ، ج ١ ، ص ٢٦٧ . ويذكر ابن الشحنة : الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، ص ٣٢ أنه في سنة ٤٧٧ هـ ظهر طلسم الأتراك في دير الملك بانطاكية فلم تمض مدة قصيرة حتى استولى عليها ابن قتلش .
- (٣٣) كرد على ، خطط الشام ، ج ١ ، ص ٢٦٧ .
- (٣٤) ابن خلدون : تاريخه ، ج ٤ ، ص ٢٧٥ - ٢٧٦ . سعيد عاشور . الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .
- (٣٥) ابن القلانص : نيل تاريخ دمشق ، ص ١٠٩ - ١١٢ .
- (٣٦) ابن القلانص : نيل تاريخ دمشق ، ج ١٢ ، ابن ميسر : أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٢٦ .
- المقريزي : اتعاظ الحنفيا ، ميكروفيلم ، ص ١٠٨ ب .
- (٣٧) ابن ميسر : أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٢٦ ، أبو الفدا . المختصر ، ج ٤ ، ص ١٩٢ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٢٦ ، ابن القلانص : ص ١١٢ .
- (٣٨) ابن القلانص : ص ١١٢ ، كرد على . خطط الشام ، ج ١ ، ص ٢٦٥ .
- (٣٩) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٢٦ ، ابن خلدون ، تاريخه ، ج ٣ ، ص ٤٧٤ .
- (٤٠) Grousset : Histoire des Croisades, V. I., p. 45 (Preface).
- ابن ميسر : أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٢٦ في حين يذكر ابن القلانص ، ص ١١٢ ، كرد على : خطط الشام ج ١ ، ص ٢٦٥ - والراجح أنه أخذ عن

ابن القلانيس - أن القائد المصري قصد ناحية الساحل وكان ثغر صور وطرابلس
في أيدي قضاتهما قد تغلبا عليهما ولا طاعة عندهما لأمير الجيوش بل يصانعان
الأتراك .

(٤١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٢٢ ، الطباخ الحلبي : اعلام النبلاء ،
ج ١ ، ص ٣٤٦ .

(٤٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٨١ .

(٤٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٢٢ ، الطباخ الحلبي : اعلام
النبلاء ، ج ١ ، ص ٣٤٦ .

(٤٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١١٦ .

(٤٥) أبو الفدا : المختصر ، ج ٤ ، ص ١٩٦ ، العيني : عقد الجمان ،
ج ١٥ م ٢ ، ص ٣٨٠ .

(٤٦) C. Cahen : La Chronique Abrégée d'al Azimi, p. 366.

(٤٧) الحصني : منتخبات التواريخ ، ج ١ ، ص ١٢٦ ، قساطلي : الروضة
الغناء ، ص ٤٤ .

(٤٨) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٢٨ ، سبط بن الجوزي :
مرآة الزمان ، ج ١٢ ، م ٢ ، ص ٢٠١ (١) .

(٤٩) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٢٨ ، ابن القلانيس :
نيل تاريخ دمشق ، ص ١٢٠ (١) في حين ينكر عمر البرغوثي : تاريخ فلسطين ،
ص ١٧٢ أنهم لم يفتحوا سوى عكا أما صور فلم تفتح الا سنة ٤٨٦ هـ . أما
أحمد الزين : تاريخ صيدا ، ص ٥٤ - ٥٥ فقد ذكر أن فتح تلك الثغور تم
في سنة ٤٨١ هـ والراجع أنها سنة ٤٨٢ هـ .

(٥٠) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٥٠ .

(٥١) ابن أبيك : كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ٤٣٥ .

C. Cahen : Op. Cit., p. 367-368.

(٥٢) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ١٢ ، م ٢ ، ص ١٢٠١ .

(٥٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٦٠ ، أبو الفدا : المختصر ، ج ٢ ،
ص ٢٠٢ .

(٥٤) ينكر أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٣٠ أنها بعليكة

وليست حمص وان ذلك كان سنة ٤٨٣ هـ ويتفق معه سبط بن الجوزي : مراة الزمان ، ج ١٢ م ٢ ، ص ٢٠٢ (١) .

(٥٥) ابن الاثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٦٠ .

C. Cahen : Op. Cit., p. 369. (٥٦)

(٥٧) نكر ابن ميسر : أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٢٩ انهم فعلوا ذلك خوفا من أمير الجيوش .

• أمير الجيوش

(٥٨) ابن القلائس : ص ١٢٤ - ١٢٥ . ابن ميسر : أخبار مصر ، ج ٢ ،

ص ٢٩ ، كرد على : خطط الشام ، ج ١ ، ص ٢٦٩ .

(٥٩) ابن الوردي : تنمة المختصر ، ج ٢ ، ص ٩ ، ابن الشحنة : روض

المنظر ، ص ١١٧ .

(٦٠) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٥٨ سبط بن الجوزي :

مراة الزمان ، ج ١٢ م ٣ ، ص ٢٢٧ .

(٦١) كرد على : خطط الشام ، ج ١ ، ص ٢٧٣ .

(٦٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٢٧ .

C. Cahen : Op. Cit., p. 372.

(٦٣) ابن القلائس : نيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٣ .

(٦٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٢٨ . في حين ينفرد كل من

أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٥٨ ، سبط بن الجوزي : مراة

الزمان ، ج ١٢ م ٣ ، ص ٢٢٧ .

بالقول بان الخطاب ورد سنة ٤٨٩ هـ ونحن نرجح رأى ابن العديم لاتفاق

المؤرخين عليه .

(٦٥) ابن ميسر : أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٣٨ ابن القلائس : ص ١٣٣ .

ويذكر ابن الاثير : الكامل ج ٨ ، ص ١٨٤ ان سبب خطبة رضوان للمستعلي :

انه كان عند الأمير جناح الدولة وهو زوج أمه فرأى من رضوان تغيرا فصار

الى حمص وهي له فلما رأى ناغيسيان بعده عن رضوان صالحه وقدم اليه بحلب

ونزل ظاهرها وكان لرضوان منجم يقال له الحكيم أسعد وكان يعيل اليه فقدمه

بعمل مسير جناح الدولة فحسن له مذاهب العلويين المصريين وأتته رسل

المصريين يدعونه الى طاعتهم ويبذلون له المال وانفذ العساكر اليه ليملك دمشق
فخطب لهم بشييزر وجميع الاعمال سوى انطاكية وحلب والمعة اربع جمع .
(٦٦) ابن ميسر : اخبار مصر ، ، ج ٢ ، ص ٢٨ ، ابن القلانص .

ص ١٢٢ .

(٦٧) ابن ميسر . نفس الصفحة . ابن القلانص ، ص ١٣٣ ، ١٢٤ ابن الاثير .
الكامل ، ج ٨ ، ص ١٨٢ - ١٨٣ في حين يذكر بعض المؤرخين الآخرين ان ذلك
تم سنة ٤٨٩ هـ ومنهم أبو المحاسن . النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٥٨ ، ابن
الوردى . تنمة المختصر ، ج ٢ ، ص ٩ .

ابن الشحنة . روض المناظر ، ص ١١٧ ، وسبط بن الجوزى : مرآة الزمان ،
ج ١٢ م ٣ ، ص ٢٢٧ .

(٦٨) عمر البرغوتى و خليل طوطح : تاريخ فلسطين ، ص ١٧٢ .
(٦٩) كانت آسيا الصغرى عند الفتح السلجوقى لها تسمى بلاد الروم
(عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ، ص ٥٧) .
(٧٠) خدابخش : ترجمة على حسنى الخربوطلى : الحضارة الاسلامية ،
ص ٧٦ .

(٧١) العرينى : الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٥ .
(٧٢) ارشيبالد - ر - لويس . ترجمة احمد عبس : القوى البحرية والتجارية
على حوض البحر المتوسط ، ص ٣٦٩ .

(٧٣) حسين أمين : تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ، ص ٢٥١ وهى
تقع شمالى بحيرة فان وكانت من البقايا الأخيرة التى تبقت للدولة البيزنطية
فى ارمينيا (سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٨٧) .

(٧٤) عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ، ص ٥٦ - ٥٧ .
(٧٥) حسين أمين : تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ، ص ٢٥١ .
(٧٦) خوادابخش : ترجمة على حسن الخربوطلى :
الحضارة الاسلامية ، ص ٧٣ : ٧٤ .

(٧٧) يذكر حسين أمين : تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ، ص ٧٤ ان
الامبراطور كان معه حوالى ٢٠٠ ألف مقاتل وكان السلاجقة ١٥ ألفا فى حين
يذكر أبو الهيجاء فى تاريخه حوادث سنة ٤٦٣ هـ ان الروم كانوا ٢٠٠ ألف فى

حين كان السلاجقة ١٠ آلاف فقط وسواء كان هذا الرقم أم ذاك فهناك فرق كبير في العدد) لذلك نرى أن السلطان لم يلبث أن أيقن أنه من الصعب على جيشه أن يقاتل جيشا ضخما كجيش الروم ، وأدرك أن الصلح قد يكون خيرا له ، وفضل أن يرجىء غزو بلاد الروم الى فرصة أخرى بعد أن يستكمل استعداداته ، فأرسل رسولا الى رومانوس يدعوه الى الصلح غير ان هذا الامبراطور اشاح بوجهه في غطرسة وكبرياء ، ولم يستمع الى رسول السلاجقة فقد اغتر بجيشه الضخم ، فرد الرسول قائلا ان الصلح لن يتم الا في الري عاصمة السلاجقة . فأتضح لألب أرسلان هدف الروم الحقيقي فأعلن بين جنوده ان الاسلام في خطر ، وأنه لا سبيل الى انقاذه الا بالقضاء على هذه العصابة الفاجرة التي تريد الكيد له ، ودعاهم الى الاستماتة في القتال ، وبذلك طبع ألب أرسلان الحرب بطابع ديني ، وجعلها جهادا في سبيل الله (عبد النعير . حسنين . سلاجقة ايران والعراق ، ص ٥٦ - ٥٧) .

(٧٨) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٨٦ العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٥ ، الحسيني : اخبار الدولة السلجوقية ، ص ٥٠ - ٥٢ وهو يذكر « عندما تقابل عسكر السلطان ألب أرسلان وعساكر الروم سير الملك رسولا الى السلطان وقال له انني قد اتيتك ومعى من العساكر ما لا قبل لك به فان أنت دخلت في طاعتي فأنا أدفع لك من البلاد ما يكفيك وتأمين سطوتى وبأسى وان أنت لم تفعل ذلك فان معى من العساكر ثلاثمائة ألف فارس وراجل ومعى أربعة عشر ألف عجلة عليها خزائن الاموال والسلاح وليس يقف بين يدي أحد من عساكر المسلمين ولا يخلق بوجهي مدينة من مدائنهم ولا قلعة من قلاعهم » فلما سمع السلطان هذه الرسالة أخذته عزة الاسلام وتحركت في صدره نخوة الملك فقال للرسول : قل لصاحبك انك أنت ما قصدتنى ولكن الله سبحانه حملك الى وجعلك وعساكرك طعمة للمسلمين فأنت اسيرى وعبدى وعساكرك بعضهم قتلاى وبعضهم أسراى وخزائنك كلها ملكى ومالى فاثبت للمقارعة .

فلما تقابل الجيشان هبت اعصار أعمت عيون المسلمين وكاد عسكر السلطان ينهزم فنزل السلطان من الفرس وسجد لله وقال اللهم توكلت عليك وتقربت بهذا الجهاد اليك وعفرت وجهى بين يديك ، فان كنت تعلم من ضميرى خلاف ما أقوله بلسانى فأهلكنى ومن معى ، وكان يردد هذا التضرع ويبكى حتى انعكست مهاب الرياح وأعمت عيون الكفار فانهزموا وأسر الامبراطور .

(٧٩) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ٥٢ - ٥٣ فإنه لما أحضر الملك أئلم سدة السلطان قال ملك الروم للترجمان قل للسلطان يردني إلى دار ملكي قبل أن تجتمع الروم إلى ملك آخر يجاهرنا بالمكافحة والمহারبة ويدرس كتاب العدوان ويبرز صفحة العصيان وأنا أطوع لك من عبيدك ولك على كل سنة أن أؤدى على سبيل الجزية ألف ألف دينار ، فأجابه السلطان إلى سؤاله بعد ما عرضه النخاسون على معرض البيع في الأسواق ثم أعتقه السلطان وخلع عليه وعلى من بقى معه من الأسارى وعاد الملك إلى دار ملكه ووفى بما عاهد .

(٨٠) عبد النعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق ، ص ٥٨ .

(٨١) حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، ص ٢٥١

(٨٢) نفس المصدر ، ص ٢٥٢ .

(٨٣) سعيد عاشرو : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٨٨ .

(٨٤) العريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ص ٨

(٨٥) Setton and Baldwin : A Hist. Of Crusades, V. 1, p. 150.

العريني . الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٨ ، حتى تاريخ سورية ج ٢ ، ص ٢٠٥ ، في حين يتفق عبد النعيم حسنين ، سلاجقة إيران والعراق ، ص ٦٦ مع خدابختي الحضارة الإسلامية ص ٧٥ في أن السلطان ملكشاه هو الذي عين سليمان بن قطلمش على آسيا الصغرى فأصبح بذلك المؤسس الحقيقي لدولة سلاجقة الروم .

(٨٦) سبط بن الجوزي . مرآة الزمان ، ج ١٢ ، م ٢ ، مخطوط ،

ص ١٨٩ ب .

(٨٧) أبو المحاسن النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١١٥ يذكر أنه فتح أنطربطوس ، سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ١٢ م ٢ ، مخطوط ، ص ١٧٧ ب يذكر أنه فتح طرسوس والراجح أنه فتح البلدين . ويؤكد ذلك كلام كل من أبو الهيجاء في تاريخه : ميكروفيلم رقم ٩٤٥ : تاريخ في حوادث سنة ٤٧٥ هـ أبو الفضائل الحموي في التاريخ المنصوري ، ص ١٥٧ .

(٨٨) ابن القلائس : ذيل تاريخ دمشق : ص ١١٥ كان جواب مسلم

عندما عاتبه نظام الملك وزير السلطان السلجوقي : " ان كآنت الكتب منى الى

صاحب مصر توجه العتب على وان كانت منه الى فاحفظوا صاحباً لكم يرغب فيه صاحب مصر لا تخرجوه عن أيديكم وارغبوا فيه كما رغب فيه غيركم ، .

(٨٩) اليافعي : مرآة الجنان ، ج ٣ ، ص ١٢٠ ، ابن الشحنة . روض

المناظر ، مخطوط ، ص ١١٥ ظ كانت بيد النصاري منذ سنة ٢٥٨ هـ .

(٩٠) ابن الاثير : الكامل : ج ٨ ، ص ١٣٦ . .

(٩١) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٨٦ .

(٩٢) نفس المصدر ، ص ٨٦ - ٨٧ ، ابن الاثير . الكامل . ج ٨ ، ص ١٣٦ .

(٩٣) ١ - س - ترقون : ترجمة حسن حبشي أهل الزمة في الاسلام ،

ص ١٦٥ - ١٦٦ .

(٩٤) الذهبي : دول الاسلام ، مخطوط ، ص ١٧٤ ، ابن الاثير . الكامل ،

ج ٨ ، ص ١٣٦ .

(٩٥) ابن الاثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٢٧ ، أبو الفدا . المختصر في

اخبار الوتر ، ج ٢ ، ص ١٩٥ .

(٩٦) ابن الاثير : نفس الصفحة .

(٩٧) نفس المصدر والصفحة ، أبو الفدا . المختصر ، ج ٢ ، ص

١٩٥ - ١٩٦ .

(٩٨) نفس المصدر والصفحة ، ابن الوردي : تنمة المختصر ، ج ١ ،

ص ٢٨٣ .

(٩٩) بين الاثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٣٧ .

(١٠٠) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٢٠ .

(١٠١) عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ، ص ٦٧ .

(١٠٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٥٩ .

(١٠٣) Hitti : Syria, A Short Hist., p. 170.

(١٠٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٥٨ ، سبط بن الجوزي :

مرآة الزمان ، ج ١٢ م ٢ ، مخطوط ، ص ٢٢٧ ، ابن الشحنة : روض المناظر ،

مخطوط ، ص ١١٧ .

(١٠٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ١١٧ .

(١٠٦) ابن الاثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١١١ .

- (١٠٧) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١١١ .
- (١٠٨) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١١١ .
- (١٠٩) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١١٦ .
- (١١٠) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ١٢ ، م ٢ ، مخطوط ، ص ١٨٣ .

(١١١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٢٢ . قيل : ان تتش قال لاق سنقر عندما توقف عن قتال بن عمار : « أنت تبع لى ، فكيف تخالفنى ، فقال : « أنا تبع لك الا فى عصيان السلطان » . فعضب تاج الدولة وعاد الى دمشق ومضى اق سنقر الى حلب ، وبوزان الى الرها .

- (١١٢) العرينى : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ١٦ .
- (١١٣) أبو الفدا : المختصر ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ .
- (١١٤) أبو الفدا : المختصر ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ ، ابن الوردي : تنمية المختصر ، ج ٢ ، ص ٥ .
- (١١٥)

Setton and Baldwin : A Hist. Of Crusades, V. I, p. 166.

- (١١٦) أبو الفدا : المختصر ، ج ٣ ، ص ٣١ .
- (١١٧) ابن أيبك : كنز الدرر ، ج ٦ ، الدرر الماضية ، ص ٤٢١ .
- (١١٨) تاريخ أبو الهيجاء ، ميكروفيلم ، رقم ٩٤٥ تاريخ ، حوادث سنة ٤٧٤ هـ ، ابن القلائس : نيل تاريخ دمشق ، ص ١١٣ فى حين ينفرد أبو الفضائل الحموى فى التاريخ المنصورى ، ص ١٥٦ بالقول بأن ذلك حدث سنة ٤٧١ هـ والأرجح الرأى الاول لأبو الفدا نقله عن أسامة بن منقذ نفسه .
- (١١٩) ينكر أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١١٣ أنه انتزعه من الفرنج وهو يقصد هنا النصارى . ويؤيد ذلك رأى الذهبى : دول الاسلام ، مخطوط ، ص ٧٤ (١) .

- (١٢٠) أبو الفدا : المختصر ، ج ٣ ، ص ٣١ .
- (١٢١) ابن القلائس ، نيل تاريخ دمشق ، ص ١١٣ .
- (١٢٢) أسامة بن منقذ : الاعتبار : حرره فيليب حتى . ص ح من المقدمة .

- (١٢٣) ابن أبيك : كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ٤٢٢ .
- (١٢٤) بيشوف الجرمانى : تحف الانبياء فى تاريخ حلب الشهباء ، ص ٤٦ .
- (١٢٥) ابن الوردى : تتمة المختصر ، ج ٢ ، ص ٢ ، حسين أمين .
- تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ، ص ١٨) .
- (١٢٦) ابن الاثير : الكامل ، ص ١٢٧ .
- (١٢٧) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١١٥ .
- (١٢٨) أبو الفضائل الحموى : التاريخ المنصورى ، ص ١٥٧ .
- (١٢٩) اليافعى : مرآة الجنان ، ج ٢ ، ص ١٢١ وكان السلطان ملكشاه من أعظم الناس هبة وأكثر الملوك عدلا ففى سنة ٤٧٩ هـ دفع المكوس فى جميع بلاده (ابن العديم ، زبدة الحلب ج ٢ ، ص ٢ .
- (١٣٠) ابن القلانص : نيل تاريخ دمشق ، ص ١١٩ ، تاريخ ابو الهيجاء ميكروفيلم رقم ٩٤٥ تاريخ حوادث سنة ٤٨٠ هـ فى حين يذكر أبو الفضائل الحموى : التاريخ المنصورى ، ص ١٥٧ أنه تولاهما سنة ٤٧٨ هـ والارجح الرأيان الاولان لانه يتولى من قبل السلطان ملكشاه الذى لم يحضر لحلب الا سنة ٤٧٩ هـ .
- (١٣١) ابن القلانص : نيل تاريخ دمشق ، ص ١١٩ ، اشترط على الناس أنه اذا اعتدى على أحد بالسلب والنهب أن يفرم أهل القرية جميعا ما أخذ من مال وغيره فكانت السيرة اذا بلغوا قرية من بلاده القوا رجالهم وناموا وقام أهل القرية يحرسونهم فقامت الطرق وتحدث الركبان بحسن سيرته (الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء ، ج ١ ، ص ٢٦٧) .
- (١٣٢) ابن العديم . زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٠٤ - ١٠٥ استأصل أق سنقر أرباب الفساد الى حد بلغ به أن نادى فى قرى حلب وضياعها ألا يفلق أحد بابه وأن يتركوا الاتهم التى للحرث فى البقاع فى الليل والنهار فخرج متصيدا فمر على فلاح وقد فرغ من عمله ، وأخذ آلة الحرث معه الى منزله ، فانفرد من عسكره وقال له : « ألم تسمع مناداة قسيم الدولة بالآ يرفع أحد من أهل القرى شيئا من آلة الخرث ؟ » فقال : « بلى والله » حفظ الله قسيم الدولة . والله لقد أمانا فى أيامه من كل ذلوع ومفسد ، وما رفعت هذا خوفا عليها ممن يأخذها ، وإنما ههنا دويبة يقال لها ابن أوى اذا تركنا

هذه العدة ههنا جاءت واكملت هذه الجلود التي عليها . « قلما عاد قسيم
الدولة أمر الصيادين وبشهم في اقطار حلب لصيد بنات أوى .

(١٢٣) ابن القلائس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٢٦ .

(١٢٤) نفس المصدر والصفحة الذهبى : دول الاسلام ، مخطوط ، ص ٧٦ ب .

(١٢٥) نفس المصدر والصفحة ، اليافعى : مرآة الجنان ، ج ٢ ، ص ١٤٢ .

(١٢٦) خوادبخش : الحضارة الاسلامية ، ترجمة على حسنى الخربوطلى ،

ص ٧٧ .

(١٢٧) حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقى ، ص ٧٩ .

(١٢٨) حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقى ، ص ١١٦ .

(١٢٩) من مظاهر الحكم السلجوقى في العالم الاسلامى ظهور نظام

الاتابكية وهو في الحقيقة نتيجة للسياسة التي اتبعها السلاجقة في النظام

الاقطاعى ، وقد انتشرت الاقطاعيات في العالم السلجوقى خاصة بعد وفاة

السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ سنة ١٠١٢ م . والاتابكية هي امانة يقطعها

السلطان السلجوقى لأحد خواصه المقربين . ومن الاتابكية المهمة ، « اتابكية

دمشق » . ومؤسسها « طغتكين مملوك السلطان قتش بن ألب أرسلان (حسين

أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقى ، ص ٢٠٩ - ٢١١) والاتابك هو

مولى أولاد الملك أو قائد الجيوش ، ويعتبر مسئولاً عن تربية الأمير حربياً

وتلقينه أصول ادارة الاقاليم . وبفضل ما كان للاتابك من سلطة أبوية على

الأمير السلجوقى غدا له من السلطان والنفوذ ما جعله أكثر من مجرد قائد

يضاف الى ذلك ما درج عليه الاتابكة من أن يتزوج الواحد منهم والدة الأمير

السلجوقى ويتزوج الأمير من ابنة الاتابك (محمد كرد على : خصه الشام ،

ج ١ ، ص ٢٧١ ، العرينى : الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ،

ص ٢٠) .

(١٤٠) حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقى ، ص ١١٨ .

(١٤١) الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ٧٥ - ٧٦ .

(١٤٢) عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ، ص ٨٧ - ٨٨ .

(١٤٣) ابن الشحنة : روض المناظر ، مخطوط ، ص ١١٧ ، ونصوص من

ابن عساكر : تحقيق صلاح المنجد ، ولاية دمشق في العهد السلجوقى .

الحروب - ٢٤١

Setton & Baldwin : A Hist. Of Crusades, V. I, p. 176.

(١٤٤) عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ، ص ١٠٢ ، حسن حبشى . الحرب الصليبية الاولى ، ص ٢٨ .

(١٤٥) ابن الاثير الكامل ، ج ٨ ، ص ١٧٦ .

(١٤٦) نفس المصدر والصفحة في حين يذكر أبو الهيجاء في تاريخه . ميكروفيلم ، رقم ٩٤٥ تاريخ حوادث سنة ٤٨٧ هـ أن اسمه سوركين .

(١٤٧) ابن الاثير . الكامل ، ج ٨ ، ص ١٧٦ وهنا يذكر الصفدي : أمراء دمشق في الاسلام ، ص ٣٢ . انه كان بدمشق ولكن الأرجح رأى ابن الاثير . وهيت سميت كذلك لأنها في هوة من الأرض . وهي بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار (ياقوت . ج ٢٠ : ص ٤٢٠) .

(١٤٨) ابن الاثير . الكامل ، ج ٨ ، ص ١٧٦ في حين يذكر أبو الفضائل المنصوري في تاريخه ، ص ١٥٨ أن رضوان ملك حلب سنة ٤٨٧ هـ وهذا غير صحيح لأن أباه توفي سنة ٤٨٨ هـ .

(١٤٩) الصفدي . أمراء دمشق في الاسلام ، ص ٢٢ .

(١٥٠) ابن الاثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٧٦ .

(١٥١) هنا يعلق الصفدي : أمراء دمشق في الاسلام ، ص ١٤٥ في أرجوزته على ذلك بقوله :

وآلا أمرها الى دقاق بباطن في الأمر وانفساق

(١٥٢) ابن الاثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٧٦ ، نصوص من ابن عساكر : ولاية دمشق في العهد السلجوقي ، ص ١٩ .

(١٥٣) ابن أيك : كنز الدرر ، ج ٦ ، الدرة المضية ، ص ٤٤٨ .

(١٥٤) العريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٤١ .

(١٥٥) نصوص من ابن عساكر : ولاية دمشق في العهد السلجوقي ، ص ١٩ ،

سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ١٨٩ .

(١٥٦) العريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٤٢ .

(١٥٧) تاريخ أبو الهيجاء : ميكروفيلم ، رقم ٩٤٥ تاريخ حوادث سنة ٤٨٩ هـ .

- (١٥٨) العرينى : المصدر السابق ، ص ٤٢ .
- (١٥٩) الياغى . مرآة الجنان ، ج ٢ ، ص ١٥٢ ، الذهبى . دول الاسلام ، مخطوط ، ص ٧٧ ب .
- (١٦٠) ابن الاثير : الكامل . ج ٨ ، ص ١٨٤ وهو يذكر أيضا أن هذا ربما حدث سنة ٤٨٩ هـ فى حين يذكر جمال سرور : مصر فى عصر الدولة الفاطمية ، ص ١٢٨ أن ذلك حدث سنة ٤٨٩ هـ .
- (١٦١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ١٨٩ .
- (١٦٢) خودابخش . الحضارة الاسلامية ، ترجمة على حسنى الخربوطلى ، ص ٧٨ - ٧٩ .
- (١٦٣) ابن الاثير . الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٠٠ .
- (١٦٤) بندلى جوزى : تاريخ الحركات الفكرية فى الاسلام ، ج ١ ، ص ١٠٠ . ويذكر المجدوع فى فهرسه الكتب والرسائل ، ص ٣ ، ٤ أن الاسماعيلية اليوم على ثلاثة أقسام :
- ١ - من يتمسك بالظاهر من الدين وأن كانت مليئة بالتأويل والباطن ، وهم المستعلية البهرة .
 - ٢ - من يعمل بالظاهر تارة ويهمله تارة أخرى ، وهم النزارية الاغاخانية .
 - ٣ - من لا يعترف بالظاهر أبدا ، ويقولون بنسخ الشريعة ولا يعترفون الا بالتوحيد ويسمون بالموحدين الدروز .
- (١٦٥) ابن الشحنة : الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب ، ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .
- (١٦٦) ابن ميسر : أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٦٨ .
- (١٦٧) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٥٩ .
- (١٦٨) ابن كثير : ص ١٤٩ - ١٦٠ قال أن السلطان بعث اليه بفتاوى العلماء فلما قرأ الكتاب بحضرة الرسول قال لمن حوله من الشباب أنى أريد أن أرسل رسولا منكم الى مولاه فاشرايت وجوه الحاضرين ثم قال لشباب منهم : اقتل نفسك ، فاخرج سكيئا فضرب بها غلصمته فسقط ميتا وقال لآخر منهم : الق بنفسك من هذا الموضع ، فرمى نفسه من رأس القلعة الى أسفل خندقها فنقطع ثم قال لرسول السلطان : هذا الجواب .

- (١٦٩) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٠٠ .
- (١٧٠) حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، ص ٩٨ .
- (١٧١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٠٠ . أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٦٦ قال انهم كانوا أكثر من ثلاثمائة .
- (١٧٢) ابن الشحنة : الدرر المنتخب ، ص ٢٦٥ .
- (١٧٣) ابن القلائس : نيل تاريخ دمشق ، ص ١٤٢ ، أبو المحاسن . النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٦٩ .
- (١٧٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٤٥ .
- (١٧٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٤٦ ، الطباخ الحلبي : اعلام النبلاء ، ج ١ ، ص ٣٩٠ . في حين ينكر أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٦٨ ، الذهبي دول الاسلام مخطوط ، ص ٧٩ ب أن جنال لدولة قتل سنة ٤٩٥ هـ والأرجح الرأيان الأولان باعتبارهما متخصصين أكثر في تاريخ حلب وتوابعها .
- (١٧٦) ابن القلائس : نيل تاريخ دمشق ، ص ١٤٢ .
- (١٧٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٤٦ ، ابن القلائس : ص ١٤٩ .
- (١٧٨) بلدة مشهورة من أعمال حلب ، قيل سميت بسرمين بن اليفز بن سام ابن نوح وأهلها اليوم اسماعيلية (ياقوت : ج ١٠ ، ص ٢١٥) .
- (١٧٩) ابن القلائس : نيل تاريخ دمشق ، ص ١٤٩ - ١٥٠ . ابن ميسر : أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٤١ .
- أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٩٢ ، في حين ينفرد ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٥١ - ١٥٢ بالقول بأن ذلك حدث سنة ٤٩٨ هـ .
- (١٨٠) ابن القلائس . ص ١٥٠ ، الذهبي : دول الاسلام ، مخطوط ، ص ١٨٠ .

السباب الثالث

قدوم الحملات الصليبية الى بلاد الشام

تدهورت أحوال الشام السياسية بصورة أطمعت الأوروبيين ممثلين في الصليبيين ، ولم تكن الحروب الصليبية في معناها الواسع الا حلقة في سلسلة الصراع الدائم بين الشرق والغرب ، واصطبغت - مظهريا - بصبغة دينية . وان قال البعض انها استجابة لنداء البابوية في روما ، لتأسيس مملكة صليبية ثم تعزيزها وتوسيعها ، حتى تصبح نقطة ارتكاز للصليبيين يتوسعون منها على حساب البلدان المجاورة (١) . أى أنها في النهاية حركة استعمارية (٢) ، بكل ما يحمله هذا الاصطلاح من معنى .

وكان لهذه الحروب مقدمات سبقتها بحوالى مائة عام تقريبا ، أى منذ أوائل النصف الثانى من القرن العاشر الميلادى على يد الامبراطور (نقفور فوكاس) (٩٦٣ - ٩٦٩ م) ثم على يد خلفه (حنا تزيمسكس) من بعده (٩٦٩ - ٩٧٦ م) وهما من أباطرة الأسرة المقدونية (٣) . على أن هذه المقدمات قد تجيز عند البعض تسمية حروب هذين الامبراطورين بالصليبية (٤) .

ويرى جماعة من المؤرخين أن محاولة الاستنجد من جانب البيزنطيين بالغرب المسيحى فى القرن الخامس الهجرى وجدت

استجابة طيبة لديه لأنه كان يتوق في تلك الفترة الى وسيلة يحقق بها كثيرا من أطماعه وآماله العريضة . وعلى ذلك ، فتوقيت الاستغاثة جاء في الوقت المناسب فبلاد الشام كانت مشتتة الأهواء ، منهارة بسبب المنازعات الداخلية ، فلما جاءت الدعوة بانتزاعها من أيدي المسلمين ظهرت غرائز حب السيطرة والتملك المستترة وراء الدين ، ولذا أسرعوا الى تلبية ذلك النداء . وعلى ذلك فالمدخل الطبيعي لموضوع الحروب الصليبية لا يأتي من ناحية الغرب فقط كما ذكر بعض المؤرخين (٥) ، وإنما ينبغي لدراسة الموضوع دراسة متكاملة أن تدرس الظروف الشرقية الى جانب الظروف الغربية .

دوافع الحروب الصليبية :

أولا : الدافع الاجتماعي

انتشر النظام الاقطاعي في أوروبا زمن الحروب الصليبية بشكل واضح ، ذلك النظام الذي ترجع أصوله الأولى الى عصر الميروفنجيين في القرن السادس الميلادي ، ثم بدأت تتضح معالمه أكثر بمرور الزمن ، ولن نتناول بالتفصيل نشأة هذا النظام وماهيته وخصائصه ولكننا سنلقي عليه ضوءا يسمح لنا باستخلاص العلاقة بينه وبين الحروب الصليبية التي نتكلم عنها .

كان للسلادة الاقطاعيين حقوق على أفعالهم لقاء حمايتهم اياهم ، أصبحت بمثابة التزامات يجب عليهم تأديتها في حدود ما قضى به العرف الاقطاعي ، فظهر منها ما هو حربي وما هو اجتماعي وما هو مالي الى غير ذلك من أنواع التكاليف ، ومن الطبيعي أن يكون التعاون في ميدان الحرب هو المحور الأساسي للعلاقات الاقطاعية بين السيد وأفعاله ، لأن المهمة الأولى للسيد الاقطاعي كانت حماية أفعاله

واراضيهم ، فى حين كان الواجب الأول على هؤلاء الأوصال هو الخدمة فى جيش سيدهم (٦) .

بالإضافة الى هذه الواجبات الحربية وجدت واجبات أخرى اجتماعية (٧) الى جانب عبء ثقيل من الالتزامات المادية ، تتمثل فى ضريبة الحلوان التى كانت تدفع كلما تولى على الاقطاع وريث جديد . ثم ضريبة المعونة وهى أموال يقدمها الفصل لسيده فى مناسبات خاصة ، كقدية السيد الاقطاعى وزواج كبرى بناته وتدشين أكبر أبنائه فارسا . واذا أزمع السيد الاقطاعى القيام بمشروع باهظ النفقات مثل الشروع فى حملة صليبية أو بناء حصن جديد فإنه لابد من أن يعتمد فى هذه الأحوال على معونة أوصاله (٨) .

انتشرت الحروب الطاحنة بين كبار الاقطاعيين فى أوروبا وخاصة فى فرنسا ، وكان للكنيسة دور كبير ابان القرنين الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين فى تطور النظام الاقطاعى وخاصة من ناحية الحد من هذه الحروب المدمرة (٩) .

كانت الحروب الصليبية ثورة فى نظم السلام ومحاولة لارساء سلام متين الدعائم وهدنة دائمة (١٠) فقد تفرغ الفرسان للهدف المسيحى الجديد ، وبالفعل نجحت الكنيسة وعلى رأسها البابا أوربان الثانى فى الوصول الى ذلك الغرض .

من هنا بدت الحروب الصليبية كنتيجة غير متوقعة لمجهودات السلام فى القرن الحادى عشر الميلادى . ويعتبر روسيه Rousset الحروب الصليبية « حربا ضد الحرب » ويفسر لنا ذلك بقوله انها قامت لتضع نهاية للحروب الاقطاعية ، فهى حرب جديدة يعتبرها فى الحقيقة سلاما بالنسبة لأوروبا (١١) .

وبذلك آمن رجال الكنيسة بأن هدفا واحدا هو الذى يجب أن يستأثر بجهود أمراء أوربا وفرسانها ، ولم يكن هذا الهدف سوى الحرب الصليبية ضد المسلمين فى الأندلس ثم فى بلاد الشام (١٢) .

بهذا يمكننا أن نذكر أن الحروب الصليبية كانت عبارة عن ثورة سياسية واجتماعية ، ومنذ ذلك الوقت والحروب الاقطاعية ينظر اليها وكأنها حروب اجرامية ، وحروب غير مخصصة للمسيحية (١٣) .

اشترك فى الحروب الصليبية عدد كبير من الفرسان والأقنان وعبيد الأرض وعامة الشعب . أما عن الفرسان ، فقد كان من نتائج النظام الاقطاعى ، أن تكونت قوة حربية منهم ، وحرص السادة على ازدياد مواردهم ، بما أبدؤوا من الاهتمام باصلاح الاراضى وانشاء المدن ، ووجدوا فى اشتراكهم فى حرب ضد الشرق الاسلامى فرصة لاضافة أملاك جديدة الى اقطاعاتهم ، أو تملك من تعوزهم الاقطاعات أراضى ، يتخذون منها اقطاعات تكفل لهم المعيشة (١٤) .

ومن الدوافع التى دفعت الفرسان أيضا الى الاشتراك فى تلك الحروب وخاصة فى شمال فرنسا - حيث انتشر نظام الملكية للابن الأكبر - فكلما ازداد السيد الاقطاعى عزوفا عن توزيع أملاكه وما يتبعها من الوظائف بين أبنائه ، كان لزاما على أبنائه الصغار ، أن يسعوا للحصول على أرزاقهم فى كل مكان ، فاشتد الميل للمغامرة بين فرسان فرنسا . فلما تهيأت الفرصة لربط الواجب المسيحى بامتلاك الأراضى كان ذلك من العوامل التى تغريهم بالسفر والمغامرة (١٥) . ولكن هذا لا يمنع أن البعض اشترك بدافع دينى خالص ، بعد أن تشبع بتلك الروح الصليبية ، التى لم يثرها

رجال الدين وحدهم ، بل كان للنقاد والمفكرين من القسس والقادة والتجار والمغنيين دور كبير في اثارها (١٦) .

أما الأتقان والعبيد وعامة الشعب ، فكان اشتراكهم في تلك الحروب يعود عليهم بفائدتين : أولاها تحريرهم من عبودية الاقطاع وثانيهما خلاص نفوسهم من الأدران العالقة بها حسبما وعدتهم البابوية ، فالعامة كانت في الدرك الأسفل من الفقر ، وكانت تلاقى الأمرين من الضرائب والسخرة والظلم فضلا عن اصابة أوربا بعدية من المجاعات (١٧) .

ثانيا : الدافع الاقتصادي :

كذلك اشترك عدد كبير من تجار المدن الايطالية والفرنسية والاسبانية في الحروب الصليبية بغرض استغلالى بحت من أجل السيطرة على الطرق التجارية للسلع الشرقية التي أصبحت مصدر ثراء عظيم للمشتغلين بها . لذلك قامت أساطيلهم بدور فعال في الاستيلاء على المراكز الرئيسية في الشام ، فساعد الجنوية الفرنج في الاستيلاء على أنطاكية سنة ٤٩٠ هـ - ١٠٩٧ م (١٨) ، وأسهم البنادقة بعد ذلك بعامين في استيلاء اللاتين على بيت المقدس ، وكان هدف هذه الجاليات الأول والآخر هو الربح والكسب المادى ولم يكن يعنىها الباعث الدينى الا بالقدر الذى يحقق مصالحها . ويكفى أن نعرف أن شعار البنادقة الذين عرفوا به وقتذاك كان « لنكن أولا بنادقة ، ثم لنكن بعد ذلك مسيحيين » (١٩) .

ثالثا : الدافع الدينى :

اعتبر الدافع الدينى هو الدافع الأساسى لهذه الحروب لتخليص وانقاذ قبر المسيح وانقاذ الأراضى المقدسة من قبضة المسلمين (٢٠) .

وكان لمسألة الحج الى بيت المقدس أثرها الواضح فى إثارة الغرب المسيحى ودفعه للاشتراك فى تلك الحروب المقدسة (٢١) . وقام الحج الى بيت المقدس بدور كبير فى حياة مسيحيى الغرب منذ أزمان بعيدة ولم يقف بعد المسافة بين الأقطار وبين بيت المقدس حائلا دون القيام به ، بل كلما زادت الشقة بعدا أمام الحاج ، وكلما زاد الطريق مشقة زادت النفس اطمئنانا الى غفران الخطايا ومحو الآثام ، ولم يتوقف الحج عند فترة معينة من التاريخ بل استمر متواصلا طيلة العصور المختلفة ، واشتدت حركته عقب تشييد كنيسة القيامة (٢٢) . وفى أواخر القرن العاشر الميلادى اعتقد المسيحيون ان العصر الألفى قد آرف وأن المسيح سيظهر للمؤمنين وبهذا الاعتقاد شرعت الجموع الغفيرة تتدفق على الأرض المقدسة من العالم اللاتينى (٢٣) . عندئذ لم تقف رغبة الحاج عند الزيارة فحسب بل أراد بعضهم البقاء بفلسطين حتى يوافيه الأجل واستولت على الناس صوفية عميقة (٢٤) .

بـ وقد مر بنا كيف شهدت بداية القرن الخامس الهجرى فى عهد الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله اضطهادا شديدا للمسيحيين ، وهذا لكنائسهم وعلى رأسها كنيسة القيامة نفسها . ولكن بوفاة الحاكم بأمر الله عادت الأحوال طبيعية كما كانت من قبل وأعيد بناء كنيسة القيامة (٢٥) . ولم يكن ذلك التشدد ضد المسيحيين من طبيعة الاسلام التى تدعو للتسامح والمعايشة الدينية .

وكان الحج نادرا ما يحاط بالمخاطرة بالحياة ، فيما عدا تقلبات الجو فى جبال الأناضول . فقد كان الطريق مؤمنا بالعساكر ، ومزودا بالطعام والماء . وكان الحجاج يلقون حسن الاستقبال من سنطرات بيت المقدس الأرثوذكسية المحلية ، وان كان هناك بعض الصعوبات فى بعض الأوقات ، فعندما بدأ النورمان بهجامة

الامتلاكات البيزنطية في جنوب إيطاليا ، عومل الحجاج النورمان
بفتور شديد من الموظفين الامبراطوريين (٢٦) .

ولم تقتصر سنوء المعاملة للمسيحيين الغربيين على الجانب
الاسلامى فقط ، بل تعدته الى الجانب البيزنطى . فقد تعرض
الحجاج بايعاز من الامبراطور البيزنطى ، للحرمان من الدخول الى
القبر المقدس . فقد طلب الامبراطور باسسيل الثانى (٩٧٦ -
١٠٢٥ م) من موظفيه فرض ضريبة على الحجاج وخیولهم . وتابعت
الامبراطورة (ثيودورا) (١٠٥٤ - ١٠٥٦ م) سياسة أبيها ،
ولذلك طلب البابا (فكتور الثانى) من الامبراطورة ان تلغى هذا
الامر ، وتقدم اليها بشكوى من الضرائب التى تجبى عند القبر المقدس
بحجة الافادة منها فى تجديد كنيسة القيامة (٢٧) .

بدأ الحجاج يلاقون تلك المضايقات فى الوقت الذى زاد فيه
تعلقهم بالحج وساد بينهم الاعتقاد بأن اكتمال الغفران لا يتم الا بعد
تكرار الحج الى الاراضى المقدسة (٢٨) . ولكن ماذا كان موقف
الأتراك السلاجقة من الحجاج بعد استيلائهم على بعض بلاد الشام
وفلسطين ؟ .

لم يتعرض حكام بيت المقدس الأول - أئسز (٢٩) وأرتق -
للحجاج ، فقد كان الحج موردا مهما من موارد الدخل . ولكن بزوال
النفوذ الفاطمى عن فلسطين بدأت تظهر عدة امارات صغيرة فتفانى
كل أمير فى تحصيل الرسوم من الحجاج (٣٠) .
وعندما توفى أرتق سنة ٤٨٤ هـ - ١٠٩١ م خالف أولاده
سياسته الحكيمة ، اذ أبعدوا عددا من القسس من بيت المقدس ،
خوفا من أن يساعد المسيحيون الفاطميين فى استرجاع نفوذهم على
بيت المقدس . وحدث هذا فى وقت غير مناسب شهد الحماس الدينى

المتدفق عند الحجاج كما أن دعاة الحروب الصليبية في أواخر القرن الحادى عشر الميلادى قد دأبوا على الدعاية لحركاتهم فى غرب أوربا عن طريق المناذاة بسوء أوضاع المسيحيين فى آسيا الصغرى تحت حكم السلاجقة (٣١) .

ولكن مهما بلغت تلك المضايقات فلن تصل الى حد مبالغات النصارى زوار بيت المقدس الذين أخذوا يهولون الأمر فى أوربا ويصفون المسلمين بالتعصب واضطهاد المسيحيين وانتهاك حرمة أماكنهم المقدسة (٣٢) وخير مثال على ذلك ما قام به بطرس الناسك بعد أدائه فريضة الحج فى بيت المقدس من التوجه الى روما ليستعين بالبابا (أربان الثانى) الذى أذن له بدعوة النصارى الى انتقاد الأماكن المقدسة ، فصار يجوب مدن ايطاليا وفرنسا ، ويلقى الخطب النارية ممزوجة بالبكاء والعويل فأثرت فصاحته التمثيلية الخيالية فى قلوب الجموع ، وعده الناس نبيا (٣٣) . والحقيقة أن الحرية التى مكنت بطرس الناسك من الذهاب الى بيت المقدس ، ورجوعه سالما الى وطنه بدون أذى ، كل ذلك يخفف من تلك الادعاءات التى أخذ يروجها فى مدن أوربا ، وبخاصة فى فرنسا ، لاثارة الحروب الصليبية (٣٤) .

والحقيقة أن الظروف السياسية المضطربة فى بلاد الشام فى القرن الخامس الهجرى هى المسئولة عن المتاعب التى لاقاها المسيحيون حجاج بيت المقدس . ولقد كانت هذه المضايقات منفذا لدعاة الحرب الأوربيين ليحشدوا الجيوش ويتوجهوا بها الى الشرق لتحقيق مطامعهم الأخرى المستترة وراء الدين .

استنجد الامبراطور الكسيوس كومنين (١٠٨١ - ١١١٨ م)
بالبابا أربان الثانى ضد السلاجقة :

لم يكن هذا الاستنجد فى الحقيقة الأول من نوعه بل سبقه استنجد الامبراطور (ميخائيل السابع) بالبابا (جريجورى السابع) عقب موقعة (مانزيكرت) السالفة الذكر (٣٥) . فالمعروف أن شن الحرب على الترك كان من الأغراض التى تنطوى عليها الدعوة البيزنطية ، فالأناضول يعتبر أكثر أهمية من بيت المقدس عند الدولة البيزنطية (٣٦) . ولذلك لما أصبحت عاصمة البيزنطيين مهددة من قبل السلاجقة كان لزاما على الامبراطور أن يستنجد بالغرب فى مقابل اتحاد الكنيستين الشرقية والغربية . وقد أرسل البابا جريجورى السابع الى الامبراطور ميخائيل السابع ردا مرضيا ، بدافع العاطفة المسيحية من جهة ، وبدافع سياسى من جهة أخرى . فما يحشده من جيش سوف يقضى على الانشقاق بين الكنيستين ويزيد من نفوذ البابوية فى الشرق مثلما زاد فى الغرب . غير أن الحرب التى نشبت بين جريجورى السابع والامبراطور (هنرى الرابع) منعت من المضى فى مشروعه (٣٧) .

ولما خلف الامبراطور (الكسيوس كومنين) الامبراطور ميخائيل السابع « بعث برسلة الى البابا أربان الثانى والى كبار رجال الاقطاع (سنة ٤٨٧ هـ - ١٠٩٤ م) يدعوهم لارسال المساعدات لنجدة اخوانهم فى الشرق وحماية القسطنطينية ضد الخطر السلجوقى » (٣٨) .

ولقد كان (الكسيوس) يرغب فى أن يبعث له الغرب ببعض الجند المرتزقة . ولكن البابا أربان لم يشأ أن يجعل نفسه فى خدمة الدولة البيزنطية ، بل أراد أن تتولى البابوية تقديم المساعدة للمسيحيين فى الشرق . وهذا التغيير فى الفكرة يؤدى الى أن يحشد العالم المسيحى اللاتينى جيشا ضخما ، لا أن يبعث بجنود مرتزقة تخضع لأهواء الأمراء . وأثار هذا الاختلاف فى التفكير من المتاعب منذ البداية ما أساء العلاقات بين البيزنطيين والصليبيين .

والثابت تاريخيا أن المسئول الأول عن قيام الحركة الصليبية هو البابا أربان الثاني ، فهو الذى أُنذر بقيام تلك الحروب (٣٩) ، يؤيده فى دعواه الجهاز الكنسى فى الغرب « وينسب اليه جميع المؤرخين اللاتين المعاصرين له ، الدور الرئيسى فى تحقيق هذه الفكرة » (٤٠) . فالمعروف أن البابا أربان الثانى ، هو أول من بشر للحرب الصليبية فى مجمع كلير مونت الذى انعقد فى ٢٧ نوفمبر سنة ١٠٩٥ م (٤١) (٢٨٨ هـ) ومن أهم القرارات التى صدرت فى هذا المؤتمر والتى تتعلق بالحروب الصليبية ، القرار الذى يتعلق بهدنة الله - السابق الإشارة إليها - والذى يعتبر اقارارا من البابا لحركة السلام ، هذا السلام الذى سوف يجعل الناس يقبلون على الاشتراك فى الحملة الصليبية ، التى تنقلهم الى جهات بعيدة فترة طويلة من الزمن . أما القرار الثانى فهو الوعد بغفران الذنوب لكل من ينهض لاستخلاص كنيسة الله فى بيت المقدس (٤٢) . فقد أخبر البابا أربان الناس ، أنه حث على الحرب لتخليص الكنائس الشرقية « ومدينة المسيح المقدسة التى أصبحت مشهورة بفضل معاناة المسيح وبعثه » . كما أخبرهم ان الذهاب للصلاة فى القبر المقدس يعد من أفضل الرحلات المقدسة للمسيحيين (٤٣) . وهنا يذكر (روسيه Rousset) أن الحروب الصليبية هى نتيجة خلق انسان ونتيجة ارادة حرة ، فقد استطاع أربان الثانى أن يبتدع مشروعا جديدا يناسب الاستعدادات الداخلية لمجتمعه (٤٤) . وبذلك افتتح البابا أربان الثانى فى هذا المؤتمر ، عصر التوسع الصليبي ضد العالم العربى الاسلامى ، (٤٥) .

وهكذا تدفق المسيحيون من كل صوب للاشتراك فى الحملة الصليبية الاولى التى اصطبغت بصبغة دينية واضحة ، الا وهى الحج الى بيت المقدس وتخليصه من أيدي المسلمين .

وعلى ذلك فقد جاء توقيت بدء الحروب الصليبية مناسباً جداً ،
ففى الوقت الذى تطلع فيه الأوروبيون الى مد أطماعهم الى بلاد جديدة
يستنجد بهم البيزنطيون ضد أعدائهم الألداء السلاجقة ، الذين
أصبحوا بسبب منازعاتهم الداخلية والخارجية مشغولين الأهواء
متفرقي الكلمة ، لذلك سارع الأوروبيون بالتوجه الى بلاد الشام فى
حملة كبيرة مستترين وراء هدف دينى مقدس ، وهو تخليص الأرض
المقدسة من المسلمين ، وهذه الحملة هى التى تعرف فى التاريخ باسم
الحملة الصليبية الأولى ، لأنها كانت بداية لسلسلة من الحملات
التي وجهها الغرب ضد الشرق ، وعند سماع خطبة البابا صاح
الجميع « هذه ارادة الله » (٤٦) ووضعوا شارة الصليب ، ومن ثم
كانت الحركة التى عرفت باسم (الحركة الصليبية) (٤٧) .

الحملة الصليبية الأولى على بلاد الشام :

شهدت التسعينات من القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر
الميلادى) بداية الزحف الصليبي على بلاد الشام وتوطيد نفوذه فى
بعض المناطق ثم تكوين بعض الامارات اللاتينية المهمة فى بلاد
الشام .

ولما كانت هذه السنوات العشر هى القاعدة الأولى لسلسلة
الحروب الصليبية بعد ذلك ، فلذا رأينا أن نبحثها بشيء من
التفصيل ، فنتناول بالدراسة ، سيطرة الحملة الصليبية الأولى على
بعض بلدان الشام المهمة ، وموقف القوى المحلية فى بلاد الشام
من الزحف الصليبي ، وموقف الخلافة الاسلامية بفروعها الثلاثة
من الصليبيين ، وموقف كل من البيزنطيين والقبارصة من الحملة .

استيلاء الصليبيين على بلاد الشام :

كانت بداية خروج الصليبيين من بلاد الروم الى بلاد الشام في سنة ٤٩٠ هـ سنة ١٠٩٧ م وكانوا في أعداد ضخمة مما أقلق أهالي الشام (٤٨) وعندما سمع الأمير ياغي سيان حاكم أنطاكية يوصولهم الى بلاد الشام وعرف أن بلده أنطاكية ستكون هدفا لضرباتهم الأولى أرسل ابنه شمس الملوك الى الملك دقاق بدمشق والى جناح الدولة بحمص والى سائر البلاد الاسلامية يستنجد بهم ضد الفرنج (٤٩) فنزل الفرنج أولا على بغراس ، وأغاروا على أعمال أنطاكية واستنجد بهم نصارى أرتاح لسوء سيرة ياغي سيان فيهم (٥٠) . ثم وصل الفرنج الى البارة بقيادة ريموند وقتل جميع من وجدوهم بها من المسلمين والمسلمات غير مفرقين بين صغير وكبير ، ولما تم له امتلاكها أرجعها الى النصرانية (٥١) . كذلك استولوا على جبل السماق وأقامية وكفر طاب ثم عادوا وشددوا الحصار على أنطاكية وقتلوا كثيرا من الناس وسبوا النساء والصبيان (٥٢) ، ونتج عن شدة الحصار أن « أكل الناس الخيل والفطس والحمر والقطاط من شدة الجوع » (٥٣) واستمر حصار الفرنج لأنطاكية حوالى تسعة أشهر (٥٤) . فهلك أكثر أهلها .

وظهرت في ذلك الوقت شجاعة أميرها ياغي سيان (٥٥) . وبعد حصار طويل لأنطاكية استطاع الفرنج أن يتفقوا مع أحد الحراس (٥٦) على بعض الأبراج ، وأغدقوا عليه الأموال والاقطاعات ففتح لهم أحد الأبواب فدخلوا البلدة في جمادى الأولى سنة ٤٩١ هـ ١٠٩٨ م (٥٧) . فأسرع ياغي سيان الى الفرار بعد استيلاء الفرنج على المدينة « ولو ثبت ساعة لهلكوا » (٥٨) وسرعان ما ندم على فراره ، وسقط عن فرسه مغشيا عليه فمر به رجل حطاب أرمنى فقتله وحمل رأسه الى الفرنج (٥٩) . وبعد استيلاء الفرنج على

أنطاكية ، أعملوا فيها القتل والأسر وسبوا كثيرا من الرجال والنساء والأطفال (٦٠) في حين يذكر لنا (صاحب الجستا) ما يناقض ذلك فقد بين لنا « أن جزءا من الأهالي اعتنق المسيحية وسمح له بالبقاء فيها في حين أذن لمن لم يعتنقها بالخروج سالمين ، (٦١) . ولكننا نشك في خروج هذا الجزء من الأهالي دون أن يلحقهم أذى .

أقام الفرنج بأنطاكية ثلاثة عشر يوما في فرح وسرور لاستيلائهم على المدينة ، فأولوا الولائم وصرفوا أوقاتهم في الملذات . ثم تبادر إلى أسماعهم قدوم نجدة اسلامية بقيادة كربوغا أمير الموصل ومعه دقاق بن تتش وطغتكين اتابك وجناح الدولة صاحب حمص وأرسلان تاش صاحب سنجار وسقمان بن أرتق وغيرهم من الأمراء المسلمين وجمعوا من كان هناك من الترك والعرب وتقدموا إلى أنطاكية وحاصروها .

هنا حاول الفرنج أن يتفاهموا مع كربوغا فاستخدموا معه أولا أسلوب اللين وأرسلوا له كتابا نقله لنا (الجستا) (٦٢) يطلبون منه العودة بكل ما يملك دون التعرض له . فما كان منه إلا أن رد عليهم بكتاب شديد اللهجة يدعوهم فيه إلى التترك وسرعة مغادرة البلاد في مقابل عدم التعرض لهم ولا لشيء من ممتلكاتهم ، وهددهم أن أبوا بملاقاة الموت على يديه أو نقلهم كآسرى إلى خراسان حيث يصبحون عبيدا إلى الأبد (٦٣) .

وهنا حدثت رواية الحربة المقلسة ، حيث أخبر أحد الرهبان الفرنج ، أن الحربة التي طعن بها السيد المسيح مدفونة في كنيسة القيسان بأنطاكية وأنهم إذا وجدوها فسوف ينتصرون على المسلمين . وأمرهم بالصوم ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع دخلوا إلى

الكنيسة وحفروا في أجزاء مختلفة منها فوجدوا الحربة . وفي اليوم الخامس خرجوا الى باب أنطاكية في جماعات صغيرة فأشار المسلمون على كربوغا بمحاربتهم متفرقين ، فرفض وطلب منهم أن ينتظروا حتى يخرجوا جميعا ثم يهاجمهم . فلما اجتمع الفرنج هاجمهم المسلمون فانهزموا بسبب اهانة كربوغا لهم والاستهانة برأيهم (٦٤) .

وبعد هزيمة المسلمين في أنطاكية تقدم الفرنج الى معرة النعمان فاستولوا عليها بعد عناء كبير ، بمساعدة الأرمن والنصارى الذين تحت طاعتهم (٦٥) . ثم دخلوا البلدة وقتلوا كثيرا من الأهالى (٦٦) . يزيد عددهم على مائة ألف انسان ، وسبوا الكثير ، وأقاموا بالمعرة أربعين يوما ثم تقدموا الى عرقة فلم ينجحوا في فتحها . وراسلهم صاحب شيزر وعقد معهم صلحا ، ثم تقدموا الى حمص وحاصروها فصالحهم صاحبها جناح الدولة (٦٧) ، كما صالحهم أمير حماه وطرابلس (٦٨) . ثم استولى الفرنج على ميناء طرطوسة - بين طرابلس واللاذقية - وكان حاكمها تابعا للأمير طرابلس فهرب هو ورجاله في الليل عن طريق البحر . وباستيلاء الصليبيين على ميناء طرطوسة فتح الطريق البحرى الى أنطاكية وقبرص وأوربا (٦٩) .

وفي جمادى الأولى سنة ٤٩٢ هـ سنة ١٠٩٩ م استولى الفرنج على الرملة (٧٠) . بعد أن هربت حاميتها الصغيرة التي كانت بصيدة عن مساعدة الأسطول المصرى ، وقد حطم أهالى الرملة قبل خروجهم منها كنيسة « سان جورج » (٧١) .

وفي شعبان من نفس السنة استولى الفرنج على بيت المقدس الذى كان هدفهم الأساسى . والمعروف أن القدس - كما سبق أن ذكرنا - كانت لتاج الدولة تتش فاقطعه للأمير سقمان بن أرتيق

التركمانى ، فلما ظهر الفرنج بالأتراك فى الشمال ولمس القاطميون ضعف الأتراك ، لم يسرعوا لنجدة أشقائهم المسلمين بل فضلوا أن يبحثوا عن كسب جديد متناسين أن فى ذلك خطرا كبيرا عليهم جميعا . فزحف جيش فاطمى الى بيت المقدس بقيادة الأفضل ابن بدر الجمالى فحاصروا المدينة وكان بها الأمير سقمان وايلغازى أبنا أرتق ، واستمر حصار بيت المقدس أكثر من أربعين يوما وأخيرا استولوا على المدينة فى شعبان سنة ٤٨٩ هـ - ١٠٩٦ م وولى القاطميون نائبا عنهم هو افتخار الدولة ، فأقام بالمدينة الى أن قدمها الفرنج (٧٢) .

فى رجب سنة ٤٩٢ هـ - ١٠٩٩ م توجه الفرنج الى بيت المقدس (٧٣) ، بعد أن استولوا على معظم بلاد الشام ولم يبق من المدن المهمة غير دمشق (٧٤) . فحاصرها الفرنج حوالى أربعين يوما ، وقد استتبسل حاكمها وحاميتها فى الدفاع عنها (٧٥) ، هذا الى جانب ما قاساه الفرنج من قلة فى المؤن والمياه الى جانب حرارة الجو (٧٦) . وتنأزع الأمراء فيما بينهم ورجوع بعضهم الى أوربا (٧٧) . ولم تلبث الأخبار أن وردت الى الفرنج بوصول ست سفن مسيحية الى ميناء يافا حاملة المؤن والذخيرة والملابس وغير ذلك مما رفع من روحهم المعنوية (٧٨) . فأقاموا برجين مطلين على سور المدينة أحدهما بباب صهيون والآخر بباب العمود وهو برج الزاوية ، فأحرق المسلمون البرج الأول وقتلوا من فيه . أما الآخر فقد وصله الفرنج بالسور مما أدى الى تحكمهم فى المدينة فرموها بالمجانيق والسهام ، فانهزم المسلمون وهرب الناس الى قبة الصخرة والمسجد الأقصى واجتمعوا بها ظنا منهم أن الفرنج سيحترمون حرمة هذه الأماكن المقدسة ، لكنهم هجموا على المسلمين وقتلوا الشيوخ والعجائز وسبوا النساء ونهبوا الأماكن المقدسة (٧٩) . وهكذا تم

استيلاء الفرنج على بيت المقدس فى الثالث والعشرين من شعبان سنة ٤٩٢ هـ ١٥ مايو ١٠٩٩ م (٨٠) .

وبعد أن تم استيلاء الصليبيين على بيت المقدس قرر الأهالى مغادرة المدينة ، اذ انعقد مجلس مشورة الصليبيين ، أو ديوان المشورة العسكرى ، وقرر إبادة باقى المسلمين واليهود وخوارج النصارى (٨١) . وعندما حاول المسلمون الباقون (٨٢) الخروج بعد أن أخذوا لأنفسهم الأمان على أن يدفعوا فدية كبيرة ، فوجئوا بمعاودة الصليبيين الفتك بهم فاضطروا الى أن يلقوا بأنفسهم من أعلى الأبراج والمنازل . أما الذين لم يستطيعوا الفرار فقد أحرق البعض منهم وهم أحياء ووضع بعضهم فوق أكداس الجثث حيث شرع الصليبيون يمثلون بهم أشنع تمثيل (٨٣) .

وقد كشف المغيرون الصليبيون عن تعصبهم وحقدهم على الاسلام والعروبة فى موقفهم من بيوت الله ، عندما حولوا قبة الصخرة الى كنيسة لاتينية سموها « معبد السيد » كما استخدموا المسجد الأقصى لمصالحهم ، وأطلقوا عليه اسم « معبد سليمان » وقسموه الى ثلاثة أقسام ، فجعلوا القسم الأول كنيسة والثانى مسكنا للفرسان والقسم الأخير مستودعا ل ذخائرهم ، ثم اتخذوا بعد ذلك السرايب التى تحت المسجد اسطبلا لحيواناتهم (٨٤) .

ويعلق مكسيموس مونروند « على أعمال الصليبيين الوحشية فيقول : » ان أعمالهم هذه هدمت شريعة الحكم والوداعة فى تعاليم الانجيل المقدس ، فلقد شابهوا الأمم الغربية الأولين الذين كانوا بلا ديانة حقيقية . لقد كنا نتمنى أن نغسل بدموعنا هذا الدم الذى أغرق به الصليبيون أراضى المدينة المقدسة التى ما سفك بها المسيح دمه الا لأجل خلاص العالم » (٨٥) .

أما وليم الصوري فقد وصم الصليبيين بأنهم « من السفهاء
الفاسدين والملاحدة الفاسقين » ثم قال : « تلك هي رذائلهم
الوحشية التي لو أراد كاتب أن يصفها لخرج من طور المؤرخ ليدخل
في طور القادح الهاجي » (٨٦) .

وبعد تكوين مملكة بيت المقدس وتوزيع بلدوين الأول عليها،
وضع خطة استهدفت ضم جميع موانئ شاطئ فلسطين المواجه
لمملكته ، وذلك لتأمين طريق الحجاج من ناحية ولتنشيط التجارة
مع الغرب من ناحية أخرى ، مما يوفر للمملكة الصليبية كثيرا من
أسباب القوة (٨٧) . لذلك نجد الصليبيين يستولون في سنة
٤٩٤ هـ - (١١٠١ م) على عدة مدن مطلة على البحر المتوسط ،
استولوا على معظمها بالسيف ، مثل حيفا (٨٨) ، وقيسارية (٨٩) ،
وسروج (٩٠) ، وجبله (٩١) ، وبعضها بالأمان مثل أرسوف (٩٢)
بينما استعصى عليهم فتح عكا التي قتل أمامها (جود فروا دي
بوايون) صاحب بيت المقدس (٩٣) وكانت هذه المدن تابعة للخلافة
الفاطمية في مصر ، سواء فعليا أو اسميا ، وسوف نتناول موقف
الفاطميين من الصليبيين في الفصل القادم .

وفي سنة ٤٩٥ هـ - (١١٠٢ م) توجه صاحب أنطاكية الى
حمص فحاصرها فبذل له أهلها مالا كثيرا ، فرحل عنهم ، وتسلم
البلد السلطان دقاق السلجوقي (٩٤) .

وفي نفس السنة حاصر صنجيل الفرنجي طرابلس ، وأعانته
أهل الجبل وأهل السواد على حصارها ، وأكثرهم من النصاري ،
فقاتل أهلها أشد قتال ، فقتل من الفرنج ثلاثمائة ثم هادنهم صنجيل
على مال وخيل ، ورحل عنهم الى مدينة انطرسوس ، وهي من أعمال
طرابلس ، ففتحها وقتل من بها من المسلمين ثم توجه الى حصن
الطوبان ، وهو قرب رفنية ، فانتصر عليه أهل الحصن وأسروا فارسا

من أكابر فرسانه ، فبذل صنجيل في فدائه عشرة آلاف دينار وألف أسير ، فلم يجبه مقدم الحصن الى ذلك (٩٥) .

وفي سنة ٤٩٥ هـ (١١٠٢ م) أيضا توجه الفرنج الى بيروت وعكا فلم يستطيعوا فتحهما (٩٦) ولكنهم فتحوا جبيل بالأمان (٩٧) . ثم أعادوا تشديد الحصار على عكا فسقطت في أيديهم وقتل من بها من المسلمين (٩٨) .

وفي العام التالي سنة ٤٩٦ هـ (١١٠٣ م) فتح الفرنج حصن سرفوت بالأمان وحاولوا الاستيلاء على كفرلاتا (٩٩) ، فهزمهم بنو عليم فعادوا الى سرفوت (١٠٠) . وفي رجب سنة ٤٩٧ هـ (١١٠٤ م) وصل عدد من السفن من بلاد الفرنج الى ميناء اللاذقية ، وكانت تزخر بأعداد كبيرة من التجار والجنود والحجاج ، فاستعان بهم صنجيل الفرنجي في محاصرة طرابلس برا وبحرا ، ولكنه لم يستطع فتحها (١٠١) . وتحول بمن معه من الجند الى ثغر جبيل فقاتلوه قتالا شديدا . فلما رأى أهله عجزهم عن صد الفرنج أخذوا منهم أمانا وسلموا البلدة اليهم . ولكن الفرنج غدروا بالأهالي وصادروا ممتلكاتهم وأنزلوا بهم العقوبات (١٠٢) .

أراد بلدوين ، ملك بيت المقدس ، أن يسهل اتصال مملكته بأوربا ، لذلك عزم على الاستيلاء على مدينة عكا ، وتم الاتفاق بينه وبين بعض الجنود الجنوبيين على حصارها ، على أن يكون للجنوبيين ثلث الغنائم ، فحاصرها بجيشه برا وبجيش الجنوبيين بحرا وذلك سنة ٤٩٧ هـ (١١٤٠ م) (١٠٣) . وكان والى عكا من قبل الفاطميين اسمه (بنا) ويعرف بزهر الدولة الجيوشي نسبة الى أمير الجيوش الأفضل ، فقاتلهم أشد قتال ولكنه عجز عن الدفاع عن البلدة (١٠٤) . فما كان منه الا أن طلب الأمان لنفسه وللمسلمين

الذين بها فلم يجيبوه (١٠٥) . واستولوا على البلدة بالسيف ،
ونكلوا بأهلها (١٠٦) ، وبذلك تم استيلاء الفرنج على عكا في
شعبان (١٠٧) أو رمضان (١٠٨) سنة ٤٩٧ هـ (١١٠٤ م) . حدث
كل ذلك والحكام المسلمون اذ ذاك مشغولون بقتال بعضهم
بعضا (١٠٩) . وبعد أن استولى الصليبيون على عكا بدأوا في تعمير
مدن الساحل (١١٠) .

وفي شعبان سنة ٤٩٨ هـ (١١٠٥ م) استولى الفرنج على
حصن أرتاح وكان به نائب الملك رضوان صاحب حلب (١١١) .
وفي الحسام التالي سنة ٤٩٩ هـ - (١١٠٦ م) استولوا على
شرمين (١١٢) . كما استولوا على حصن أفامية ، بعد أن استغاث
بهم أحد أبناء ابن ملاعب واليها السابق الذي قتله الباطنية (١١٣) .
وفي هذه السنة أيضا سنة ٤٩٩ هـ (١١٠٦ م) هدم ابن عمار
حصن صنجيل ، الذي كان قد بناه بالقرب من طرابلس ليستطيع
الاستيلاء عليها . فخرج القاضي ابن عمار صاحب طرابلس الى
الحصن وهاجمه على حين غرة وقتل من فيه وانتهبه ، وغنم كثيرا
من المال والسلاح والمتاع ، ثم هدم الحصن وعاد الى طرابلس .
فلما رأى صنجيل ما حدث بالحصن حزن ومات كمدا (١١٤) .

والواقع أننا نتفق مع المؤرخ (جب Bibb) في رأيه الذي
يذكر فيه أن تعقيد الوضع السياسي في سوريا في نهاية القرن
الحادي عشر الميلادي وخلال السنوات الأولى من القرن الثاني عشر ،
هذا التعقيد الذي كان مطبوعا بطابع الفوضى ، كان العامل الأول
الهم في تاريخ الحروب الصليبية . ليس فقط لأنه جعل مهمة
الغزاة أقل مهابة مما لو كانوا قاموا بها من بضع سنوات سابقة
ولكنها ساعدت مساعدة جديده في الحصول على مساعدات الأمراء
السوريين لتأسيس الامارات الصليبية (١١٥) .

وخلاصة القول أن الفرنج استطاعوا أن يسيطروا نفوذهم في التسعينات من القرن الخامس الهجري ، (الحادى عشر الميلادى) على معظم بلاد الشام ، وذلك راجع في الحقيقة الى التطاحن بين القوى الاسلامية داخل بلاد الشام وخارجها في ذلك الحين ، كما يرجع الى مساعدة بعض العناصر للصليبيين ، ولذلك سنفرد الفصل القادم لدراسة موقف العناصر المختلفة في بلاد الشام من الصليبيين وأثر ذلك في تيسير سيطرتهم على البلاد .

موقف القوى المختلفة من الغزو الصليبي لبلاد الشام :

رأينا في الفصل السابق كيف نجح الصليبيون في وقت قصير في أن يسيطروا نفوذهم على جزء كبير من بلاد الشام . ولمعرفة عوامل سيطرتهم على البلاد في سهولة وفي وقت وجيز ، سنبحث بعض النقاط منها .

أولا : موقف البيزنطيين والقبارصة باعتبارهما أقرب القوى غير الاسلامية من بلاد الشام .

ثانيا : موقف العناصر الموجودة في بلاد الشام سواء أكانوا من المسيحيين أو اليهود أو أمراء المدن المسلمين أو السلاجقة .

ثالثا : موقف دول الخلافة الاسلامية الثلاث ، (الخلافة العباسية في العراق ، والخلافة الفاطمية في مصر والخلافة الأموية في الأندلس) من الغزو الصليبي لبلاد الشام .

أما عن موقف البيزنطيين من الغزو الصليبي فقد رأينا فيما سبق كيف أدى الضغط السلجوقي على البيزنطيين الى استنجد

الامبراطور الكسيوس كومنين بالبابا أربان الثاني ، فوجد الأخير في ذلك فرصة لتوحيد الكنيستين الشرقية والغربية تحت زعامة البابا في روما .

ولكن رغم أن قيام الحملات الصليبية الى الشرق كان أثر ذلك الاستنجد السابق الاشارة اليه ، فان البيزنطيين لم يكونوا يهدفون الى غزو اورشليم وتخليص كنيسة القيامة بقدر ما هدفوا الى استرداد الأملاك التي اقتطعها من دولتهم الأتراك السلاجقة وخصوصا أماره أنطاكية (١١٦) . بل أن قدوم الصليبيين بتلك الحملات المنظمة زاد في العداء بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني . فعندما ظهرت الحملة الصليبية الأولى أمام أسوار القسطنطينية ١٠٩٦ م انزعج الامبراطور الكسيوس الذي لم يطلب من الغرب أية مساعدة الا قوات مرتزقة (١١٧) . وكان بين قادة الحملة الصليبية الأولى بوهيموند النورمانى عدو الامبراطور القديم ، مما أدى الى تخوف الامبراطور منه ، ولكن بعد فترة تم الاتفاق بينهما (١١٨) . وكان مسلك الصليبيين يتميز بالفظاظة والجشع ، وفي الوقت نفسه كان الامبراطور أضعف من أن يتخلص منهم ، لذا حاول استعمال الشدة والدبلوماسية في آن واحد أن يستفيد منهم (١١٩) . فعندما وصل الصليبيون الى القسطنطينية وأرادوا أن يعبروا منها الى بلاد المسلمين منعهم الامبراطور قائلا : « لا أمكنكم من العبور الى بلاد الاسلام حتى تحلفوا لي أنكم تسلمون الى أنطاكية » (١٢٠) .

وفي مايو سنة ١٠٩٧ م (٤٩٠ هـ) عقدت اتفاقية بالقسطنطينية بين الكسيوس وزعماء الفرنج ، نصت على شروط خاصة تعهد بها الطرفان . فقد تعهد الصليبيون بأن يعيدوا الى حظيرة الامبراطورية الأراضي والأقاليم التي كانت تابعة لها فيما مضى ، وذلك بعد تخليصها من قبضة السلاجقة ، كما تعهدوا بأن

يقسموا للامبراطور يمين التبعية والاخلاص ، وأن يصبحوا أتباعا له وجندا مرتزقة في خدمته . أما الكسيوس فقد تعهد في مقابل ذلك بمساعدة الصليبيين والمحافظة على سلامتهم خلال مرورهم عبر أراضي دولتهم . كما وعدهم بأن ييسر لهم الحصول على الامدادات والمؤن وأن يضع تحت تصرف زعماء الفرنج ، قرقة من الجيش البيزنطي (١٢١) وبالفعل كان الامبراطور البيزنطي غاية في الكرم الظاهري فأمد الصليبيين بالامدادات الكافية، وأمدهم بآلات ومعدات الحصار الى جانب مدهم بالمهندسين البيزنطيين (١٢٢) .

وتنفيذا للمعاهدة سلم الصليبيون نيقية للامبراطور بعد فتحها (١٢٣) . وقد تمكن الامبراطور الكسيوس بعد تسلمه نيقية من إعادة غزو جزء كبير من سواحل آسيا الصغرى ، مثل أزمير وافسوس وغيرها (١٢٤) .

وبالرغم من أن الامبراطور البيزنطي أمد الصليبيين بالكثير من آلات ومعدات الحصار وهم محاصرون لأنطاكية (١٢٥) . فانه بعد استيلائهم عليها سنة ١٠٩٨ م (٤٩١ هـ) أعطيت (لبوهيموند النورمانى) بالرغم من وعودهم السابقة للامبراطور ، فأسس فيها بوهيموند احدى الامارات الصليبية الأربع (١٢٦) . وفي نفس الوقت رفضوا انتظار الامبراطور ليشترك معهم في تقدمهم الى اورشليم مما أدى الى اشتداد الخلاف بين الطرفين (١٢٧) .

وقد استمر ذلك الخلاف فيما بعد في عهد خلفاء الامبراطور الكسيوس ، أثناء القرن الثانى عشر الميلادى ، الذين حاولوا فرض السيادة البيزنطية على مختلف الامارات اللاتينية في بلاد الشام . وكان لهذه السياسة التى اتبعها البيزنطيون آثارها على تاريخ الصليبيين ومركزهم فى الشرق (١٢٨) .

أما موقف جزيرة قبرص من الغزو الصليبي ، فلم تكن هذه الجزيرة خلال الفترات التي حكمها العرب فيها مقطوعة الصلة تماما عن الدولة البيزنطية ، بل ظلت علاقاتها بالقسطنطينية متصلة . ولكن النفوذ البيزنطي كما هو الحال مع النفوذ الاسلامي ، كان متفاوتا متغيرا تبعا للظروف ، وبقيت قبرص في الغالب مناصفة بين العرب والبيزنطيين (١٢٩) .

ولقد برز دور قبرص أثناء الحروب الصليبية ، فقد كانت أولا مركزا للصراع الذي قام بين الامبراطور الكسيوس وبوهيموند الثورماني الذي استولى على أنطاكية ولم يردّها للامبراطور وفقا للمعاهدة المعقودة بين الطرفين . فقد جعلها الامبراطور قاعدة لقواته التي أعدها لمحاربة بوهيموند ، وكان حاكم قبرص من قبل الامبراطور رجلا قوي المراس اسمه فيلو كاليبس ، فقام ذلك الحاكم من قبرص على رأس قوة لدفع بوهيموند عن اللاذقية - سنة ١٠٩٩م (٤٩٢ هـ) وما زال به حتى أرجعه الى امارته بأنطاكية (١٣٠) .

كذلك كانت قبرص مركز تموين للمحاربين من الصليبيين بعد أن تعرضوا لمجاعة كبرى ، فالمعروف ان (سان سيمون -

St. Simon أو سمعان) بطريرك بيت المقدس ، لجأ الى قبرص بعد أن اضطربت مدينة بيت المقدس بعد وفاة أرتق . وعلى الرغم من أن هذا البطريرك لم يقر تقاليد كنيسة روما ، فانه قبل أن يتعاون معها من أجل مصلحة المسيحية عامة ، فلما علم بما تعرض له الجيش الصليبي من المجاعة ، بعث من قبرص بكل ما يزيد على حاجتها من المؤن والنبيد (١٣١) . كذلك كانت قبرص أحد الملاجئ لمن لم يستطيعوا الحصول على المؤن من صغار الصليبيين (١٣٢) كما تاجرت قبرص مع الصليبيين بالشام تجارة رابحة ، أثناء الحملة الصليبية

الأولى ، لذلك أصابها بعض ما أصاب السواحل الصليبية بالشام
من هجمات المسلمين لتعطيل تلك التجارة التي اعتمدت عليها أرواح
الصليبيين (١٣٣) .

وبعد أن درسنا موقف كل من البيزنطيين والقبارصة من
الغزو الصليبي ، ندرس موقف العناصر المختلفة التي كانت تعيش
في بلاد الشام .

وكان المسيحيون يشكلون عنصرا مهما من العناصر السكانية
في بلاد الشام ، وكانوا ينقسمون في بلاد الشام الى عناصر مختلفة
فمنهم المسيحيون السوريون ، والأرمن واليونان (١٣٤) .

أما المسيحيون السوريون فقد قاموا بدور ملحوظ بالنسبة
للحملة الصليبية الأولى . واذا كان المسيحيون الغربيون يشعرون
بالكرامية والحقد نحو المسيحيين الشرقيين (الارثوذكس) فان ذلك
لم يمنع الطرفين من التآلف ، وخاصة العناصر غير المتطرفة ، لتنفيذ
هدفهما المشترك وهو انتزاع بيت المقدس من المسلمين ولتوضيح
موقف مسيحي الشام من الحملة الصليبية الأولى نذكر أنه كان
لمساعدة مسيحي أرتاح أثر كبير في استيلاء الفرنج عليها سنة
٤٩٠ هـ (١٠٩٧ م) حيث قام سكان البلد المسيحيون بذبح
الحامية الموجودة في أرتاح (١٣٥) .

وقد سبق أن ذكرنا أنه عندما اقترب الصليبيون من أنطاكية،
أخرج ياغي سيان حاكمها جماعة النصاري من البلد ووعدهم بأن
يعيدهم اليها بعد أن تنتهى الحرب بينه وبين الصليبيين ، وعلى أن
يتولى هو حماية نسائهم وأطفالهم حتى يتم ذلك (١٣٦) . وقد كان
في وجود النصاري خارج أسوار أنطاكية ، فرصة مناسبة استغلها
الفرنج ، فلم يجد بوهيموند صعوبة في التماس الأصدقاء في داخل

المدينة، ذلك انه انضم الى المعسكر الصليبي عدد كبير من المسيحيين من سكان أنطاكية الذين دأبوا على الاتصال بأقاربهم في داخل للمدينة ، من خلال باب القديس جورج في الغرب ، فتيسر للصليبيين الوقوف على ما يحدث داخل أنطاكية (١٣٧) . وقد قاسى الصليبيون من المجاعة التي لحقت بهم أثناء حصار أنطاكية ، حتى انه كان يموت شخص من بين كل سبعة أشخاص . ولذلك سارع النصارى والأرمن بتقديم كل ما استطاعوا جمعه الى المعسكر الصليبي (١٣٨) . وما يبين موقف المسيحيين بأنطاكية من الصليبيين أيضا انه عند بداية الاشتباكات بين الصليبيين والأتراك بأنطاكية في ٦ مارس ١٠٩٨ م (٤٩١ هـ) « برزت نساء المدينة المسيحيات على شرفات الأسوار يرقبن سوء منقلب الترك وهن فرحات سرا (١٣٩) .

وكان للنصارى أيضا دور ملحوظ في استيلاء الفرنج على معرة النعمان سنة ٤٩١ هـ (١٤٠) ١٠٩٨ م وعندما اشتد الجوع والعطش بالصليبيين المحاصرين لبيت المقدس سنة ٤٩٢ هـ - ١٠٩٩ م قام النصارى بدور المرشدين الى مناطق الغابات والينابيع (١٤١) كما أنهم ساعدوا صنجيل الفرنجى في حصار طرابلس سنة ٤٩٥ هـ (١١٠٢ م) (١٤٢) .

ولكن ذلك لا يعنى أن علاقة الصليبيين كانت طيبة بكل المسيحيين في بلاد الشام ، فمثلا نجد أن النصارى اليعاقبة حرموا من الحج الى بيت المقدس لان الصليبيين كانوا يبغضونهم ويعتقدون أنهم كافرون (١٤٣) .

أما الأرمن فيتضح موقفهم عندما وصل الصليبيون الى منطقة أرمينية في جبال طوروس فقد مد لهم سكانها من الأرمن المسيحيين يد المساعدة وأحسنوا استقبالهم ومعاملتهم ، وزودوهم بكل ما كانوا

يحتاجون اليه من مؤن وأقوات ولولا ذلك لأخفق الفرنج في مواصلة الزحف ، ولألحق بهم السلافة هزيمة منكرة ، ولكن هذه المساعدات التي تلقوها من الأرمن هيأت لهم الجو لمواصلة العدوان المسلح والتوغل في الشرق العربي (١٤٤) .

وقد كان للأرمن - سواء داخل بلاد الشام (١٤٥) أو في بلادهم الأصلية دور بارز أيضا أثناء انتشار المجاعة بين الفرنج المحاصرين لأنطاكية فقد وصلت بعض المؤن من الرهبان الأرمن المقيمين في بعض جبال أرمينيا ، وكذلك من الأرمن الموجودين داخل بلاد الشام (١٤٦) .

والواقع أن النصوص التي نقلها إلينا الجستا تبين أن الأرمن كانوا مترددين في البداية في الوقوف الى جانب الترك أو الصليبيين أثناء حصار أنطاكية وغلب على موقفهم طابع المصلحة الذاتية ، وفي النهاية عندما تم النصر للصليبيين انضموا الى جانبهم في الفتك بكل من صادفهم من الترك (١٤٧) .

وهنا أيضا يبرز الدور الذي قام به فيروز الأرمني ، أحد الضباط الأرمن المقربين الى باغى سيان حاكم أنطاكية في تسليم المدينة للصليبيين ، والمعروف أن الاستيلاء على مدينة أنطاكية وقلعتها الحصينة كان الخطوة الأولى لاستيلاء الفرنج على بيت المقدس (١٤٨) . كان فيروز أرمينيا ثم تحول الى الاسلام ، وكان موضع ثقة باغى سيان ، فصار من كبار رجاله ، حتى عهد اليه بحفظ برج ضخيم يقع قرب باب القديس جورج وعلى الرغم من تظاهره بالولاء لسيدته كان شديد الحقد والبغضاء له ، لأن باغى سيان عاقبه لأنه يختزن القمح ، ولاستمرار علاقته مع أتباع ملته السابقة (١٤٩) . فحمله الجنق على باغى سيان أن يتصل ببوهيموند واتفق معه هو وبعض

أتباعه من الأرمن أن ييسروا له الاستيلاء على المدينة في مقابل الحصول على بعض المال والاقطاعات (١٥٠) . وهنا يذكر رنسيमान أن فيروز كان مترددا في تنفيذ الاتفاق الذي تم بينه وبين بوهيموند حتى الليلة السابقة للاستيلاء على أنطاكية مباشرة ، حين اكتشف أن زوجته تورطت مع أحد زملاء ياغى سيان الأتراك . حتى أنه يطلق على هذه الزوجة الخائنة اسم (حواء الهجوم) (١٥١) .

ثم برز حقد الأرمن على ياغى سيان واضحا عندما مر به أحدهم وهو مغشى عليه بعد أن تذكر خطاه بترك المدينة فقتله وأخذ رأسه إلى الفرنج (١٥٢) . ثم اشترك الأرمن اليونان مع الصليبيين في قتل كل الأتراك الموجودين بأنطاكية بعد استيلائهم عليها وكان من بينهم ابن فيروز نفسه (١٥٣) . كما ساهم الأرمن بدور فعال في استيلاء الفرنج على معرة النعمان سنة ٤٩١ هـ (١٠٩٨) (١٥٤) .

أما عن موقف اليونان ، فيبدو أن هذا العنصر المسيحي قد أثر عدم مساعدة أحد الطرفين المتقاتلين من الفرنج والأتراك على السواء حتى يتم لهم معرفة النتيجة فينضموا إلى الكفة الراجحة . لذلك لما سقطت أنطاكية في يد الصليبيين اشترك اليونان في قتل الأهالي الأتراك (١٥٥) .

أما اليهود في بلاد الشام فكانوا يفضلون الحكم الاسلامي على الحكم المسيحي ولذلك ساندوا الحكام المسلمين ضد الصليبيين .

بل ان موقف اليهود كان موقفا معاديا لمشروع الحروب الصليبية ، ففي ديسمبر سنة ١٠٩٥ م كتب اليهود في شمال فرنسا إلى اخوانهم في ألمانيا يحذرونهم من أن الحركة الصليبية ستعود بالضرر على اليهود ، وبالتالي فقد أخذ اليهود - عن طريق خلاياهم وجالياتهم المنبثة في مختلف أجزاء الغرب الأوربي - يعرقلون جهود

الصلبيين . وكان ان انتشرت اشاعات مؤداها أن (جود فرى دى بوايون) الذى كان يعد عدته للمشاركة فى الحرب الصليبية ، قد أقسم على أن ينتقم للمسيح بقتل جميع اليهود . وعندما انتشرت هذه الشائعة ، لجأ يهود مينز وكولونيا فى حوض الراين الى أسلوبهم الرخيص الذى لا يعرفون غيره حتى اليوم ، فجمعوا الأموال وقدموها لجود فرى بوايون على سبيل الرشوة ليعمدل عن نواياه (١٥٦) .

وكان افتخار الدولة قد سمح لهم بالبقاء داخل مدينة بيت المقدس وأخرج النصارى منها عند مجيء الصليبيين (١٥٧) ، لذلك وقع على اليهود نفس ما وقع على المسلمين من تنكيل ، بدليل أنه بعد استيلاء الصليبيين على بيت المقدس انعقد ديوان المشورة العسكرية وقرر إبادة كل مسلم ويهودى بقى فى المدينة . ولما التجأ اليهود الى معبدهم الموجود داخل المدينة لم يراع الصليبيون ذلك وأحرقوا المعبد بمن فيه (١٥٨) .

ومما يبين كراهية اليهود للصلبيين أيضا ، أن حيفا كانت تابعة للدولة الفاطمية حتى سنة ٤٩٣ هـ (١١٠٠ م) ، وكان معظم سكانها من اليهود الذين كرهوا المسيحيين كراهية شديدة ، ومن ثم أبدوا مقاومة عنيفة ، لكن الصليبيين شددوا الحصار عليها حتى سقطت فى أيديهم فى أغسطس سنة ١١٠٠ م (١٥٩) .

والواقع أنه اذا كانت الحركة الصليبية قد ايقظت فى المسيحيين روح الانتقام من أعدائهم ، فلماذا يختص المسيحيون المسلمين بذلك العداء ويتركون اليهود ؟ اليس اليهود هم الذين صلبوا المسيح عليه السلام ؟ ألم يكن اليهود هم الذين حاولوا سحق المسيحية وهى فى المهد ؟ اليسوا هم الذين اضطهدوا المسيحيين الأوائل وشردوهم وحرضوا عليهم الحكام الرومان ليعملوا فيهم قتلا وتذبيحا ؟ (١٦٠) .

وبعد أن درسنا موقف المسيحيين واليهود من سكان بلاد الشام من الغزو الصليبي نذكر موقف أمراء المدن المسلمين وأول هؤلاء الأمراء المسلمين هو ، ياغى سيان حاكم أنطاكية ، وقد مر بنا كيف استبسل في الدفاع عن المدينة حتى قامت الخيانة بدورها في سقوط المدينة في يد الصليبيين . وكان ياغى سيان قد أرسل ابنه شمس الملوك بطلب النجدة من دقاق أمير دمشق وجناح الدولة أمير حمص . كما أرسل إلى كربوغا أتابك الموصل وإلى كل من الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي ببغداد . وبالفعل أرسلت له بعض النجادات ، ولكن بعد مدة ، ممثلة في قوات دقاق بن تتش وجناح الدولة وأرسلان تاش صاحب سنجار وسليمان ابن أرتق وغيرهم (١٦١) . هذا إلى جانب القوات التي أرسلها أمير حماه (١٦٢) . ولكن أهم تلك النجادات هي التي قادها الأمير كربوغا أتابك الموصل الذي كان دائما يتمنى أن يسيطر على حلب . فاذا ما استولى على أنطاكية أصبح من السهل عليه السيطرة على حلب (١٦٣) .

وقد تسببت قوات كربوغا في بادية الأمر في تضيق الخناق على قوات الفرنج « حتى أكلوا دوابهم وورق الشجر » (١٦٤) . ولكن لولا حدوث بعض الظروف التي أدت إلى تفكيك قوات كربوغا لكتب له النصر على الفرنج . ذلك أنه طلب المساعدة من رضوان أيضا ، وهنا ساورت دقاق الشكوك ، لما يكنه من العداء لأخيه ، وفي نفس الوقت هاجم الفاطميون جنوب فلسطين ، ولذلك عاد دقاق لمحاربتهم . ولكن كراهية جناح الدولة للأراقة المشتركة مع كربوغا جعل من الصعب التعاون معه . هذا إلى جانب وقوع الصدام بين العرب والترك في معسكر كربوغا ، واستعمال كربوغا العنف ضدهم مما جعلهم يكرهونه ويتفرقون عنه (١٦٥) . فاذا ما أضيف إلى ذلك كله الاستهانة بهؤلاء الأمراء والاعراض عن آرائهم اتضحت

لنا أسباب هزيمة كربوغا ، وأتاحة الفرصة للفرنج ليسيظروا على أنطاكية (١٦٦) .

ولما كان أمراء المدن الشامية متفككي الكلمة في ذلك الوقت ، وكل منهم يحاول فقط أن يحتفظ بامارته دون النظر الى الهدف العام وهو الوقوف في وجه العدو الغاشم ، ولما كان كل واحد منهم لا يستطيع بمفرده أن يقف في وجه الصليبيين ، لذلك نجد أن معظمهم أخذ الأمان له وللسكان امارته في مقابل بعض المساعدات للصليبيين .

فمثلا نجد أمير شيزر يصلحهم على أساس تقديم بعض المرشدين والامدادات الرخيصة الثمن في مقابل عدم التعرض لأوضاعه أثناء مرورهم فيها (١٦٧) . أما أمير حماه فبالرغم من أنه أرسل قواته الى الشمال مع كربوغا أثناء حصار أنطاكية ، فإنه عندما تقدم الصليبيون نحوه تصالح معهم (١٦٨) . أما أمير حمص ، جناح الدولة بن ملاح فقد شارك في حصار أنطاكية ولكن عندما شدد الفرنج الحصار عليه صالحهم (١٦٩) . الا أنه لم يلبث أن أنجد أهالي حصن الأكراد عندما حاصروهم الصليبيون سنة ٤٩٥ هـ (١١٠٢ م) لولا أن وثب به أحد الباطنية فقتله (١٧٠) .

أما جلال الملك أبو الحسن بن عمار أمير طرابلس فنجد أنه حاول بكل ما لديه من قوة أن يدفع الفرنج عنه . وقد شددوا الحصار على طرابلس أكثر من مرة كان أولها سنة ٤٩٥ هـ (١١٠٢ م) . وقد ذكرنا أن المسيحيين المحليين قد ساعدوا الفرنج في هذا الحصار فلم تكن لديه فرصة للدفاع فاضطر في هذه المرة الى أن يصلحهم على مال يحمله اليهم (١٧١) . ثم عادوا فحاصروا المدينة مرة أخرى سنة ٤٩٧ هـ (١١٠٥ م) فصالحهم ابن عمار على

أن يكون لهم ظاهر المدينة وأن يكون له داخلها (١٧٢) . ولم يلبث أن تجدد حصارهم لها سنة ٤٩٨ هـ - (١١٠٦ م) واستمر حصارهم لها هذه المرة مدة ثلاث سنوات تقريبا ، فاضطر ابن عمار الطلب المعونة من الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي ، ولكن أثناء وجوده في بغداد اضطر الأهالي إلى تسليم طرابلس إلى الفاطميين كي يقوموا بالدفاع عنها ضد الصليبيين ، وعندما عاد إلى بلاده ، دون أي نجدة ، وجدها قد أصبحت تابعة للفاطميين (١٧٣) .

كذلك صالح حاكما بيروت وعكا الصليبيين عندما وصلوا إلى بلادهم أول مرة . فمثلا عندما مروا ببيروت أصاب الأهالي الرعب من هدم الحدائق والبساتين الغنية التي تحيط بالمدينة . فأسرعوا بتقديم الهبات للغزاة وسمحوا لهم بالمرور بأمان خلال أراضيهم على شرط ألا يمسوا أشجار الفواكه والعنب بأي ضرر . وفي عكا قام حاكمها بمثل ما قام به زميله في بيروت ، فأقام حماية للحقول المحيطة بالمدينة عن طريق تقديم العطايا والامدادات الوافرة (١٧٤) . ووعدهم بتسليم عكا بعد استيلائهم على بيت المقدس (١٧٥) .

وقد استبسل بعض أمراء المدن في الدفاع عن ممتلكاتهم ، مثل افتخار الدولة حاكم مدينة القدس ، الذي أظهر شجاعة متناهية في الدفاع عن البلد (١٧٦) . حتى كاد الصليبيون يموتون جوعا أمام أسوارها لولا وصول الامدادات والذخائر عن طريق البحر إلى ميناء يافا ، فاضطر إلى الهرب إلى عسقلان ، لتسريه في مهاجمة الفرنج قبل وصول النجدة إليه من مصر (١٧٧) .

هذا ولا ننسى الموقف المشرف الذي وقفه أبو محمد عبيد الله ابن منصور المعروف بابن صليحة ، قاضي مدينة جبلة وحاكمها - الذي كانت مدينته تابعة لجلال الملك بن عمار حاكم طرابلس ثم استقل بها عنه مما أغضب جلال الملك - فلما اقترب الصليبيون

منه بدأ يستخدم الدهاء أولا في صدهم ، فأشاع أن السلطان
بركيارق قد توجه الى الشام فرحل الفرنج عنه ، فلما تحققوا من
كذب هذه الاشاعة ، عادوا لحصاره ، فأظهر أن المصريين قد توجهوا
لحربهم ، فرحلوا ثانيا ثم عادوا ، فرأى استخدام العنف ضدهم ،
فاتفق مع النصارى الذين بالبلدة على أن يرأسوا الفرنج ويعصوهم
بتسليم أحد أبراج البلدة اليهم . وبالفعل تم الاتفاق بينهم على ذلك
فما كان منه الا أن قتل الفرنج المهاجمين للبرج جميعا ، وكانوا
حوالى ثلاثمائة رجل (١٧٨) ، واشتد القتال بين الطرفين ، فلما علم
أنهم لن يكفوا عن قتاله ، بعث الى طغتكين أتاك ، صاحب دمشق ،
ليسلم اليه المدينة ويتجه هو الى بغداد وبالفعل رحل الى دمشق
ومنها الى بغداد ولكن للأسف نقل بعض الناس في بغداد للسلطان
السلجوقي مدى اثر ابن صليحة مما جعل السلطان يسلبه كل
ما يملك ، ويرجح أن يكون هذا السلطان هو بركيارق أو أخاه غياث
الدين محمود (١٧٩) .

ومما يدل على مدى تفكك جبهة أمراء المدن في بلاد الشام في
ذلك الوقت أن ابن صليحة عندما سافر الى دمشق ، أرسل ابن عمار
الى الملك دقاق وقال له (سلم الى ابن صليحة عريانا وخذ ماله أجمع
وأنا أعطيك ثلاثمائة ألف دينار فلم يفعل) (١٨٠) .

أما عن موقف السلاجقة فقد كانوا عند قدوم الصليبيين الى
الشرق الاسلامى فى غاية التفكك ، ولم يحاولوا أن يتناسوا تلك
الضغائن القديمة التى سادت بينهم ، حتى ينجحوا فى التخلص من
عدوهم الداهم أولا ثم يعملوا بعد ذلك على ازالة تلك الحواجز
الموجودة بينهم . وقد مر بنا كيف كانت ممتلكات السلاجقة مترامية
الأطراف سواء فى فارس أو العراق أو الشام أو بلاد آسيا الصغرى .

كان أول من تلقى ضربات الصليبيين من السلاجقة هم الفرع الموجود في آسيا الصغرى بقيادة قلج أرسلان (١٨١) ابن سليمان ابن قتلмыш . فعندما نزل الصليبيون إلى بلاده استعان بالملك دقاق صاحب دمشق وبجناح الدولة صاحب حمص (١٨٢) . ولكن لم تصله أي نجدة منهم فاستخدم التركمان فقط في قتالهم (١٨٣) . فهزمه الفرنج في رجب سنة ٤٩٠ هـ (١٠٩٧ م) وانتزعوا قونية منه (١٨٤) .

أما فرع السلاجقة الموجود في بلاد الشام فقد كان على رأسه رضوان ودقاق ابنا تشر بن ألب أرسلان . وقد سبق أن رأينا كيف كان التطاحن بينهما على أشده حتى سنة ٤٩٠ هـ (١٠٩٧ م) وهي السنة التي وصل الفرنج فيها إلى بلاد الشام . وبعد أن بدأ الفرنج يشددون الحصار على أنطاكية استنجد ياغي سيان ، كما مر بنا ، بالملك دقاق فبعث له ببعض النجدة ولكن حينما حاول الاستعانة برضوان أيضا بدأ الشك يساور دقاق فانسحب بقواته نحو الجنوب (١٨٥) . مما يبين لنا مقدار ما وصل إليه السلاجقة بالشام من تفكك ومن سوء تقدير للخطر الداهم . فاذا أضفنا إلى ذلك كله ما ذكره المؤرخ (جب) و (ستون وبالدوين) Setton Baldwin « من أنه لم يكن لدى أمراء سوريا عند وصول الصليبيين سوى قلة من العبيد تتولى الحرب ، وأن هؤلاء العبيد هم كل ما استطاع هؤلاء الأمراء شراءه من حصيلة ممتلكاتهم الضئيلة » (١٨٦) ، وعلى ذلك لم يكونوا مزودين بالدافع القومي للدفاع عن البلاد ضد الصليبيين .

وإذا كان هذا هو موقف الأميرين السلجوقيين الكبيرين عندما قدم الصليبيون إلى بلاد الشام ، فإن البلاد لم تحرم من بعض المجهودات الفردية وخاصة مجهودات بعض الأتابكة مثل (كهشتمكين

ابن الدانشمند طايلو) أنابك دمشق الذي قاتل حوالى ثلاثمائة ألف من الفرنج فى ذى القعدة سنة ٤٩٣ هـ (١١٠٠ م) وهزمهم وقتل منهم الكثير ، ولم ينج منهم سوى ثلاثة آلاف ثم تتبع الفارين الى ملطية وفتح المدينة وأسر ملكها (١٨٧) .

وفى سنة ٤٩٤ هـ (١١٠١ م) قتل الملك جود فروا دى بوايون ملك بيت المقدس أثناء حصاره لمدينة عكا فصار أخوه بلدوين الى بيت المقدس فى خمسمائة فارس ، فلما علم الملك دقاق بذلك سار اليه مع الأمير جناح الدولة فالتقيا به وهزمه (١٨٨) . كما استطاع طغتكين أنابك فى سنة ٤٩٩ هـ (١١٠٦ م) أن يهزم الفرنج (١٨٩) .

أما بالنسبة للفرع العراقى والفارسى من السلاجقة فقد عاصر قدوم الصليبيين الى بلاد الشام فترة نزاع شديد بين السلطانين السلجوقيين بركيارق ومحمد ابنى السلطان ملكشاه . ولم يبذل هؤلاء السلاطين السلاجقة أدنى جهد لدفع الخطر الصليبي الا فى سنة ٤٩١ هـ (١٠٩٨ م) عندما طلب ياغى سميان النجدة أثناء حصار الفرنج لأنطاكية ، فقد كتب السلطان بركيارق (١٩٠) الى العساكر يأمرهم بالخروج مع عميد الدولة للجهاد (١٩١) .

أما عن الفترة الممتدة من سنة ٤٩٢ هـ حتى سنة ٤٩٧ هـ (١٠٩٩ - ١١٠٤ م) فقد شهدت التطاحن المستمر بين بركيارق ومحمد وتبادل الخطبة بينهما فى بغداد .

ففى سنة ٤٩٢ هـ (١٠٩٩ م) خطب للسلطان محمد ببغداد ولقب غياث الدنيا والدين (١٩٢) .

وفي سنة ٤٩٣ هـ (١١٠٠ م) دخل السلطان بركبارق بغداد وأعيدت له الخطبة بدلا من أخيه محمد فبعث اليه الخليفة العباسي يهدية ثمينة (١٩٣ ، ١٩٤) . ثم لم يلبث الخلاف أن قام من جديد في نفس السنة بين الأخوين فانهزم بركبارق وأعيدت الخطبة لأخيه محمد ببغداد (١٩٥ ، ١٩٦) .

وفي جمادى الآخرة سنة ٤٩٤ هـ (١١٠١ م) التقى الاخوان من جديد فانهزم السلطان محمد ولكن عندما دخل بركبارق بغداد أساء السيرة في أهلها ، ثم لم يلبث أن مرض فلحقه أخوه محمد ، فشكا اليه الخليفة العباسي من سوء سيرة أخيه وخطب له بالديوان فلم يكن من بركبارق الا أن رحل الى واسط (١٩٧ ، ١٩٨) .

وفي سنة ٤٩٥ هـ (١١٠٢ م) تقاتل السلطان بركبارق والسلطان محمد وجرت بينهما حروب كثيرة انهزم فيها محمد (١٩٩ ، ٢٠٠) . وتجددت الحروب من جديد بين الأخوين سنة ٤٩٦ هـ (١١٠٣ م) (٢٠١ ، ٢٠٢) .

ولم يلبث هؤلاء السلاطين أن تذكروا - وكان الغزو الصليبي كان أقل أهمية من تنازعهم على الحكم - أنه يجب عليهم أن يضعوا خلافاتهم جانبا ويوحدوا كلمتهم لأن العدو قد طمع في الأطراف لذلك بدأوا التشاور لعقد الصلح . فأرسل السلطان بركبارق رسولين الى أخيه التقرير قواعد الصلح « ورغباه في الصلح وفضيلته ، وما شمل البلاد من الخراب ، وطمع عدو الاسلام في أطراف الأرض » فأجاب به الى الصلح واستقر الأمر بينهما في ربيع الثاني سنة ٤٩٧ هـ (١١٠٤ م) (٢٠٣ ، ٢٠٤) .

وهكذا نجد أن سلاجقة العراق وفارس بدأوا يتنبهون للخطر الصليبي بعد مضي حوالي سبع سنوات على ظهوره في بلاد الشام ،

وبعد أن نجح الصليبيون في أن يسيطروا على معظم مدنها • فلو أن الفروع السلجوقية جميعها تناسست ما كان بينها من خلافات ووحدت صفوفها ضد هذا العدو المشترك ، لربما تغير سير تلك الحملات الصليبية منذ البداية •

ومن هذا العرض لموقف عناصر السكان في بلاد الشام من الصليبيين ، تلاحظ أن بعض هذه العناصر وقفت موقفا ايجابيا فساعدت الصليبيين أو حاربتهم ، وبعضها الآخر وقف موقفا سلبيا فصالحتهم لالتقاء شرهم أو لم تحاربهم حتى رجعت كفتهم فانضمت الى جانبهم •

وهكذا كان لتفكك تلك العناصر وعدم وقوفها صفا واحدا في وجه الصليبيين أثر كبير في نجاحهم في السيطرة على البلاد •

ثم ننتقل الى موقف الدول الاسلامية الثلاث الكبرى من الغزو الصليبي لبلاد الشام ، أى الدولة العباسية في العراق ، والدولة الأموية في الأندلس ، والدولة الفاطمية في مصر • ولما كانت الدولة الفاطمية لها بعض النفوذ المباشر أو غير المباشر في بعض مدن بلاد الشام عند قدوم الصليبيين ، فسوف نتناول موقفها بشيء من التفصيل ، بعد تناول موقف الدولتين الأخريين ، العباسية والأموية •

والمعروف أنه بدخول طغر البك السلجوقي بغداد سنة ٤٤٧ هـ (٢٠٥) ، أصبح السلاجقة هم أصحاب الكلمة العليا في بغداد في حين لم يعد للخلفاء العباسيين سوى السلطنة الاسمية فقط • وعلى ذلك فتناولنا لموقف الدولة العباسية من الزحف الصليبي على بلاد الشام ، بل والشرق الاسلامي كله ، ما هو في الحقيقة الا إعادة لموقف سلاجقة العراق • ولقد كان هؤلاء السلاطين،

كما سبق أن ذكرنا مشغولين بالصراع حول السلطة والنفوذ وخاصة السلطان بركبارق والسلطان محمد ابنى ملكشاه السلجوقي . فى حين كان الخليفة العباسى ، أبو العباس أحمد المستظهر بالله ، الذى تولى الخلافة بعد وفاة والده المقتدى بأمر الله سنة ٤٨٧ هـ (٢٠٦) (١٠٩٤ م) ضعيف النفوذ .

وقد سبق أن ذكرنا انه عندما حاصر الصليبيون أنطاكية أرسل حاكمها يستنجد بالخليفة العباسى ، ضمن من استنجد بهم فى ذلك الوقت ، ولكن للأسف لم تصله منه أى نجدة . ثم أشبع بعد ذلك ، أثناء توجه الصليبيين الى عرقة أن هناك نجدة بقيادة الخليفة العباسى نفسه ، ولكن الاشاعة كانت غير حقيقية (٢٠٧) .

وبعد استيلاء الصليبيين على بيت المقدس ثار العالم الاسلامى ، وخرج بعض أهالى دمشق مع قاضيه زين الدين أبى سعد الهروى ، الى بغداد ، وارتفع بكاء الناس ، ونلب الخليفة الفقهاء (٢٠٨) ، للخروج الى بلاد الشام ولكن للأسف بعد مسيرهم مسافة قصيرة تفرقوا ولم يصل مع قاضى دمشق أحد (٢٠٩) .

وللمؤرخ (جوستاف لوبون) رأى فى هذا الموضوع فهو يذكر أن المسلمين تناسوا جميع عوامل الانقسام ، وأغضى خليفة القاهرة (الفاطمى) عن منافسته لخليفة بغداد (العباسى) فتبادلا السفراء للتوصل الى حل ينقذهم من هذه المصيبة ، (٢١٠) .

والحقيقة أن هذا الرأى لا يتفق كثيرا مع الواقع ، فالسفارات لم تحقق أية نتيجة ايجابية بل ضاع القديس الشريف من أيدي المسلمين وضاعت بلاد الشام بأكملها أيضا .

وللتعرف على موقف الدولة الأموية بالأندلس بشىء من الدقة

يجدر بنا أن نعطي لمحة سريعة عن وضع الأندلس السياسى قبيل قيام الحروب الصليبية .

ففى سنة ٤٢٢ هـ سقطت الخلافة الأموية فى الأندلس ودخلت البلاد فى فترة جديدة عرفت بعصر ملوك الطوائف امتدت من ٤٢٢ هـ الى ٤٨٤ هـ (١٠٣١ م - ١٠٩٢ م) وتسمية هذا العصر كقيلة للدلالة على ما وصلت اليه الدولة من تخاذل وتفرق واضطراب وتناحر (٢١١) . حتى أنه حكم فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) نحو عشرين أسرة مستقلة فى عشرين مدينة أو مقاطعة ويسمى هؤلاء بملوك الطوائف ومن أشهرهم بنو عباد بأشبيلية وبنو حمود الأدارسة بمالقة والجزيرة ، وبنو ذيرى بقرناطة وبنو هود بسرقسطة ، وكان أقواهم بنى ذى النون الذين ملكوا طليطلة وحكموا بلنسية ومرسية والمرية (٢١٢) .

وكان هؤلاء الملوك يدفعون الاتاوات لملك أسبانيا المسيحى الذى استطاع أن ينتزع من أيديهم كثيرا من المدن والمقاطعات لذلك استنجد ملوك الطوائف بيوسف بن تاشفين أمير المرابطين بمراكش واستجاب ابن تاشفين بداءة من الحماس الدينى ومن الأطماع السياسية أيضا (٢١٣) .

وفى سنة ٤٧٩ هـ (١٠٨٦ م) وقعت بين ملوك الطوائف بقيادة ابن عياد أمير أشبيلية وحلفائهم المرابطين بقيادة ابن تاشفين من جهة وبين الأسبانيات المسيحيين وعلى رأسهم الملك الفونسو السادس من جهة أخرى موقعة الزلاقة التى انتصر فيها المسلمون على المسيحيين واستطاعوا أن يستردوا بلنسية وفكوا حصار سرقسطة (٢١٤) .

وفى سنة ٤٨٣ هـ (١٠٩٠ م) استنجد ملوك الطوائف مرة

أخرى بالمرابطين ، ضد المسيحيين . وبالفعل جاء المرابطون لنجدتهم ولكنهم فى هذه المرة قرروا انتزاع السلالة من يد هؤلاء الملوك الضعفاء المتنازعين فيما بينهم رغم وجود العدو فى الشمال . ولم تتحل سنة ٤٩٥ هـ (١١٠٢ م) الا وكانت الأندلس تابعة لمملكة المرابطين بإفريقية (٢١٥) .

وهكذا حينما قامت الدعوة للحروب الصليبية فى مؤتمر كليرمونت سنة ١٠٩٥ م بل وخلال القرن الحادى عشر الميلادى ، كانت الحرب على أشدها بين المسيحيين والمسلمين فى شبه جزيرة أيبيريا (٢١٦) .

وأصبح ميزان القوى متارجحا بين الفريقين دون أن يتمكن أحدهما من احراز نصر حاسم على الآخر . ولهذه الأسباب لم تكن اسبانيا فى حالة تسمح لها بالاشتراك الفعلى فى حروب خارج أراضيها (٢١٧) ، سواء من جانب المسلمين أو المسيحيين .

لم يكن المسيحيون الأسباب هم الذين قرروا عدم الاشتراك فى تلك الحروب لأن المسلمين يهددونهم فى عقر دارهم ولأنه - فى رأى البابا - يكفى النصارى الأسباب فخرا أن يقاتلوا المسلمين فى الغرب (٢١٨) .

فقد كانت أسبانيا مسرحا لحرب صليبية غربية أو بمعنى آخر حركة استرداد قام بها المسيحيون الغربيون ضد مسلمى أسبانيا . وقد اشتركت هذه الحروب الغربية مع مثيلاتها فى الشرق فى بعض الصفات الصليبية وليس جميعها « فهى حرب تحرير للأراضى المسيحية القديمة ، قادتها البابوية وأيدتها ، وهى أيضا شروع فى

روح دينية ، وضع المحاربون فيها أنفسهم تحت حماية
الله (٢١٩) .

وجينما استولى الصليبيون على بيت المقدس ، أعلن البابا
(باسكال الثاني) الحرب الصليبية في أسبانيا ضد المسلمين .
لذلك بدأ الأسبان المسيحيون يشهرون الحرب الصليبية في أسبانيا
ذاتها وحاصروا سرقسطة لمدة قصيرة سنة ٤٩٤ هـ (١١٠١ م) ولكن
الفرصة لم تكن سانحة لتحقيق هذا المشروع لأن المرابطين استعادوا
بلنسية بعد ذلك بقليل ، ومن ثم اضطر النصاري الى فك
الحصار (٢٢٠) .

وهكذا لم يكن مسلمو أسبانيا في حالة تسمح لهم بأن يرسلوا
أى نجدة ضد الصليبيين في الشرق ذلك لأنهم كانوا مشغولين
بالصراع ضد مسيحيي أسبانيا ، هذا الى جانب النزاع فيما بينهم ،
ونزاعهم مع المرابطين أيضا .

واذا أردنا دراسة موقف الدولة الفاطمية من الغزو الصليبي
لبلاذ الشام ، نقول : ان الدولة الفاطمية لم تكن تمثل دولة اسلامية
كبيرة فحسب ، بل كانت تمثل أيضا احدى دول الخلافة الثلاث
في العالم العربي ، وهي بالنسبة لبلاذ الشام دولة الخلافة الوحيدة
التي ظل لها بعض النفوذ سواء المباشر أو غير المباشر على بعض مدن
بلاد الشام وخاصة المدن الساحلية .

فالى أى مدى كان موقف هذه الدولة من الزحف الصليبي على
بلاد الشام ، وهل كان هذا الموقف ايجابيا أو سلبيا ؟ واذا كانت
هذه الدولة قد قامت ببعض المجهودات ضد الصليبيين ، فهل كان
ذلك بدافع المصلحة العامة أو الخاصة ؟ وإلى أى مدى أثرت أحوال

الدولة الفاطمية الداخلية في هذا الموقف ؟ وسنلقى الضوء على هذه القضايا بآجمعها حتى يتسنى لنا أن نقف على حقيقة موقف هذه الدولة الإسلامية الكبرى من غزو الصليبيين .

أما عن أحوال الدولة الفاطمية الداخلية قبيل قدوم الصليبيين إلى بلاد الشام ، فنذكر أن عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ) كان آخر العهود التي تمتعت البلاد في أولها على الأقل بالرخاء والطمأنينة . فلم تلبث مصر أن حلت بها المجاعات والأوبئة التي اصطلح المؤرخون على تسميتها بعصر الشدة العظمى وهي أطول وأخطر مجاعة عرفت في مصر في العصور الوسطى الإسلامية ، إذ استمرت ثمانى سنوات (٤٤٦ - ٤٥٤ هـ) وامتدت المجاعة إلى معظم الأمم الإسلامية من مصر إلى سمرقند . وقد اضطر الناس في هذه المجاعة إلى أكل الميتة (٢٢١) وقيل أنه كان يموت بمصر وقراها كل يوم ألف إنسان (٢٢٢) .

وقد اقترنت هذه المجاعة بالاضطرابات الداخلية في مصر وليس أدل على ذلك من أنه تولى الوزارة أربعون وزيرا خلال تسع سنوات (من ٤٥٠ - ٤٥٩ هـ) . ثم عادت المجاعة من جديد من ٤٥٩ - ٤٦٤ هـ ، فازدادت الأحوال الداخلية فسادا واضطرابا . لذلك استعان الخليفة المستنصر - كما مر بنا - ببدر الجمالي وإلى عكا سنة ٤٦٦ هـ ، فاستطاع أن يضع حدا لهذه الفوضى وأن يصلح أحوال البلاد الاقتصادية (٢٢٣) .

وبعد وفاة الخليفة المستنصر ، خلفه ابنه المستعلي في ذي الحجة سنة ٤٧٨ هـ ، وهنا بدأت اضطرابات سياسية داخلية من نوع جديد . نتيجة عهد المستنصر بولاية العهد بعده لابنه نزار ، وأخذ البيعة له أثناء مرضه ، ولكن وزير الأفضل بن بدر الجمالي ظل يماطل في اتمام البيعة حتى توفي المستنصر فولى ابنه المستعلي بدلا

من نزار . فلما رأى نزار أن الخلافة قد ضاعت منه سار الى الاسكندرية حيث تلقاه واليها أفتكين التركي بالترحاب وأخذ له البيعة من أهالي الاسكندرية ، فما كان من الأفضل الا أن قاد جيشا وقاتل نزار وأتباعه ، فاضطروا الى طلب الأمان ، فأمنهم ثم تخلص من نزار ووالى الاسكندرية (٢٢٤) .

وفى أثناء تلك الفتنة الداخلية سيطر الأفضل بن بدر الجمالى على شئون الحكم بالبلاد واستبد بالسلطة دون الخليفة المستعلى ، ومن ثم دخلت مصر فى عهد نفوذ الوزراء ، المعروف باسم « عصر الوزراء العظام » (٢٢٥) .

وبينما كانت مصر تعاني من جراء تلك الظروف الداخلية الحرجة ظهر الخطر الصليبي فى الأفق ، على الأبواب الشمالية لبلاد الشام . وكان منطق العقل يحتم على ولاة الأمور فى مصر فى ذلك الوقت أن ينظروا الى هذا العدو على أنه خطر يهدد العالم الاسلامى بأكمله ، كما أن سيطرة الصليبيين على بلاد الشام ، يمهد لهم لغزو مصر ، ولذا كان على حكام مصر أن يقدرُوا هذا الخطر تقديرا حقيقيا حتى ولو لم يكن لهم أى نفوذ فى بلاد الشام يدفعون عنه المعتدين .

ولكن الخليفة المستعلى كانت له حينئذ السلطة الاسمية اذ كان ضعيف الشخصية ، بينما كان الأفضل بن بدر الجمالى صاحب السلطة الفعلية والمتغلب على أمور البلاد . وقد وقف كل منهما فى البداية من الزحف الصليبي موقفا سلبيا مطبوعا بطابع المصلحة الخاصة .

وكان الأتراك السلاجقة هم أصحاب النفوذ الفعلى فى بلاد الشام بعد أن أخرجوا الفاطميين من معظم البلاد الشامية ، ولذلك لم يتخذ الفاطميون من العدو الصليبي موقفا ايجابيا ولم يحاولوا

استعادة حقوقهم التي سلبها منهم السلاجقة ، وكان هذا الموقف السلبي يضر بالمصلحة الاسلامية العامة ، ثم بعد ذلك المصلحة الفاطمية الخاصة .

وخلاصة القول أن روح الانتقام من العدو السلجوقي السني ، كانت قد وضعت غشاوة قاتمة على عيون ولاة الأمر الفاطميين في مصر في ذلك الوقت ، وليس أدل على ذلك من ارسال تلك السفارة المصرية الأفضلية للاتفاق مع الصليبيين ضد السلاجقة (٢٢٦) .

وهنا نجد أنفسنا أمام رأيين : أحدهما يذهب الى أن الفاطميين هم الذين أرسلوا الى الصليبيين يدعونهم الى الخروج الى بلاد الشام ليملكوها (٢٢٧) . والآخر يذكر أنه لما عاناه الامبراطور البيزنطي الكسيوس من عداوة الترك ، وما ترتب عليها من أضرار ، نصح الصليبيين أثناء مقامهم بالقسطنطينية بأن يحاولوا الاتصال بالفاطميين في مصر والاتفاق معهم ، لما بين الفاطميين والسلاجقة من عداوة (٢٢٨) .

وسواء صح هذا الرأي أم ذاك فإن المصادر التاريخية تشير الى أنه في صفر سنة ٤٩٢ هـ (١٠٩٨ م) توجهت سفارة أرسلها الأفضل وزير المستعلي بالله الى الرؤساء الفرنج أثناء حصار أنطاكية ، على أساس أن يقتسم الجانبان بلاد الشام فيما بينهما ، فيكون للصليبيين شمال الشام بما فيه أنطاكية ، وللفاطميين الجنوب بما فيه بيت المقدس (٢٢٩) . ولا شك أن الأفضل عندما فكر في هذه الشروط اعتبر أن الصليبيين ليسوا الا مأجورين للامبراطور البيزنطي ، ولما كانت أملاك الدولة البيزنطية أيام صحتها في القرن العاشر لم تتعد في بلاد الشام مدينة أنطاكية ، فقد ظن الأفضل أن أولئك الصليبيين انما أتوا في نهاية القرن الحادي عشر ليفعلوا

فى بلاد الشام منلما فعل نقفور فوقاس وحنأ شمشقيق فى نهاية القرن العاشر (٢٣٠) . ثم أن التحالف مع الصليبيين والسماح لهم بالاسقرار فى شمال الشام يحقق التوازن مع طموح السلاجقة (٢٣١) .

وصلت تلك السفارة الفاطمية الى أنطاكية ، وقدم الرؤساء الفرنجة للسفراء المصريين دليلا داميا على الصداقة الجديدة ، هو ثلاثمائة رأس تركى ، فكان لذلك وقع حسن لدى السفراء الفاطميين (٢٣٢) . ولما كان الصليبيون قد قاموا بالحروب الصليبية لانتفاذ الأماكن المقدسة لم يكونوا يستطيعون ترك فلسطين فى أيدي الغاطميين ، الا أنهم لم يحاولوا تثبيت عزيمة سفراء الوزير الأفضل ، بل استقبلوهم بحفاوة بالغة وان كانوا لم يرتبطوا معهم بشئ ، ثم أرسلوا معهم سفارة الى القاهرة ردا على سفارة الوزير الأفضل ولمراقبة تطور الأحداث فى مصر عن قرب (٢٣٣) . وأدرك الصليبيون مغزى هذه السفارة الفاطمية التى تثبت ذلك الانحلال الشديد والفرقة السائدة فى العالم الاسلامى (٢٣٤) .

وبعد استيلاء الصليبيين على أنطاكية تشجع الوزير الأفضل وقام بحملة استرد فيها بيت المقدس من يد الأراتقة فى شعبان ٤٩٢ هـ (يوليو سنة ١٠٩٨ م) (٢٣٥) . وفى الحقيقة ان هذه الخطوة التى قام بها الأفضل أفادت الصليبيين كثيرا لأنها سببت ارتباكا للأتراك السلاجقة فى أشد الأوقات حرجا (٢٣٦) .

وبعد استيلاء الأفضل على فلسطين ، أرسل سفارة فاطمية أخرى فى رفقة السفراء الفرنج . فقد أدرك أن الصليبيين بعيدون كل البعد عن أى رغبة لمساعدة الفاطميين على استرداد فلسطين ، وأن هدفهم هو الاستيلاء على بيت المقدس (٢٣٧) . فعرض عليهم أن

يسهل لهم الحج على شرط أن يعدلوا عن هدفهم ، فيسمح لهم بزيارة الأماكن المقدسة بفلسطين وتكون لهم الحرية الكاملة في ممارسة شعائرهم الدينية ، على ألا تزيد اقامتهم بها أكثر من شهر واحد ، وألا يدخلوها مسلحين (٢٣٨) .

وهنا لاحظ الصليبيون اختلاف لهجة هؤلاء السفراء عن السفراء الأول الذين كانوا قد عرضوا ارتباطا حقيقيا ضد السلاجقة . ولكن خلال هذه الفترة كان السلاجقة قد خرجوا من المعركة اذ استولى الصليبيون على أنطاكية كما استولى الفاطميون على بيت المقدس ، وبذلك بدأ متحالفو الأمس يقفون وجها لوجه ولم يوافق الصليبيون على عرض الحج السلمي الذي عرضه الفاطميون (٢٣٩) .

وبذلك أصبح موقف الفاطميين من عوامل نجاح الحملة الصليبية الأولى ، لأن موفقهم من هذه الحملة وتقاعسهم عن انجاد السلاجقة ، بل وانتهازهم الفرصة لاحتلال بيت المقدس زمن حصار الصليبيين لأنطاكية ، ثم تقهقرهم السريع - كما سنرى - حينما هاجمتهم القوات الصليبية ، كل ذلك يجعل الفاطميين يتحملون القسط الأكبر من مسئولية نجاح الصليبيين الأول (٢٤٠) .

وعندما أخفق أسسذوب المفاوضات بين الفاطميين والسلاجقة صمم الفاطميون على الالتجاء الى الحرب للدفاع عن ممتلكاتهم في بلاد الشام . أى أن الفاطميين لم يلجأوا الى العنف مع الصليبيين الا عندما بدأ الصليبيون يستولون على الممتلكات الفاطمية في بلاد الشام . فمثلا عندما حاصر الصليبيون بيت المقدس ، وهو هدفهم الأول ، أرسل حاكم المدينة الفاطمي يطلب النجدة من خليفة مصر . بل ان مسلمي الشام وبغداد علقوا آمالهم الكبيرة على مجهودات الجيوش الفاطمية آنذاك (٢٤١) . والواقع أن الوزير الفاطمي الأفضل ، لم يكف عن الاستعداد لمقاتلة الصليبيين منذ أن سمع

بزحفهم على بيت المقدس (٢٤٢) . وبالفعل عندما سمع بحصارهم لبيت المقدس خرج من مصر في عشرين ألف مقاتل ، ولكنه للأسف وصل الى القدس بعد يوم من استيلاء الصليبيين عليها ، فخرجوا لملاقاته بجيوشهم فولى هاربا الى عسقلان . فوصلها في الرابع عشر من رمضان سنة (٤٩٢ هـ - ١٠٩٩ م) (٢٤٣) . وأصبح واضحا لديه أنه من غير المحتمل أن يتوقع أية صورة من صور التحالف مع هؤلاء القادمين الجدد (٢٤٤) . وأرسل اليهم يوبخهم على ما فعلوه فلم يعبأوا برسوله (٢٤٥) . ولقد نقل لنا صاحب الجستا صورة معبرة تنم عن مدى الحسرة والحزن لدى الأفضل لضياع بيت المقدس قبل وصوله في خطاب مفصل تركه لنا ضمن مادة الجستا (٢٤٦) .

ويبدو أن الوزير الأفضل لم يكن رجل حرب مثلما هو رجل سياسة ، فقد أضاع وقتا طويلا في انتظار الأسطول الفاطمي في البحر المتوسط كي يهاجم الفرنج (٢٤٧) . فلما علم الفرنج بحقيقة موقفه فضلوا مباغتته قبل أن يصله أى مدد ، وبالفعل فاجأ الفرنج جند الأفضل قبل أن يستعدوا لهذا الهجوم فحلت بهم هزيمة ساحقة (٢٤٨) .

وبلغ مجموع قتلى الفاطميين في هذه الموقعة حوالى عشرة آلاف جندي (٢٤٩) . وفر الأفضل بعد الموقعة عائدا الى مصر عن طريق البحر (٢٥٠) . ولما خشى أهالى عسقلان أن يحل بهم ما حل بأهالى بيت المقدس بدأوا يطلبون الأمان على أن يدفعوا للصليبيين بعض الأموال ، وفي النهاية قبل الصليبيون وفرضوا على الأهالى ضريبة تبلغ عشرين ألف دينار وشرعوا بالفعل في جبايتها ، ولكن اختلاف آراء رؤسائهم جعلهم يرحلون عن عسقلان دون أن يجبول شيئا (٢٥١) .

والواقع أن الحاق الصليبيين الهزيمة بالفاطمين في عسقلان
قضى على هيبة الفاطمين بفلسطين ، فقد أصبحت يد الصليبيين
طليقة في فلسطين منذ انتصارهم في عسقلان كما صارت طليقة أيضا
في شمال الشام عقب انتصارهم على كربوغا بأنطاكية (٢٥٢) .
لذلك فعندما عاد الصليبيون الى بيت المقدس دخلوها دخول الظافرين
في احتفال ديني كبير (٢٥٣) .

وضع الصليبيون بعد انتصارهم في عسقلان خطة لاستخلاص
موانئ الساحل من أيدي الفاطمين (٢٥٤) . وكان أول هذه الموانئ
هي « أرسوف » فقد تحرش الصليبيون ببعض أهالي أرسوف عندما
خرجوا لمزاولة نشاطهم السلمي في مزارعهم سنة ٤٩٣ هـ
(١١٠٠ م) . ولما كانت أرسوف تابعة للدولة الفاطمية ، فقد أرسل
الأهالي سفارة عاجلة الى الوزير الأفضل لطلب النجدة ، فما كان
منه الا أن أرسل اليهم بحامية صغيرة مكونة من ثلاثمائة
جندي (٢٥٥) .

بدأ أهالي أرسوف يتشجعون عند وصول تلك النجدة اليهم ،
ولكنهم وقعوا في كمين نصبه لهم الصليبيون (٢٥٦) . وهنا تأكد
الأهالي من عدم جدوى الحماية الفاطمية ، وأنه لكي يستطيعوا زراعة
أراضيهم لابد وأن يحتموا بالفرنج . وأخيرا انتهى الأمر بأن حمل
أهالي أرسوف مفاتيح البلدة والقلاع وذهبوا للتفاوض مع جودفرى
دى بوابون ، للدخول في تبعيته في مقابل دفع ضريبة مالية (٢٥٧) .

وبعد عام من الاستيلاء على أرسوف أي (٤٩٤ هـ - ١١٠١ م)
تقدم جيش الفرنجة يساعده أسطول جنوة وحاصروا ميناء قيسارية
حتى سقط في أيديهم . وفي ذلك الوقت بدأ الوزير الفاطمي الأفضل
يفكر في الشار لنكبة عسقلان ، التي حدثت قبل ذلك بسنتين ،
فأرسل حملة بقيادة المملوك سعد الدولة القواس (٢٥٩) . فنزلت

الحملة أولا في عسقلان . فلما سمع الفرنج بأخبارها عقدوا مجلسا للحرب وقرروا سرعة مباغتة الفاطميين ، رغم قلة عدد الفرنج بقيادة بلدوين ، بالنسبة للحملة المصرية ، ولكن رغم ذلك استطاعوا انزال الهزيمة بالجيش الفاطمي عند الرملة ، وقتل سعد الدولة في المعركة (٢٦٠) وهنا يختلف المؤرخون المسلمون عن المسيحيين في نتيجة هذه المعركة - موقعة الرملة الاولى - فبينما يجمع المؤرخون المسلمون (٢٦١) ، على انتصار المصريين في المعركة يجمع المؤرخون المسيحيون (٢٦٢) على هزيمتهم فيها . والراجح أن المصريين هزموا فيها .

وفي سنة ٤٩٥ هـ (١١٠٢ م) سير الأفضل جيشا مكونا من عشرين ألف جندي بقيادة ابنه شرف المعالي ، وتقدم في نفس الوقت ، الأسطول الفاطمي في البحر . فالتقى جيش شرف المعالي بالجيش الذي كان يقوده سعد الدولة القواس في العام السابق . وكان الفرنج لا يزالون في نشوة انتصارهم على جيش سعد الدولة ، وظنوا أن شرف المعالي يقود جيشا صغيرا ، ولذا خرج بلدوين لملاقاتهم في عدد قليل من الفرسان ودارت بينهم موقعة الرملة الثانية ، فانهمز فيها الفرنج هزيمة ساحقة ، وفر ملكهم بلدوين وأسر منهم عدد كبير (٢٦٣) . وبذلك سيطر الفاطميون على يافا من جديد (٢٤٦) . ولكن وصول بعض الامدادات الى الصليبيين عن طريق ميناء يافا جعلهم يستعيدون قوتهم من جديد وبدأوا يهاجمون القوات الفاطمية الموجودة في الرملة حتى أجبروهم على الفرار الى عسقلان (٢٦٥) .

كان لضياع انتصار موقعة الرملة الثانية اثره السيء على الوزير الأفضل ، لذلك أرسل في العام التالي ٤٩٦ هـ (١١٠٣ م) جيشين الى بلاد الشام ، أحدهما برى بقيادة تاج العجم ، والآخر بحرى بقيادة القاضي ابن قاروس . فوصل الأسطول الى يافا في حين امتنع

تاج العجم عن التقدم بعد عسقلان حتى تصله أوامر من الوزير نفسه (٢٦٦) . فلما علم الوزير بذلك أرسل من قبض على تاج العجم وعين مكانه رجلا آخر لقبه جمال الملك (٢٦٧) .

وهكذا أدى تفرق كلمة القوى الإسلامية (٢٦٨) ، الى جانب تفوق كلمة قادة الجيش والأسطول الفاطمي ، الى ضياع خير فرصة لاستعادة فلسطين من أيدي الصليبيين (٢٦٩) .

وباستيلاء الصليبيين على ميناء يافا ارتفعت روحهم المعنوية ، وصمموا على الاستيلاء على بقية الموانئ الباقية في أيدي الفاطميين . فبدأوا بالاستيلاء على عكا (٤٩٧ - ١١٠٤ م) - منتهزين فرصة وجود أسطول ايطالي في البحر المتوسط (٢٧٠) . وهكذا سقطت عكا رغم استبسال حاكمها زهر الدولة الجيوشي ، وكان سقوطها بسبب تفكك القوى الإسلامية في ذلك الوقت ، ولعدم ارسال نجدات لحمايتها من مصر صاحبة النفوذ الفعلي فيها ، ولتشديد الصليبيين الحصار عليها برا وبحرا . وبسقوطها أصبح للصليبيين السيادة على شواطئ فلسطين ، وحرم الأسطول الفاطمي من أهم قواعده بالشام (٢٧١) .

وبعد استيلاء الفرنج على عكا بدأوا يشددون الحصار من جديد على طرابلس ، التي وقفت عقبة كأداء في طريقهم باستمرار ، فما كان من فخر الملك بن عمار الا أن صالحمهم على أن يكون ظاهر البلدة لهم وداخلها له (٢٧٢) .

والواقع أن ذكاء ابن عمار وشجاعته مكنتاه من أن يؤجل بعض الوقت وقوع كارثة استيلاء الصليبيين على طرابلس (٢٧٣) . فقد شددوا الحصار عليها حوالي خمس سنوات متوالية حتى سقطت في أيديهم ، فلما ضاق أميرها بهذا الحصار اتجه في سنة ٥٠١ هـ

الى بغداد لطلب النجدة (٢٧٤) . فى حين استنجد أهلها بالوزير الفاطمى الأفضل ، وطلبوا منه أن يرسل لهم حاكما قويا يتولى أمور المدينة ، فأرسل لهم بالفعل حاكما جديدا هو شرف الدولة ، الذى قبض على أتباع فخر الملك وأرسلهم الى مصر (٢٧٥) .

شدد الصليبيون الحصار من جديد على طرابلس ، فطلب حاكمها من السلطات الفاطمية أن ترسل اليه نجدة سريعة ، فأصدر الوزير الفاطمى أوامره للأسطول بالتحرك الى طرابلس ولكن نشوب الخلافات بين الأمراء أخرت تحرك الأسطول سنة كاملة ، وعندما بدأ فى التحرك هبت رياح شديدة عاقت سيره ، وعندما استطاع المسير كان الوقت قد فات والمدينة وقعت فى يد الفرنج ، بعد أن قطع الأهالى الأمل فى وصول أى نجدة ، سنة ٥٠٢ هـ - ١١٠٨ م (٢٧٦) وهنا يحمل المؤرخ أبو المحاسن الحكومة الفاطمية مسئولية عن ضياع طرابلس من أيدي المسلمين ، وذلك لتقاعسهم عن المسير مدة طويلة ، ولضعف الجيش الفاطمى ، المرسل مع الأسطول ، ولعدم خروج الأفضل بنفسه على رأس هذا الجيش كما كان والده يفعل من قبل (٢٧٧) .

وفى سنة ٤٩٨ هـ (١١٠٥ م) قام المصريون بآخر محاولة لاسترجاع فلسطين (٢٧٨) ، فقد بعث الأفضل جيشا كبيرا الى فلسطين بقيادة ابنه شرف المعالى ، سناء الملك حسين ، كما أرسل أسطولا لمساعدة الجيش من البحر . وهنا نلاحظ أنه لأول مرة تتحد قوى السلاجقة والفاطمين ضد الصليبيين . فقد أرسل الأفضل الى طغتكين أتابك الذى تولى أمر دمشق بعد وفاة دقاق سنة ٤٩٧ هـ (١١٠٤ م) ، يطلب منه أن يتحد معه ضد الصليبيين فوافق على طلبه (٢٧٩) . وإذا كان طغتكين أتابك لم ينهض بنفسه على رأس الجيش الدمشقى ، لانشغاله بمحاربة أحد الخارجين عليه والمنضمين الى الفرنج ، فقد أرسل نائبا عنه هو « اصبهيد

صباوو « (٢٨٠) فالتقى المسلمون والفرنج في منتصف ذي الحجة بين يافا وعسقلان (٢٨١) . وبالتحديد أمام مدينة الرملة (٢٨٢) . لذا عرفت المعركة بموقعة الرملة الثالثة .

وعندما دارت الحرب بين الجانبين انهزم المسلمون ، وعاد الجيش الدمشقي ، كما عاد الجيش والأسطول الفاطمي الى مصر (٢٨٣) .

وهكذا نلاحظ أن المقاومة الفاطمية للصليبيين كانت غير مجدية في غالب الأحيان . وذلك لأن الفاطميين كانوا أحيانا لا يلبون نداء أهالي المدن الشامية التابعة لهم . وإذا لبوا بعض هذه النداءات فاما أن تكون النجدة ضعيفة ، واما أنها تصل بعد فوات الوقت المناسب .

وهنا يعلق كل من المؤرخ جب والمؤرخ (أرشيبالد لويس) على عوامل نجاح الصليبيين في بلاد الشام ، فيذكر جب ان هذا النجاح يرجع الى عاملين : أولا : « الصراع بين القوى الست المتميزة في بلاد الشام عند قدوم الصليبيين وهي : الامبراطورية الفاطمية ، القبائل العربية المحلية والأمراء ، أمراء السلاجقة التركمان ، الأمراء الأتراك العسكريون ، القبائل التركمانية المستقلة أو غير المستقلة ، عامة الشعب » (٢٨٤) . ثانيا : « أن جزءا ليس باليسير من أسباب نجاح الصليبيين يرجع الى تقدمهم في وسائل الحصار الكثيرة المحكمة والى قوة تحصيناتهم (٢٨٥) .

أما « أرشيبالد لويس » فيقول ان ذلك النجاح لا يرجع الى كفاية قوادهم وبسالة جنودهم بقدر رجوعه الى عاملين آخرين مهمين : أولهما وأكثرهما أهمية ، مساعدة البحرية الإيطالية للصليبيين بالآلات اللازمة لاختضاع المدن الإسلامية الساحلية ، الى جانب

المساعدة بالمؤن • والعامل الثانى هو فشل الأسطول الفاطمى فى الوصول الى المياه السورية للعمل ضد الصليبيين رغم أن الأسطول الفاطمى آنذاك لم يكن قريبا للخطر • حقيقة أنه ربما يكون الأسطول قد تدهور بعد وفاة بدر الجمالى ، ولكن الامتناع عن استخدامه كلية ، يرجع الى الضعف والاستكانة اللذين انتابا الفاطميين الأواخر (٢٨٦) •

هكذا يتضح لنا موقف الدول الاسلامية الكبرى من الغزو الصليبي لبلاد الشام ، وكيف أدى سوء الأحوال الداخلية فى بعضها الى جانب استكانة البعض الآخر الى نجاح الصليبيين فى تحقيق مآربهم •

الهوامش

- (١) حسن حبشى : الحروب الصليبية الاولى ، ص ١٨ .
(٢) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ١٠٥ ، غنى استعمار
عسكرى اتخذ من القوة المسلحة وسيلة لتحقيق أهداف العدوان وهى استعمار
سياسى يستهدف سلب حريتها وتفتيت وحدتها واعاقه نموها ، وهى استعمار
استيطانى يهدف الى الاستيلاء على الاراضى واستعباد النفس البشرية . وهى
استعمار ثقافى يسعى الى فرض الحضارة الغربية اللاتينية على العالم العربى .
ثم هى استعمار دينى يتمثل فى محاولات أوروبا نشر الكاثوليكية فى العالم
العربى عن طريق الحروب الصليبية والبعثات التبشيرية ، كما يبدو من تسميتها
وشعارها ومن مسلكها وتصرفاتها . وأخيرا هى استعمار اقتصادى استغلالى
مظهره نهب ثروات البلاد والاستثمار بخيراتها من موارد وخامات أولية وفيرة .
(٣) عمر كمال : تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٠١ .
(٤) عمر كمال : مقدمات العدوان الصليبي ، ص ١٠٨ - ١٠٩ . وهنا

يرى روسيه :

(Rousset : La Caract&re de la première Croisade, p. 30).

أن هذه الحرب لم تكن سوى حرب دفاعية قام بها أباطرة بيزنطة لحماية
أنفسهم من تهديدات جيرانهم واستعادة الاراضى القديمة اليونانية والمسيحية .
(٥) طرخان : الاقطاع الاسلامى ، دراسة مقارنة من المجلد السادس سنة
١٩٥٧ من المجلة التاريخية المصرية ، ص ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ . سعيد عاشور :
ج ١ ، ص ١٧ . فاقدم أصول عرفت للاقطاع الغربى هى الأحداث
التي وقعت خلال العصر الميروفنجى فى القرن السادس الميلادى بصفة
خاصة حين نشب نزاع حاد بين أبناء وأحفاد كلوفس نظرا لما جروا عليه من
تقسيم الملك كارث خاص عقب وفاة كل ملك ، ثم بين هؤلاء الملوك من الفرنجة
وكبار الأرستقراطيين فى القرن السابع الميلادى . سببت هذه الأحداث الخطيرة
اختلالا فى الأمن فى المناطق الواقعة بين نهري الرين واللوار قلب الامبراطورية
الفرنجية ومسقط رأس الاقطاع الغربى . وزاد الأمر سوءا أن عجزت الحكومة
ابانئذ عن حماية الأمن مما أتاح الفرصة الى ظهور ونمو فريق من الأثرياء

الأقوياء لجا اليهم جيرانهم من مفتقدى الأمن فوجدوهم أجدى من الحكومة فى تحقيق رغبتهم ، وفى نظير هذه الحماية كان لابد من لقاء لها أخذ هذا اللقاء صورة خدمات يقدمها أولئك اللاجئين .

تطور فريق من الناس انن الى نوعين من تلقاء أنفسهم تحت الأحوال السائدة : سادة واتباع ومن هنا جاءت كلمة تابع Vassus بمعنى خادم أو ولد صغير . ووضح هذا النظام فى العصر الكارولنجى خلفاء الميروفنجيين ، حين احتاج بين البانى وئسارل مارل الى مزيد من القوة الحربية ولا سيما من الاتباع ومنحوا الضياع ، حتى يستطيع التابع تجهيز نفسه حربيا ولا سيما وان الفارس فى ذلك الزمن كان العامل الحاسم فى الحروب . ثم منح أولئك الاتباع أراضيههم لغيرهم فتكونت طبقة من اتباع الاتباع Subvassals . وخلال فترات الاضطراب التى اقترنت بالغزو الخارجى من جانب النورمان أو الصقالبة أو العرب أو المجرين بدت الحاجة ماسة دون صغار الملاك الى التماس الأمن . ولما تعارضت هذه الحاجة مع حرصهم على الإبقاء على منزلتهم الاجتماعية كرجال أحرار ، لم يكن أمامهم سوى حل واحد بسيط هو دخولهم ضمن طبقة المحاربين الممتازين التابعين لكبار السادة ، بمعنى آخر الجأوا أملاكهم الى أولئك السادة ثم استردوها منهم ثانيا كإقطاع وعرفت هذه العملية بالإنهاء .

Feudalisation .

(٦) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٥١ .

(٧) نفس المصدر ، ص ٥٢ كان أهمها التزام الفصل بالحضور على نفقته الخاصة الى مقر السيد الإقطاعى عندما يطلب اليه ذلك .

(٨) عاشور . أوربا العصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٥٥ .

(٩) وهنا يذكر روسيه

(Rousset : La Caractère de la Première Croisade, p. 195.

والدكتور محمد مصطفى زيادة عن كتاب الإقطاع والعصور الوسطى فى غرب أوربا لكلوبلاند وفينوجرادوف ص ٨٢ - ٨٣ أنه فى مؤتمر ناربون Narbonne المنعقد فى ٢٥ أغسطس سنة ١٠٥٤ م قرر أن المسيحى

الذى يقاتل مسيحيا آخر يهدر دم المسيح ، ثم ظهرت فكرة (هدنة الله Treve

de Dieu التى نادى بها البابا (اريان الثانى - II - Urbain) والتى

تقرر فيها أن تكون الايام الواقعة بين ليلة الجمعة وصباح الاثنين من كل أسبوع هدنة ، احتراما لما فيها من تذكيرات عذاب المسيح وبعثه وارتقائه الى السماء .

Rousset . Op. Cit., p. 195.

(١٠)

- (١١) Rousset : Op. Cit., p. 196.
- (١٢) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٦٠ .
- (١٣) Rousset : Ibid., p. 195.
- (١٤) العرينى : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ١٢١ ،
(Painter : Western Europe on the Eve of Crusades) . عن
- (١٥) العرينى : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ١٠٨ .
- Runciman : A History of The Crusades, V. I, p. 92.
- (١٦) Rousset : Op. Cit., p. 198.
- (١٧) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٠ .
- (١٨) Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 219. ،
- (١٩) العروسى : الحروب الصليبية فى الشرق والمغرب ، ص ١٦ .
- (٢٠) هنا يذكر روسيه Rousset : Op. Cit., p. 194. « ان الرعبة الشديدة لهؤلاء الصليبيين فى الذهاب الى فلسطين لم تكن لأهميتها الجغرافية أو الاستراتيجية ، بل لأنها المكان الأعلى الذى يناديهم منه الله » .
- (٢١) هنا يرى بعض المؤرخين أن الحج العادى المسلح فى القرن الحادى عشر كان أحد العوامل المهمة فى أصول الحرب الصليبية .
- Rousset : Op. Cit., p. 15.
- (٢٢) حسن حبشى : الحروب الصليبية الأولى ، ص ١٩ - ٢٠ فقد كانت الحروب الصليبية حادثا خرج من أعماق العصور الوسطى ليعلن عن بداية عصر
- الفن Rousset : Op. Cit., p. 16.
- (٢٣) أمير على : مختصر تاريخ العرب ، نقله للعربية عفيف البعلبكي ، ص ٢٨٢ .
- (٢٤) حسن حبشى ! الحروب الصليبية الأولى ، ص ٢١ . عن
- Migne : Nouv. Ency. Theol.
- « يقال أن أحد الحجاج استلقى على الصليب هاتفا : « أيها السيد المسيح يا من تفضلت بالنزول عن عرش جلالك الى الأرض لخلاص الجنس البشرى ، ويا من ارتفعت الى السماء على شكل آدمى أتوسل اليك بعظمتك القوية أن تقبض روحى فى نفس المكان الذى شهد صعودك » .
- عن
- (٢٥) حسن حبشى : الحروب الصليبية الأولى ، ص ٢١ .
- عن
- Setton & Baldwin : A Hist. of The Crusades, V. 1, p. 74.
(G. Schlumberger : L'Épopée Byzantine).

Setton & Baldwin : Op. Cit., V. 1, p. 76. (١٦)

(Bréhier : L'Eglise et L'Orient).

Setton & Baldwin : Ibid. V. 1, p. 77. (٢٧)

(Letter of Victor - II)

Runciman : A Hist. Of The Crusades, V. p, p. 49.

(٢٨) العرينى : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٩٨ .

Setton & Baldwin : Op. Cit., p. 160. (٢٩) هنا يذكر

« انه من الممكن أن يكون هناك بعض الحجاج الذين قاسوا في أورشلیم نفسها بسبب الفوضى في عهد اتسز ولكن يجب ألا ننسى السرقات التي تسبب فيها البدو الملحجاج قبل وصول التركمان ولم نعرف أى سرقات قام بها الأتراك » .

(٣٠) العرينى : ص ٩٩ عن :

(Runciman : The Pilgrimage to Palestine)

Setton & Baldwin, Ibid ... pp 78.

(٣١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٢١ . هناك أكثر من

مؤرخ أوربى مسيحي منصف ، قد قرروا في صراحة تامة أن السلاجقة لم يغيروا شيئاً من أوضاع المسيحيين في الشرق . وأن المسيحيين الذين خضعوا لحكم السلاجقة صاروا أسعد حالا من الذين عاشوا في قلب الامبراطورية البيزنطية ذاتها ، وأن ما اعتري المسيحيين في الشام وآسيا الصغرى من متاعب في ذلك العصر كان مرده الصراع بين السلاجقة والبيزنطيين عن :

(Thomson : Economic & Social History of The Middle Ages.

(٣٢) العروسى : الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ، ص ١٥ .

(٣٣) جوستاف لوبون : حضارة العرب ، تعريب عادل زعيتر ، ص ٢٢٢ .

(٣٤) العروسى : المصدر السابق ، ص ١٥ .

(٣٥) الباز العرينى : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ١٤٢ ،

جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ١٥٠ .

(٣٦) العرينى : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ١٤٢ .

(٣٧) العرينى : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ١٤٢ عن :

(Cahen : La Syrie du Nord)

(٣٨) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ١٥٠ ، عبد النعيم

حسنين : سلاجقة ايران والعراق ، ص ١٠٢ .

Rousset : La Caractère de la première Croisade, p. 15. (٣٩)

(٤٠) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ٥٦ . ولكن البابا أربان

الثاني لم يمتد به الأجل حتى يرى فكرته تتحقق ، فقد مات قبل أن يصل الى سمعه أخبار انتصار الصليبيين على المسلمين ودخولهم بيت المقدس .
Runciman : A Hist. Of The Crusades, V. 1, p. 288.

(٤١) العرينى : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج ١ . ص ١٤٥ ،
عن :

(Duncalf : The Councils Of Piacenza and Clermont).
(Fliche : La Reforme Grégorienne)

(٤٢) العرينى الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج ١ . ص ١٥٣ -
١٥٤ .

Setton & Baldwin : Op. Cit., V. I, p. 220

Setton & Baldwin : Op. Cit., p. 243. (٤٣)

Russet : Op. Cit., p. 198. , (٤٤)

(٤٥) جوزيف نسيم : العدوان الصليبي على مصر ، المقدمة .

(٤٦) وهنا يذكر روسيه Russet أن الصيحة المشهورة (ارادة الله)
يجب أن تفهم على أنها اكتشاف القادة لأنفسهم لفكرة الحروب الصليبية التي
كانت بداخلهم والتي صورت في صوت البابا

(Russet : Op. Cit., p. 198) ,

(٤٧) جوزيف نسيم العدوان الصليبي على مصر ، المقدمة

وهنا يذكر ستون وبلدوين : (Setton è Balwin : Op. Cit., p. 246).

أن البابا اربان قال انه على كل من قرر الذهاب في هذه الرحلة المقدسة
أن يقدم نفسه على أنه (قربان حى) وذلك بعد أن يؤدى القسم ثم يرتدى
(علامة صليب الاله) .

(٤٨) ابن ميسر : أخبار مصر ، ج ٢ . ص ٢٨ .

Runciman : A Hist. Of The Crusades, V. I, p. 215., (٤٩)

Gibb : The Damascus Chronicle Of The Crusades, p. 42.

(٥٠) ابن العديم - زبدة الحلب ، ج ٢ . ص ١٢١ ، ابن القلائس : ذيل تاريخ
دمشق ، ص ١٣٤ .

بفراس مدينة في لحف جبل اللكام على يمين القاصد الى أنطاكية من حلب
في البلاد المطلة على نواحي طرسوس (ياقوت : ج ٤ ، ص ٤٦٧) .

(٥١) مؤلف مجهول : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة حسن
حبشى ، ص ١٠١ وهنا يذكر ابن القلائس في الذيل ، ص ١٣٤ ، Gibb المصدر

السابق ، ص ٤٣ انهم قتلوا من أهلها حوالي خمسين رجلا . والبارة بليدة وكورة من نواحي حلب وبها حصن (ياقوت ، ج ٣ ، ص ٣٢٠) .

(٥٢) الحريري : الاعلام والتبيين ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٢٨٦ تاريخ تيمور ، ص ٢ ب .

(٥٣) ابن الشحنة الدر المنتخب في تاريخ حلب ، ص ٢١٤ .

(٥٤) الحريري . الاعلام والتبيين ، مخطوط ، ص ٣ (١) ، الذهبي :

دول الاسلام ، مخطوط ٧٧ (ب) ، ابن الوردي : تنمة المختصر ، ص ١٠ ، في حين ينفرد ابن الشحنة : روض المناظر ، مخطوط ، ص ١١٧ (ظ) بالقول بأن الحصار استمر سبعة أشهر .

(٥٥) لما تأخر وصول النجدة التي طلبها باغى سيان من امراء المسلمين ، اخذ في تدبير أمره وخاف من النصاري الذين بأنطاكية وأمر بحفر خندق خارجها ورتب للمسلمين يوما وللنصارى يوما ففي أول يوم أخرج المسلمين وحدهم فعملوا في الخندق ثم عادوا الى منازلهم . وفي اليوم الثاني أخرج النصاري وحدهم فعملوا في الخندق ولما أرادوا دخول البلد آخر اليوم منعهم وقال لهم : ان انطاكية لكم فهبوها لي حتى أنظر ما يكون منا ومن الفرنج فقالوا : من يحفظ أبناءنا ونساءنا ، فقال : أنا أخلفكم فيهم فسكتوا وأقاموا مع الفرنج وحفظ أولادهم . ثم علم بأن هناك نجدة من قبل السلطان بركيا رق مكونة من حوالي خمسة وعشرين الفا في طريقها اليه فطلب من الفرنج ايقاف الحرب مؤقتا . ولم يكن الفرنج يعلمون شيئا عن النجدة كما لم يكونوا يعلمون أن الأقوات قد قلت بداخل انطاكية ، فأجابوه الى ما طلب ، فأرسل ياغى سيان الى جهة البحر فحصل على ما يحتاج اليه من الأقوات . ثم طلب من الفرنج استئناف القتال قبل أن يصل اليه المدد (بيشوف الجرمانى : تحف الانباء ، ص ٤٩ ، الطباخ الحلبي ، اعلام النبلاء ، ص ٢٨٠) .

(٥٦) يسميه ابن الاثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٨٦ روزيه في حين يسميه

ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٤ فيروز .

(٥٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٥٥

Gibb : The Damascus Chronicle, p. 44. ...

ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٤ ، الحريري ، الاعلام والتبيين ،

مخطوط ، ص ١٢ .

(٥٨) ابن الاثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٨٦ .

(٥٩) المصدر السابق والصفحة ، ابن الشحنة الدر المنتخب ، ص ٢١٤ ،

الحريري : الاعلام والتبيين ص ٣ (١) .

(٦٠) ابن القلائس . نيل تاريخ دمشق . ص ١٢٥ .

(٦١) يذكر حسن حبشى فى ترجمته للجستا ، ص ٩٥ - ٩٦ ، انه « بعد دخول بوهيموند أنطاكية عقد اتفاقية مع أحمد بن مروان القائد القائم بحراسة قلعتها اذن بمقتضاها للكفرة الذين يريدون اعتناق المسيحية بالاقامة معه ، بينما اذن لمن انصرف عنها . منهم بالرجوع سالمين آمنين دون أن يمسه ضر أو اذى » .

(٦٢) نقل الينا نص الكتاب حسن حبشى عن صاحب الجستا . ص ٩٠ ، ٩١ « لقد عجب زعمائنا وسادتنا كل العجب من أن يدفعكم التهور والحمق الى اقتحام أرض النصارى . . وان زعماءنا جميعا يسألونكم الارتداد عن أرض الرب والمسيحيين . . وان زعماءنا ليأذنوا لكم بأخذ كل مالكم من خيول والبغال . . وجميع ما تملكون كما يأذنون لكم بنقل ذلك كله معكم حيث شئتم » .

(٦٣) نقل المصدر السابق أيضا نص رد كريوغا . ص ٩١ « عودوا على جناح السرعة الى سادتكم وقولوا لهم انهم اذا كانوا يريدون أن يشتركوا وينبذوا ربكم الذى تسجدون له ويهجروا شرائعكم التى أنتم عليها الآن فاننا نعطيهم هذه الأرض وما هو أكثر منها . . وستوثق بيننا وبينكم صداقة مكينة وان لم يفعلوا ذلك فعليهم أن يدركوا أنهم سوف يلاقون الموت أو نقودهم مكبلين بالأصفاد الى خراسان يبقون فى أسرنا الى الأبد ، ونستعبدهم نحن وأبنائنا على مر العصور » .

(٦٤) بيشوف الجرمانى : ص ٥٠ - ٥١ ، الطباخ الحلبى . ص ٢٨٤ .

(٦٥) ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٦ .

Runciman : A Hist. Of The Crusades, V. I, p. 260.

(٦٦) وهنا يذكر G 166 انه رغم وعد الفرنج لاهالى المعرة بالامان فانهم نهبوا كل ما وصلت اليه ايديهم وفرضوا على الاهالى أموالا طائلة كانوا غير قادرين على دفعها .

(Gibb : The Damascus Chronicle, p. 47).

(٦٧) ابن الأثير . الكامل ، ج ٨ ، ص ١٨٧ - ١٨٨ ، أبو الفدا : المختصر ، ج ٢ ، ص ٢١١ . ابن الوردي : تنمة المختصر ، ج ٢ ، ص ١٠ - ١١ ويذكر رنسيما ج ١ ، ص ٢٦٧ . أن أمير شيزر عرض عليهم أن يمدهم بالمرشدين والمؤن الرخيصة على الا يتعرضوا لبلاده .

Runciman : Op. Cit., p. 269. (٦٨)

Runciman : Ibid , p. 270. (٦٩)

(٧٠) ابن ميسر : أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٢٩ .

Runciman : A Hist. Of The Crucades, V. 1, p. 277. (٧١)

(٧٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٨٩ ، أبو الفدا . المختصر ،
ج ٢ ، ص ٢١١ ، ابن الوردي : تنمة المختصر ، ج ٢ ، ص ١١ .

(٧٣) ابن ميسر : أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٣٩ ، ابن القلائس :
ص ١٣٦ .

(٧٤) ابن أبيك : كنز الدرر ، ج ٦ ، الدرة المضية ، ص ٤٥١ .

(٧٥) يذكر رنسيمان أنه باقترب الصليبيين من بيت المقدس اتخذ افتخار
الدولة احتياطاته اللازمة للدفاع وأخرج جميع أنصارى - سواء الأرثوذكس
أو الهراطقة من البلد حتى لا يكونوا ساعدا للصليبيين بالداخل .
(Runciman : Op. Cit., p. 280.)

(٧٦) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ٢٦١ .
(Runciman : Ibid., p. 281).

(Runciman : Ibid., p. 283. (٧٧)

(٧٨) سيد علي الحريري : الأخبار السنية ، ص ٢٧ .
(Runciman : Ibid., p. 282).

(٧٩) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٤٨ - ١٤٩ ، الحريري :
الأعلام والتبيين مخطوطاً ، ص ١٤ « قيل أنهم أخذوا من الصخرة أكثر من أربعين
قنديلا من الفضة وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمئة درهم ، وأخذوا تنورا من فضة
وزنه أربعون رطلا بالشام وأخذوا من الأموال ما لا يحصى .

وهنا يذكر مذبح القدس مجموعة من المؤرخين المسلمين والمسيحيين منهم
أمير علي ومكسيموس وزوند وجوستاف لوبون فيقولون : « كان المسلمون يذبحون
في الشوارع وفي البيوت ، ولم يجدوا في المدينة مكانا آمينا يعتصمون فيه ،
فكان بعضهم يلقي بنفسه من فوق الأسوار وكان الآخرون يزدحمون في القصور
والأبراج ، وفي المساجد وخاصة مسجد عمر ، ظنا منهم أنهم هناك يحتمون من الموت
ولكن ظنهم قد خاب إذ دخل الصليبيون خيالة ومشاة الجامع المذكور وأبادوا بجد
العبيد كل الموجودين هناك حتى ارتفع الدم إلى الركب بل إلى حدم لجم الخيل
ولم يكن يسمع في تلك الساعة غير أنين الجرحى وحشرجات الموتى ، وكذلك
وطيء الغزاة بخيولهم أكواما من الجثث وهم يطاردون أولئك الذين حاولوا
الهرب عبثا . « أما صاحب الجستا فيذكر أن « جثث القتلى تعالت حتى
حانت البيوت ارتفاعا ، »

Ameer Ali : A Short Hist , p. 327.

مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة في المشرق ، عريه كيربو كيربو
مكسيموس ، م ١ ، ص ١٧١ ، جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، تعريب : عادل زعيتر ، ص ٢٢٧ ، حسن حبشي عن صاحب الجستا في كتاب : أعمال
الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ص ١١٩ .

(٨٠) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٤٨ ، الحريري : الاعلام
والتبيين ، ص ٤ (١) ابن ميسر : أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٢٩ في حين
ينفرد ابن المقفع : تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية م ٢ ، ج ٢ ، ص ٢٤٩
بالقول بأن ذلك تم في رمضان سنة ٤٩٢ هـ . وللراجح أن هذا الرأي غير صحيح
استنادا الى رأى غالبية المؤرخين .

(٨١) مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة في المشرق ، م ١ ،
ص ١٧٥ ، جوستاف لوبون . حضارة العرب ، ص ٢٢٧ ، سيد علي الحريري
الأخبار السنوية ، ص ٢٩ ، ويفسر ابن المقفع تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية ،
م ٢ ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ (خوارج النصاري) بقوله انهم النصاري . اليحاقبة
الذين أصبحوا غير قادرين على أداء فريضة الحج في القدس ولا حتى الدنو منها
بسبب بغض اللاتين لهم وتكفيرهم .

(٨٢) يذكر رنسيما : « ان افتخار الدولة ورجاله ، عندما رأوا عدم جدوى
الدفاع ، فروا خارج البلد وانضموا الى الحامية الموجودة في عسقلان . فكانوا
المسلمين الوحيديين في اورشليم الذين ظلوا على قيد الحياة ،

(٨٣) Runciman : Op. cit., VI, p. 286.

Arheer Ahi : A Short Hist w, p. 327-328.

(٨٤) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ٢٦٢ .

(٨٥) مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة في المشرق ، م ١ ،
ص ١٧٥ .

(٨٦) جوستاف لوبون : حضارة العرب ، تعريب عادل زعيتر ، ص ٢٢٨ .

(٨٧) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٢٩٢ .

Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 7.

(٨٨) ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٩٤ ، سبط بن الجوزي : مرآة
الزمان ، ج ١٢ م ٢ ، مخطوط ص ٢٤٢ (١) ؛

C. Cahen : La Chronique Abrégée D'al Azimi, p. 374.

(٨٩) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٦٧ ، اليافعي : مرآة

الجنان ، ج ٣ ، ص ١٥٦ ، سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ١٢ ، م ٣ ، ص ٢٤٣ (١) .

(٩٠) اليافعي : مرآة الجنان ج ٣ ، ص ١٥٦ ، الحريري : الاعلام والتبيين ، مخطوط ، ص ١٥ .

(٩١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٦٧ .

(٩٢) ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٩٤ ، اليافعي : مرآة الجنان ، ج ٣ ، ص ١٥٦ .

(٩٣) ابن الاثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٠٤ ، الذهبي : دول الاسلام ، مخطوط ، ص ١٧٩ .

(٩٤) الحريري : الاعلام والتبيين ، ص ٥ (١) .

(٩٥) ابن الاثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢١١ .

(٩٦) الحريري : الاعلام والتبيين ، ص ٥ (١) ، الذهبي : دول الاسلام ، مخطوط ، ص ٧٩ ب .

(٩٧) الحريري : ص ٦ (١) .

(٩٨) نفس المصدر والصفحة .

(٩٩) ككرلاتا : في سلع جبل عامل ، من نواحي حلب ، وأهلها اسماعيلية (ياقوت : ج ١٦ ، ص ٤٧٠) .

(١٠٠) ابن الضحنة : الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، ص ٢١٧ .

(١٠١) ابن الاثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٢١ ، ابن القلائس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٤٢ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ق ١ ، ج ٨ ، ص ٩ .

(١٠٢) ابن القلائس : ص ١٤٣ ، سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ق ١ ، ج ٨ ، ص ٩ .

(١٠٣) سيد علي الحريري : الاخبار السنية ، ص ٤٩ .

(١٠٤) ابن الاثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٢١ .

(١٠٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٨٨ ، سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ق ١ ، ج ٨ ، ص ٩٠ . حين ينكر سيد علي الحريري : الاخبار السنية ، ص ٤٩ ، أن بوهوين وافق على تسليم المدينة اليه بعد خروج المسلمين

بأمتعتهم منها وأعطاهم لذلك أماناً ، فرموا له مفاتيح المدينة من فوق السور ، لكن الجنوبيين لما رأوا غنى أهل المدينة هجموا على أهل البلد يسلبون ويقتلون وأخذ بودوين يتوسل إلى الجنوبيين ليمتنعوا عن الفتك بأهل المدينة فما أمكنه : « ويتفق معه في هذا الرأي (إعطاء الأمان ونقده) ابن أيك كنز الدرر ، ج ٦ ص ٤٦٢ »

(١٠٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٢١ ، ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٩٥ .

(١٠٧) المقرئ : الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٩١ .

(١٠٨) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٨٨ وهنا ينفرد العيني : عقد الجمان ، ج ١٥ م ٢ ، ص ٥٨٥ بالقول بأن ذلك حدث سنة ٤٩٨ هـ والراجح أن ذلك غير صحيح .

(١٠٩) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٢١٧ ، ابن الوردي : تنمة المختصر ، ج ٢ ، ص ١٥ .

(١١٠) C. Cahen : La Chronique Abrégée D'al Azimi, p. 377.

(١١١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٢٨ .

(١١٢) نفس المصدر ، ص ٢٢٢ ، ابن الشحنة الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، ص ٢١٧ .

(١١٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٢٤ ، أبو الفدا : المختصر ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ ويذكر ابن الأثير أن أحد أولاد ابن ملاعب كان بدمشق عند طغتكين غضبان على أبيه فولاه طغتكين حصناً وضمين على نفسه حفظ الطريق ، فلم يفعل وقطع الطريق ، فاستغاث الناس بطغتكين فأرسل إليه من طلبه فهرب إلى الفرنج واستدعاهم إلى حصن القامية وقال : ليس فيه غير قوت شهر فأقاموا عليه يحاصرونه فجاء أهله وملكه الفرنج .

(١١٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٢٥ ، ابن الوردي : تنمة المختصر ، ج ٢ ، ص ١٧ . في حين يذكر سبط بن الجوزي : مراة الزمان ، ق ١ ، ج ٨ ، ص ٩ ، الذهبي : دول الاسلام ، مخطوط ، ص ٨٠ أن ذلك حدث سنة ٤٩٧ هـ والراجح هو الرأي الأول .

Gibb : The Damascus Chronicle Of The Crusades, (١١٥) p. 14.

(١١٦) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ٧٥ . وهنا يذكر عمر كمال : مقدمات العدوان الصليبي على الشرق العربي ، ص ١٧٣ د أن الحملات التي قام بها البيزنطيون على الشرق الأدنى الاسلامي ، ونجاحهم في اقامة منطقة نفوذ لهم في الجزء الشمالي من الشام ، قد امدهم بذريعة قوية تذرعوها بها للتدخل في شئون الصليبيين واماراتهم اللاتينية التي بدأوا في اقامتها منذ أواخر القرن الحادي عشر الميلادي . فلقد تمسك الأباطرة البيزنطيون بما اعتبروه حقا لهم في حكم الأراضي المسيحية المقدسة وخاصة انطاكية التي كانت خاضعة لهم الى عهد قريب .

(١١٧) عمر كمال : تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٤٦ .

(١١٨) Runciman : A Hist. Of The Crusades, V: 1, pp. 157 & 163.

(١١٩) عمر كمال : تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٤٦ .

(١٢٠) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٨٦ د وهو يذكر هنا أنه كان يقصد أن يحثهم على الخروج الى بلاد الاسلام ظنا منه أن الأتراك لا يبقون منهم أحدا .

(١٢١) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ٢٢٢ .

(١٢٢) Runciman : Op. Cit., V. 1, pp. 150, 177 & 181.

(١٢٣) حسن حبشي : الحروب الصليبية الاولى . ص ٣٩ . عمر كمال .

تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٤٦ .

Gibb : The Damascus Chronicle, p. 43.

(١٢٤) عمر كمال : تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٢٨ - ١٢٩ ،

والفسوس بلدة بشفور طرموس يقال انه بلد اصحاب الكهف (ياقوت : ج ٢ ، ص ٢٢١) .

(١٢٥) Runciman : Op. Cit., V. I.; p. 227.

(١٢٦) سعيد عاشور : قبرس والحروب الصليبية ، ص ٢١ . والامارات

في انطاكية والرها وطرابلس وبيت المقدس .

(١٢٧) عمر كمال . تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٤٧ .

Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 272.

وهو يذكر ، انه بعد استيلاء الصليبيين على طرموسة ارسل اليهم الامبراطور البيزنطي بأن ينتظروه ، وأنه سوف يقودهم الى فلسطين . وقد اراد رايموند

أن يقبل ذلك العرض وفقا لليمين الذي حلفوه للامبراطور . ولكن كان هناك بعض
الأمراء مثل بوهيموند ، كانوا يكرهون البيزنطيين ثم أنه لم يكن يوجد أحد من
الأمراء الآخرين يرغب في وضع نفسه تحت سلطة الامبراطورية البيزنطية .
كما أنهم جميعا كانوا متعجلين الذهاب لأورشليم » . أما حسن حبشى في ترجمة
الجستا العربية ص ٩٨ فيذكر : « أن الصليبيين أرسلوا رسولا الى الامبراطور
بعد فتح انطاكية كي يحضر لتسلم المدينة وينفذ الاتفاقات التي أبرمها معهم والتي
منها حضوره كي يتوجه معهم الى بيت المقدس ، ولكن الرسول لم يعد بأى رد
اطلاقا » .

(١٢٨) عمر كمال : مقدمات العدوان الصليبي . ص ١٧٣ .

(١٢٩) سعيد عاشور : قبرص والحروب الصليبية . ص ١٩ .

(١٣٠) سعيد عاشور : قبرص والحروب الصليبية . ص ٢٢ .

(١٣١) العرينى : الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ص ٢٢٩ .

Runciman : Op. Cit., V.I., p. 222.

(١٣٢) مؤلف مجهول . أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة حبشى

ص ٥٦ - ٥٧ .

(١٣٣) سعيد عاشور : قبرص والحروب الصليبية ، ص ٢٣ - ٢٤ .

(١٣٤) ابن القلانص : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٤ ، ابن العديم : زبدة

الحلب ، ج ٢ ، ١٣١ .

ويذكر ابن العديم أن سبب ذلك هو استبداد باغى سبان حاكم انطاكية في

معاملتهم .

Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 215.

(١٣٥)

(١٣٦) ابن الاثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٨٦ . وهنا يذكر رنسيما : « أنه

باقترب المسيحيين من انطاكية حبس ياغى سيان البطريرك رئيس أهم منظمة

مسيحية في البلد وطرد عددا كبيرا من رؤساء النصارى من البلد وفر الباقون .

وسواء أخرج النصارى من انطاكية بالشدة أو بالاتفاق معهم على أساس العودة

بعد ذلك فقد كان وجودهم خارج البلد فرصة للصليبيين كي يستميلوا العديد منهم

الى جانبهم » .

Runciman : Op. Cit., V. I, pp. 214 & 280.

(١٣٧) العرينى : الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٢٢٧ .

Runciman : Ibid., V. 1, p. 218.

Runciman : Ibid., VI., pp. 221-229.

(١٣٨)

(١٣٩) حسن حبشي عن الجستا ، ص ٦٢ .

(١٤٠) ابن الشحنة : الدر المختضب في تاريخ مملكة حلب ، ص ٢١٦ .

(١٤١) Runciman : Op. Cit., V.I., p. 283.

(١٤٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٨٦ .

(١٤٣) ابن المقفع : تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية ، م ٢ ج ٢ ، ص ٢٤٩ .

(١٤٤) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ٢٣٥ .

(١٤٥) كان الارمن يكونون اقلية بين سكان المدن الشمالية في بلاد

الشام .

(Gibb : The Damascus Chronicle, p. 29).

(١٤٦) Runciman : Op., Cit., V. 1, pp. 221-229.

(١٤٧) وفي ص ٥٠ يذكر صاحب الجستا ترجمة حسن حبشي « أن الارمن والسرمان الذين كانوا داخل انطاكية كانوا يغادرونها متظاهرين بالفرار ، وكانت عادتهم أن يتقصوا حالنا وخبر موقفنا ثم يحملون كل شيء الى أولئك المحاصرين بالمدينة » . وفي ص ٥٤ - ٥٥ يذكر « أنه أثناء المجاعة التي لحقت الصليبيين حول انطاكية عمل الارمن والسرمان على التجول في الجبال يشترون الحنطة والاطعمة ويبيعونها للصليبيين بأثمان باهظة ، فمات الكثير من الصليبيين الذين عجزوا عن دفع هذه الأثمان المرتفعة .

ثم ينقل لنا ص ٦٢ « أنهم استجابوا - طوعا أو كرها - لأوامر الترك وأخذوا يرمون الصليبيين بالنبال وذلك يوم ٦ مارس ١٠٩٨ م » .

وفي ص ٦٥ يذكر أنه قد « أقبل الى انطاكية أثناء حصارها يوم ٥ أبريل ١٠٩٨ م فريق كبير من الارمن والسرمان المقيمين في الجبال حاملين الذخيرة للترك والاقوات لتموين المدينة فهب تنكريد لصددهم واسرهم واستولى على جميع ما معهم من المؤنة والقمح والنبيد والشعير والزيت وغيرها » . وفي ص ٩٥ يذكر أنه « لما استطار نبالا ظهور الصليبيين على الاتراك في انطاكية سمع الارمن والسرمان المقيمون في المنطقة وجروا نحو الجبل ليسدوا عليهم الطريق وفتكوا بكل من استطاعوا القبض عليه منهم » .

(١٤٨) Runciman : Op. Cit., V. I, p. 214.

(١٤٩) أما جب فينكر أن فيروز تحالف

Runciman : Ibid., V. I, p. 231.

مع الصليبيين لأن يافى سيان قد أساء معاملته وصادره من ممتلكاته
(Gibb : The Damascus Chronicle, p. 44).

(١٥٠) ابن القلائس : ص ١٢٥ ، العرينى : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٢٤٥ - ٢٤٦ وهنا يذكر لنا حسن حبشى عن الجستا ص ٦٦ د انه نوتقت عرى الصداقة بين بوهيموند و فيروز . ووعده بوهيمونى بالترحيب به ان هو اعتنق النصرانية وراح يغريه بالشرف العظيم والثورة الواغرة ، فوثق فيروز بتلك الأقوال وهاتيك العهود وقال د اننى اقوم بحراسة ثلاثة أبراج . واننى اعدده بها عن طيب خاطر ، وسأسلمه اياها يوم يتشاء وسأرحب به فيها .

(١٥١) ولو أن رنسيمان يعود فيذكر انه أخذ هذه الحادثة عن ولیم الصورى الذى ملئت كتاباته بالتفاصيل البعيدة عن الحقيقة .

Runciman : Op. Cit., V. I, p. 233.

(١٥٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٨٦ .

(Runciman : Ibid., V. I, p. 235). (١٥٢)

(١٥٤) ابن الشحنة : الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب ، ص ٢١٦ :

Runciman : Op. Cit., V. I, p. 234. (١٥٥)

(١٥٦) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ١٤١ ، ١٤٢ .

وقد قرأنا لروسيه رأيا لا نستطيع أن نحدد فى الواقع مدى صحته وهو أن الحروب الصليبية كانت حربا عجيبة لأنها وضعت جانسا بين اسرائيل والصليبيين وأن الاثنين شعوب مختارة .

(١٥٧)

(Rousset : La Caract&re de la Promi&re Croisade, p. 93).

Runciman : Op. Cit., V. I, p. 280.

Runciman : Ibid., V. I, p. 287, Gibb : Op. Cit., p. 48. (١٥٨)

مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة فى الشرق ، م ١ ، ص ١٧٥ ،

غستاف لوبون : حضارة العرب ، تعريب عادل زعيتر ، ص ٢٢٧ ، ابن العميد :

تاريخ المسلمين ، ص ٢٩٣ .

(١٥٩) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٢٧٦ .

(١٦٠) عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ١٤٢ .

(١٦١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٨٧ .

Runciman : Op. Cit., V. I, p. 220. (١٦٢)

(١٦٣) العرينى : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٢٢٣ .

Runciman : Ibid., V. I, p. 215.

(١٦٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٨٧ .

Runciman : Ibid., V. I, p. 241.

(١٦٥) العرينى : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٢٥٢ (عن :
Crousset : Hist. des Croisades)

(١٦٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٨٧ .

(١٦٧) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٨٨ ،

Runciman : Op. Cit., V., p. 267.

وهنا يذكر حسن حبشى نقلا عن الجستا ، ص ١٠٧ « أن أمير شيزر أرسل
الى الكونت رايموند - وهو بالمعرة وكفر طاب - رسلا من قبله يعلنون اليه رغبة
مولاهم فى موادعته وأنه يقبل أن يشاطره الكونت بعض ما يملك ، وأنه عامل
جهده على راحة الحجاج ويقسم له على ذلك بدينه كما أنه يتعهد له بالأنايا ينالهم أى
أذى داخل حدود أرضه » .

Runciman : Ibid., V. 1, p. 269. (١٦٨)

(١٦٩) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٨٨ ، حسن حبشى : الحرب

الصليبية الأولى ، ص ٥١ : كما يذكر فى ترجمته للجستا ، ص ١٠٩ « أن أمير
حمص قد أنفذ الى الكونت رايموند بعض الرسل ومعهم الجياد والمال وعقدت
معاهدة اتفق فيها على ألا يمس الأمير النصارى بأذى بل تعهد باحترامهم
والمحافظة عليهم » .

(١٧٠) أبو الفدا : المختصر ، ج ٢ ، ص ٢١٦ . ابن الوردي : تكملة المختصر ،

Gibb : Op. Cit., p. 57. ج ٢ ، ص ١٤ .

(١٧١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢١١ ، أبو الفدا : المختصر ، ج ٢ ،

ص ٢١٦ ، ابن الوردي : تكملة المختصر ، ج ٢ ، ص ١٤ . كما يذكر رانسيما
أن الأمير أمدى ببعض المرشدين ، قادوهم خلال الطرق الخطرة الموجودة فى
بلادهم .

Runciman : Op. Cit., V. I, p. 275. ،

كذلك يذكر حسن حبشى عن الجستا ، ص ١٠٩ « أن الأمير أرسل من قبله رسالة
الى الكونت رايموند يسأله المواعدة والاتفاق والارتباط معه برباط المودة اذا أحب
وانفذ اليه عشرة جياد وأربعة بغال وبعض المال غير أن الكونت صرح بأنه لا يقبل
مسألة أمير طرابلس الا اذا اعتنق النصرانية » .

(١٧٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٧٩ .

وهنا يعلق حسن حبشى أيضا عن الجستا ، ص ١١٢ « أن أمير طرابلس
قدم للصليبيين ثلاثمائة حاج كانوا فى أسرهم وأعطاهم خمس عشرة قطعة ذهبية
وخمس عشرة هدية غالية القيمة ، وأمدىهم بلخيرة كبيرة من الجياد والحمير

وشتى أنواع المحاصيل واتفق مع زعمائهم على أن يتنصر ويتسلم أرضه منهم إذا هم استطاعوا الظهور على خليفة مصر فى الحرب التى أعدها لهم وإذا تمكنوا من امتلاك بيت المقدس ، .

- (١٧٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٢٦٢ - ٢٦٤ .
(١٧٤) Runciman : Op. Cit., V. I, p. 276. ,
(١٧٥) سيد على الحريرى : الأخبار السنية فى الحروب الصليبية ، ص ٢٥ .
(١٧٦) Crusset : Hist. des Croisades, V. I, pp. 157-158. Gullaune (De Tyre).
(١٧٧) Runciman : Op. Cit., V. 1. pp. 281-282.
(١٧٨) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٩٩ .
(١٧٩) Gibb : The Damascus Chronicle, pp. 52-53.
(١٨٠) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٩٩ .
(١٨١) كان من النتائج الخطيرة التى ترتبت على مقتل سليمان بن قتلمش انه لم يخلف سوى طفل صغير هو قلعج أرسلان دواود ، لذلك عندما قدمت الحملة الصليبية الأولى الى الأناضول وجدت طريقها سهلاً ممهداً لخلو البلاد من حاكم قوى .
(١٨٢) تاريخ أبو الهيثم ميكروفيلم رقم ٩٤٥ تاريخ ، حوادث سنة ٤٨٩ هـ .
(١٨٣) الحريرى : الاعلام والتبيين ، مخطوط ، ص ٢ (ب) .
(١٨٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٨٦ .
(١٨٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٣٦ ، العرينى : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ج ١ ، ص ٢٥٢ .
(١٨٦) Gibb : The Damascus Chronicle, p. 26, Setton & Baldwin : A Hist. Of The Croisades, V. 1. p. 160.
(١٨٧) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٩٥ ويسميه ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٥٨ ستكين ابن انشمنند أمين الدولة ووالق الأمينى بدمشق وبصرى .
(١٨٨) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٠٤ الذهبى : دول الاسلام ، مخطوط ، ص ٧٩ (١) .
(١٨٩) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٦٥ .

(١٩٠) وهو ركن الدولة السلجوقي . ابن كثير . البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٦٤ .

(١٩١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٦١ .

(١٩٢) كان ذلك يوم الجمعة سابع عشر ذي الحجة . ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٩١ .

(١٩٣ ، ١٩٤) وذلك يوم الجمعة منتصف صفر . ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٩٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٥٨ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٩٥ .

(١٩٥ ، ١٩٦) يوم الجمعة رابع عشر رجب . ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٩٤ .

(١٩٧ ، ١٩٨) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٩٤ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٩٧ .

(١٩٩ ، ٢٠٠) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٦٢ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٠٥ - ٢٠٧ .

(٢٠١ ، ٢٠٢) ابن كثير ، ج ١٢ ، ص ١٦٢ - ١٦٣ ، ابن الأثير : ج ٨ ، ص ٢١٦ - ٢١٧ ، أبو المحاسن : ج ٥ ، ص ١٨٦ .

(٢٠٣ ، ٢٠٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٢٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٦٣ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٧ .

(٢٠٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٥٧ .

(٢٠٦) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٤ - ١٩٥ .

(٢٠٧) Runciman : Op. Cit., V. I., p. 271.

(٢٠٨) ينكر العيني : عقد الجمان ، ج ١٥ ، م ٢ ، ص ٥٠٧ ، عن تاريخ بيبرس ، أن هؤلاء الفقهاء هم « أبو محمد الدمغاني وأبو بكر الشاش وأبو القاسم الزنجاني وأبو الوفاء بن عقيل » .

(٢٠٩) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٥٦ ، أبو المعاسن :
النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٥٠ - ١٥٢ وهو يذكر بعض ما قيل من شعر
بهذه المناسبة :

أهل الكفر بالاسلام ضيما	يطول عليه للدين النحيب
وكم من مسلم أسمى سلبيا	ومسلعة لها حرم سلب
وكم من مسجد جعلوه ديرا	على محرابه نصب الصليب
أتسبى المسلمين بكل نخر	وعيش المسلمين اذا يطيب

(٢١٠) جوستاف لوبون . حضارة العرب ، تعريب عادل زعيتر . ص ٣٢٧ .

(٢١١) عبد الحميد العبادي : المجلد في تاريخ الأندلس ، ص ١٧٠

(٢١٢) عبد الحميد : المجلد في تاريخ الأندلس ، ص ١٧١ .

(٢١٣) عبد الحميد العبادي : المجلد في تاريخ الأندلس ، ص ١٧٦ .

(٢١٤) نفس المصدر : ص ١٧٧ .

(٢١٥) نفس المصدر : ص ١٧٨ - ١٧٩ .

(٢١٦) Rousset : La Caract&re De La Promi&re Croisade, p. 31.

وهو يذكر ص ٣٢ انه كانت هناك حروب صليبية في اسبانيا سبقت الحروب
الصليبية في الشرق ثم عاصرتها . كانت أولى تلك الحملات التي أرسلتها فرنسا
الى اسبانيا في سنة ١٠٦٢ م ثم تلتها حملة أخرى سنة ١٠٧٢ وكان للبابوية دور
كبير في تعضيد تلك الحملات .

(٢١٧) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ١٧٤ .

(٢١٨) يوسف اشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة
محمد عبد الله عنان ، الكتاب الاول ، ص ١٢٤ ، العروسي : الحروب الصليبية
في المشرق والمغرب ، ص ١٤٠ .

وهنا يذكر ان الكثيرين من الفرسان من مختلف دول أوروبا قد هرعوا الى
الأندلس ليساعدوا في الحروب الصليبية ، هي أقرب سبيلا وأيسر مشقة وعناء .

(٢١٩)

Russet : Op. Cit., p. 35.

(٢٢٠) يوسف اشباح : تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة محمد عبد الله عنان ، الكتاب الاول ، ص ١٢٩ .

(٢٢١) حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٧١ . وهنا يذكر أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ، ص ١٦ ، « انه في هذه الشدة العظمى باع الخليفة المستنصر جميع موجوده وجميع ما كان في قصره حتى أخرج ثيابا كانت في القصر من زمن الطائع الخليفة العباسي ، وكانت هذه الثياب التي لخلفاء بني العباس عند خلفاء مصر يحتفظون بها ليقضهم لبني العباس ، فكانت هذه الثياب عندهم بمصر بسبب المعيرة لبني العباس . فلما ضاق الأمر على المستنصر أخرجها وباعها بأبخس ثمن لشدة الحاجة » .

(٢٢٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٧٤ في حين يذكر حسن ابراهيم انه كان يموت كل يوم عشرة آلاف نفس .

(٢٢٣) حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٧١ .

(٢٢٤) حسن ابراهيم : ص ١٧٢ . وقد انتقم الأفضل من نزار بأن وضعه بين حائطين وبني عليه لمات كما قتل افتكين .

(٢٢٥) جمال سرور : مصر في عصر الدولة الفاطمية ، ص ٩٣ .

(٢٢٦) حسن حبشي : الحرب الصليبية الاولى ، ص ٥٦ .

O'Leary : A Short Hist., p. 216,

(٢٢٧) ابن الاثير . الكامل ، ج ٨ ، ص ١٨٦ فهو يذكر « أن أصحاب مصر من العلويين لما رأوا قوة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلائها على بلاد الشام إلى غزة ولم يبق بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم دخول الاقسيس إلى مصر وحصرها فخافوا وأرسلوا إلى الفرنج يدعونهم إلى الخروج إلى بلاد الشام ليملكوها » .

كما يذكر أوليري : « أنه عندما وصلت أخبار وصول الصليبيين إلى مصر استعد الأفضل للقائهم كمساعدين له ضد الأتراك » .

O'Leary : A Short Hist., p. 216,

- (٢٢٨) العرينى : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٢٤٢
- ٢٤٣ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ١٩٨ .
- (٢٢٩) حسن حبشى : الحروب الصليبية الاولى ، ص ٥٢ . عن
- Grousset : Hist. des Croisades V. 1, pp. 83 - 147.
- (٢٣٠) العرينى : ص ٢٤٣ ، عاشور . ص ١٩٧ .
- (Gullaume De Tyre)
- Setton & Baldwin : Op. Cit., p. 95 & S. Lane Poole : (٢٣١)
- A Hist. Og Egypt, V. 1. p. 164.
- Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 147. (٢٣٢)
- Grousset : Ibid, V. I, p. 147. (٢٣٣)
- (٢٣٤) حسن حبشى : الحرب الصليبية الاولى ، ص ٥٤ .
- Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 148 & Runciman : Op. (٢٣٥)
- Cit., V. I, p. 267:
- (٢٣٦) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ١٩٨ - ١٩٩ .
- Gibb : Op. Cit., p. 45.
- S. Lane Poole : A Hist if Egypt, V. 1, p. 164. (٢٣٧)
- Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 265.
- (٢٣٨) حسن حبشى : الحرب الصليبية الاولى ، ص ٥٢ - ٥٤ ، عن :
- (Guillaume De Tyre)
- Grousset : Hist. des Croisades, V. I, p. 149.
- (٢٣٩) عن
- Grousset : Hist. des Croisades, V.1 , p. 149. (Guillaume)
- Gibb ; The Damascus Chornicle, p. 48.
- (٢٤٠) العروسى : الحروب الصليبية فى الشرق والمغرب . ص ١٨
- (٢٤١) مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة فى الشرق ، م ١ ،
- ص ١٨١ :

- (٢٤٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٢٥٥ .
- (٢٤٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٤٩ ، الحريري
الأعلام والتبيين ، مخطوط ، ج ٤ ب .
- (٢٤٤) O'Leary : A Short Hist ..., p. 216.
- (٢٤٥) ابن القلائس : النيل ، ص ١٢٧ ، ابن ميسر : أخبار مصر ، ج ٢ ،
ص ٣٩ .
- (٢٤٦) نقل لنا حسن حبشي عن الجستا ، ص ١٢٣ - ١٢٤ ، ان الأفضل اخذ
بيكى ويقول : يا ارواح الأرياب ان العين لم تبصر مثل ما جرى ولا سمعت الاذن
بمثل ما حدث . آيتها الأرواح يا من لا تعادلك قوة ، ولا يماثلك بأس ،
ولا تضاهيك فروسية قط ، يا من لم تهزم ابدا أمام أية أمة ولكنك غلبت على
أمرك على يد هذه البقعة المسيحية الصغيرة ، ما أبلغ الحزن وما أشد الأسى .
ماذا أقول أترانى أهزم على أيدي شعب منبوذ جبان ، وجماعة من الصعاليك
لا يملكون من الدنيا سوى المزود والعصاه . هؤلاء هم الذين تتبعوا الشعب
المصري الذي طالما يزع عليهم الصلبيات حين كانوا يجويون بلادنا ملتمسين
الاحسان . لقد جمعت هنا مائتي ألف فارس ولكني رأيتهم يثنون أعنة جيادهم
ويوجهونها شطر مصر هربا ؟ وانطلقوا لا يلوون على الوقوف أمام أمة الفرنجة .
واننى لأقسم بمحمد وببقوة جميع أريابنا اننى لن أقود أية جماعة من الفرسان
بعد الآن ما دمت قد ظهرت على يد مثل هذا الشعب الأجنبي . لقد أحضرت
جميع أنواع السلاح والآلات لمحاصرة الفرنجة في بيت المقدس ، لكنهم هم الذين
هاجموني وتعقبوني مدة يومين . وأسفاه . ماذا أقول أكثر من ذلك ؟ لقد ضاعت
هيبتى الى الأبد في مصر .
- (٢٤٧) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ١٢ م ٣ مخطوط ، ص ٢٣٥ (١)
Grousset : Op. Clt., V. 1, p. 174.
- (٢٤٨) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٩٠ . ابن ميسر : أخبار مصر ،
ج ٢ ، ص ٣٩ : قيل ان بعض أفراد الجيش الفاطمي حاول الاحتفاء بشجر
الجميز الكثير في تلك المنطقة لما كان من الفرنج الا ان احرقوه .
- (٢٤٩) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ١٢ م ٣ ، مخطوط ، ص
٢٣٥ (ب) .
- (٢٥٠) S. Lane Poole : A Hist. Of Egypt. V. 1, p. 164.

(٢٥١) ابن القلائس . الذيل : ص ١٢٧ سبط بن الجوزي : مراة الزمان ، ج ١٢ م ٣ ، مخطوط ، ص ٢٣٥ (ب) . Gibb : Op. Cit., pp. 48-49. وهذا يذكر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٢٥٧ - ٢٥٨ سبب هذا الانقسام فيقول : « ان الذي وافق على اعطاء الاهالي الامان هو رايمود الصنجيلي ، فخشي جودفري ان يلجأ رايمود الى انشاء امارة لنفسه على شاطئ فلسطين تحرم مملكة بيت المقدس من شواطئها الطبيعية وبالتالي يقطع الصلة بينها وبين الغرب . فطلب جودفري من رايمود ان يتخلى عن عسقلان التي ستتبع بيت المقدس . وهنا استاء رايمود وفضل ان تظل عسقلان في يد المسلمين من ان يزول امرها الى يد جودفري ، وحرص الأمراء على الانسحاب فانسحبوا معه ، بعد ان أوعد لاهالي عسقلان بالثبات والمقاومة فلما وجد جودفري نفسه وحيدا مع اشتداد المقاومة فضل الانسحاب »

Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 175. (٢٥٢)

(٢٥٣) مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة في المشرق ، م ١ ، ص ١٨٥ - ١٨٦ .

(٢٥٤) كانت بعضها تتبع الفاطميين مباشرة مثل عكا وصور وحيدا وبيروت وبعضها وخاصة طرابلس تتبعهم تبعية غير مباشرة ، فقد كان بنو عمار يحكمونها .

(٢٥٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٢٦٢ ويذكر « جروسيه » ان الحامية كانت مكونة من ١٠٠ عربي ، ٢٠٠ أفريقي .

Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 182.

Grousset : Op. Cit., V. I, p. 183. (٢٥٦)

(٢٥٧) عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٢٦٢ . عن

(Albert d'Aix)

Grousset : 9p. Cit., V. 1, pp. 222-223 (Albert d'Aix من (٢٥٨)

Runciman : Op. cit., V. 2, p. 74 (Fulcher if Char.res من (٢٥٩)

وهنا يختلف المؤرخون المسلمون في سنة ارسال هذه الحملة . فالبعض يذكر انها ارسلت سنة ٤٩٣ - ١١٠٠ م ومنهم سبط بن الجوزي : مراة الزمان ، ج ١٢ م ٣ ، مخطوط ، ص ٢٣٧ (ب) ، ٢٣٨ (١) أبو الحسن النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٥٢ . والبعض الآخر يذكر انها كانت سنة ٤٩٤ هـ - ١١٠١ م ومنهم ابن ميسر : اخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٤٠ ، ابن القلائس : الذيل ص ١٤٠ .

Gibb : The Damascus Chronicle, pp. ٤3-54. (٢٦٠)

(٢٦١) سبط بن الجوزي : مراة الزمان ، ج ١٢ م ٢ ، مخطوط ، ص ٢٢٨
ب (، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ، ص ١٥٢ ، ابن ميسر : أخبار
مصر ، ج ٢ ، ص ٤٠ ، ابن القلائس : الذيل ، ص ١٤٠ .

(٢٦٢)

Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 75. عن (Fulcher of Chartres)
S. Lane Poole : A Hist. Of Egypt, V. I, p. 164, Grousset : Op. Cit.,
V. 1, p. 227. عن (Allbery d'Aix, Foucher De Charactres).
Gibb : The Damascus Chronicle, pp. 55-56. (٢٦٢)

(٢٦٤) ابن القلائس : ص ١٤١ ، عن

Runciman : Op. Cit., V. 2, pp. 76-79.
(Fulcher), Grousset : 7'Empire du Levant, p. 206.
أما ابن ميسر : ص ٤٠ - ٤١ فيذكر أن ذلك حدث سنة ٤٩٦ هـ .
(٢٦٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٢٩٨ . عن

(Foucher de Chartres)
Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 80, Grousset : Hist. des (٢٦٦)
Croisades, p. 240.

(٢٦٧) ابن الأثير . الكامل ، ج ٨ ، ص ٢١٩ .

(٢٦٨) ابن ميسر : أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٤١ ، عاشور : ص ٢٩٩ ، فقد
كان بلدوين قد استعان بحاكم أنطاكية - فوصلت منه امدادات الى ميناء يافا ،
ولما حاول الأفضل أن يحصل على مساعدة دقاق صاحب دمشق ولكنه لم ينجده .

Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 80. (٢٦٩)

(٢٧٠) ابن ميسر : ص ٤١ . الذهبي : تاريخ الاسلام ، مخطوط ،
ص ١١٧ .

Grousset : L'Empire du Levant, p. 208, Gibb : The Damascus
Chronicle, p. 81.

(٢٧١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٣٠٢ .

(٢٧٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٧٩ .

Grousset : Histoire des Croisades, V. 1, p. 132. (٢٧٣)

(٢٧٤) سيد علي الحريري الأخبار السنية في الحروب الصليبية ، ص ٥٠ .

Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 64. (٢٧٥)

- Runcimaon : Ibid., V. 2, pp. 68 - 69, Grousset : Histiire (٢٧٦)
des Croisades, : Histoire des Croisades, V. I, 357.
- (٢٧٧) أبو المعاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٧٩ .
- Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 89., Grousset : Hist. (٢٧٨)
des Croisades, p. 243.
- (٢٧٩) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٢٠٤ .
- Runciman : Ibid., V. 2, p. 89.
- (٢٨٠) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٢٩ .
- (٢٨١) ابن ميسر : أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٤١ ، ابن القلانص . الذيل ،
ص ١٤٩ .
- Grousset : Hist. des Croisades, V. 1, p. 245. (٢٨٢)
- (٢٨٣) ابن ميسر ، ص ٤١ ، بن القلانص ، ص ١٤٩ .
- Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 90.
- Gibb : The Damascus Chronicle, p. 14. (٢٨٤)
- Gibb : ibid., p. 15. (٢٨٥)
- (٢٨٦) أرشيبالد - ر - لويس : ترجمة أحمد عيسى ، القوى البحرية والتجارية
في حوض البحر المتوسط ، ص ٢٨٢ - ٢٨٢ .

الخاتمة

يقدّم هذه الدراسة التمهيدية للحياة السياسية في بلاد الشام في القرن الخامس الهجري نستطيع أن نذكر ، أن هذه البلاد قد شهدت في هذا القرن ألوانا وصورا عديدة من الصراع السياسي ، سواء بين القوى الداخلية ، أو بين هذه القوى والقوى الخارجية المجاورة . واشتتمر هذا الاضطراب السياسي طوال القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) سواء في فترة امتداد النفوذ الفاطمي ، أو النفوذ السلجوقي ، ثم استفحل الاضطراب السياسي بعد قدوم طلائع الصليبيين .

ففي فترة النفوذ الفاطمي ، رأينا كيف قاوم أهالي الشام عامة وأهالي دمشق السننيون خاصة ، الفاطميين الشيعة مقاومة عنيفة ، منا استلهمنا إرسال القديرة من الولاة الفاطميين لأخذ تلك الحركات الثورية وخاصة في دمشق . أما مدينة حلب ، فلم ينتج الفاطميون في أن يسيطروا سلطانهم عليها منذ البداية ، لتبقيتها لبيرنة . وببداية القرن الخامس الهجري ، استطاعت الدولة الفاطمية أن تحكم حلب حكما مباشرا لمدة ثمان سنوات تقريبا (٤٠٧ هـ : ٤١٥ هـ) ولكن هذا الحكم الموجه انتهى بسيطرة المرداسيين على حلب . وكانت العلاقات المرداسية الفاطمية في شدة وجذب

مستمرين ، حتى استولى عليها السلاجقة السنيون بواسطة الضغط والازهاب .

كذلك قام بنو الجراح بكثير من حركات العصيان ضد الفاطميين في جنوب بلاد الشام ، مما جعل الخلفاء الفاطميين يبعثون اليها بالقائد تلو الآخر لاختماد تلك الحركات وخاصة أن بنى الجراح كانوا أقرب القوى المعارضة في بلاد الشام للفاطميين في مصر .

كما رأينا كيف قام العنصر التركي في بلاد الشام بدور بارز في إثارة الاضطرابات والقلق خلال امتداد النفوذ الفاطمي في بلاد الشام ، ولم تقتصر هذه الحال على القرن الخامس الهجري فحسب بل بدأت بوادر هذه القلاقل منذ أواخر القرن الرابع الهجري ، وإن كان هذا لا ينفي قيام بعض الشخصيات التركية بخدمات جليلة لبلاد الشام في تلك الفترة وأهمها الذبوري وبدر الجمالي .

كما ساهمت العلاقات البيزنطية الشامية في القرن الخامس الهجري بدور ملحوظ في إثارة التوتر والاضطراب في بلاد الشام وخاصة في الشمال ، وفي منطقة الثغور والعواصم . وهذا الصراع الشامي البيزنطي لا يعتبر جديدا في هذا القرن ، بل نلمحه باستمرار في الصفحات التي تتناول تاريخ تلك البلاد . وقد رأينا في القرن الخامس أن كلا الجانبين تبادلوا النصر والهزيمة ، كما تخلل فترة النفوذ الفاطمي على بلاد الشام حوالي ثلاث فترات هدنة ، كانت الهدنة الأولى مع بداية القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) سنة ٣٩٤ هـ - ١٠٠١ م ، وكانت الثانية في سنة ٤٢٧ هـ واستمرت كل منهما عشر سنوات ، أما الهدنة الثالثة فكانت سنة ٤٣٧ هـ .

كما قام الصراع القبلي والطائفي والمنهجي بدور فعال أيضا في إثارة الاضطرابات في بلاد الشام في فترة امتداد النفوذ الفاطمي .

فمن صراع قبلى بين الكلابيين والكليبيين والطائيين من ناحية ،
وبين الخلافة الفاطمية من ناحية أخرى . وصراع طائفى ظهر واضحا
فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله ضد النصارى واليهود مما ترتب
عليه هدم كنيسة القيامة ثم أعيد بناؤها بعد ذلك ، فكان لذلك أثره
فى احتجاج مسيحيي الغرب ضد مسلمي الشرق . فاذا ما أضفنا الى
ذلك الصراع بين أهل السنة والشيعة اكتملت صورة الصراع
بجوانبه المختلفة ، والتي تضافرت مع العوامل السابق ذكرها والتي
جعلت من بلاد الشام ، منطقة شديدة الاضطراب . ومعنى هذا أن
الاختلاف المذهبي بين أهالى الشام السنيين والفاطميين الشيعة لم يكن
هو السبب فى هذا التوتر الشامل فى أحوال البلاد السياسية .
لذلك عندما دخلت البلاد فى حوزة السلاجقة السنيين ، استمرت
حالة الاضطراب أيضا لأسباب نجمالها فيما يلى :

أولا : قيام النزاع المستمر بين السلاجقة والفاطميين الذين
كانت لهم السيادة على بلاد الشام من قبل .

ثانيا : استمرار الصراع على الحدود الشامية الشمالية مع
البيزنطيين .

ثالثا : الصدام بين السلاجقة والقوى السياسية فى بلاد الشام
وأهمهم حكام طرابلس وشيزر وحلب .

رابعا : النزاع المستمر بين أفراد البيت السلجوقى فى بلاد
الشام وعلى رأسهم رضوان ودقاق ابنا تتش .

خامسا : استنفاد السلاجقة للقدر الباقى من قوتهم فى كفاح
المذهب الباطنى .

وببداية الحروب الصليبية ، التي قامت أضلا لاسترداد بيت المقدس من المسلمين ، وجدت القيادات السلجوقية فى بلاد الشام فى تطاحن مستمر مما أضعف قوتهم وسمح للصليبيين بسرعة السيطرة على البلاد . كما كان للمساعدات البيزنطية والقبرصية والايطالية من الخارج ، الى جانب مساعدة المسيحيين والأرمن من الداخل أثرها فى نجاح تلك الحملات .

ولم تكثر دول الخلافة الثلاث ، الفاطمية ، العباسية ، والأموية بالأندلس ، بصد هذا الزحف الصليبي ، وان كانت الدولة الفاطمية . قد بعثت بعض الحملات العسكرية الى بلاد الشام ، إلا أنها كانت أضعف من أن تواجه القوى الصليبية نتيجة انقسام قوادها على أنفسهم ، ونتيجة قلة عدد هذه القوات ، الى جانب وصولها غالبا بعد فوات الوقت المناسب .

والحقيقة المهمة التى نود ابرازها هنا هو أن الحملات الصليبية لم تحركها الى الشرق تاك الدوافع الغربية فقط ، والتى أفاضت الكثير من المصادر فى ذكرها ، وانما يسرت أحوال بلاد الشام الداخلية قدوم هذه الحملات ، اذ كانت الشام فى نهاية القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) قد وصلت الى قمة الاضطراب والفوضى بالنسبة لآى فترة أخرى من فترات تاريخها الطويل ، مما شجع المسيحيين الغربيين على الاسراع فى تلبية نداء البيزنطيين ضد مسلمى الشرق ، جاعلين استرداد بيت المقدس من المسلمين هدفهم الرئيسى لهذه الحروب . ولو كان أحد سلاطين السلاجقة العظام ، مثل ألب أرسلان أو ملكشاه ، هو المسيطر على بلاد الشام فى نهاية القرن الخامس الهجرى ، لما تجرأ الصليبيون على التقدم الى الشرق الاسلامى ، خوفا من بطش سلطان عظيم يجمع حوله الراية الاملامية فى كل أرجاء العالم الاسلامى .

ولكن البلاد الاسلامية سرعان ما اسنيقظت من سباتها وعدم ادراكها لحقيقة هذا الخطر الجسيم ، وسعت جاهدة لتحقيق النصر ضد العدو الصليبي المشترك فقد بدأت مع بدايات القرن الثاني عشر الميلادي بوادر يقظة عربية اسلامية لمواجهة العدو (١) . وظهرت بعض الشخصيات القوية المخلصة التي استبسلت في كفاحها ضد الصليبيين حتى استطاعت ان تحقق النصر وتسترد الارض السليبة من العدو الغاصب ، ومن أمثلة هذا الكفاح المجيد ضد الصليبيين ، الدور المشرف الذي قام به نور الدين محمود ابن زنكي (٥١١ - ٥٦٩) فقد استطاع بجهوده المستميتة ضد الفرنج في بلاد الشام أن يستعيد منهم الأراضي الاسلامية باستيلائه على المدن والقلاع والحصون الشامية التي كان الصليبيون قد استولوا عليها من مسلمي الشام أيام ضعفهم وتفكك وحدتهم . وقد استخدم نور الدين في كفاحه ضد الفرنج كل ما استطاع من أساليب ، سواء بالقوة أو باللين والخديعة ، ويكفي للتدليل على جهوده أنه استطاع أن يأسر أحد أمراء الفرنج الكبار وذوى النفوذ والبأس في بلاد الشام وخاصة في المناطق الشمالية التي كان يسيطر عليها ، وهو (جوسلين) الذي كان « شديد العداوة للمسلمين يتقدم الفرنج في حروبهم لما يعلمون من شجاعته وجودة رأيه وشدة عداوته للملة الاسلامية وقسوة قلبه على أهلها ، وأصيبت النصرانية كافة بأسره . . . وسهل أمرهم على المسلمين بعده » (٢) وكان نور الدين اذا هزم الصليبيين لا يشتط في طلب ، ولا يتسامح كل التسامح في حقوق أمته (٣) .

أما صلاح الدين الأيوبي فحروبه مع الصليبيين معروفة ومشهودة ، وعلى يده كانت الوقائع المهمة الحاسمة .

وقد استطاع صلاح الدين بفضل جهوده العظيمة ضد الفرنج أن يستعيد منهم بيت المقدس سنة ٥٨٥ هـ بعد أن ظلت في أيديهم ثلاثا وتسعين سنة ثم انتزع ما بقى في أيديهم من أراضى الشام (٤) .

الهوامش

- (١) جوزيف نسيم : العدوان الصليبي على مصر ، من المقدمة .
- (٢) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ، ج ١ ق ١ ، ص ١٨٤ .
- (٣) كرد علي : الاسلام والحضارة العربية ، ج ١ ، ص ٢٨٩ .
- (٤) أحمد بن زيني دحلان . تاريخ الدولة الاسلامية بالجداول المرضية ، ص ٨٧ .

خريطة زمنية

لولاية دمشق وحلب في القرن الخامس الهجري حتى قدوم الصليبيين

اسم الوالي	فترات الحكم	مميزات الحكم
<p>أولا : فترة النفوذ الفاطمي :</p> <p>(أ) دمشق :</p> <ol style="list-style-type: none"> ١ - محمد بن نزال ٢ - غلام القائد منير ٣ - القائد مظفر ٤ - بطر المعمار ٥ - لؤلؤ بن عبد الله <p>الشيرازي ، منتخب الدولة</p>	<p>فترة محدودة من سنة ٤٠٠ هـ من نهاية سنة ٤٠٠ هـ الى ربيع الأول سنة ٤٠١ هـ .</p> <p>سنة أشهر وتسعة أيام شهران وعشرة أيام</p> <p>سنة أشهر من جادى الثانية سنة ٤٠١ هـ .</p>	<p>فترة عدم استقرار</p> <p>مات مقتولا بامر الحاكم بامر الله</p>

اسم الوالي	فترات الحكم	مميزات الحكم
٦ - أبو المظاسم ذو القصر نين ابن حمدان ، وجيه الدولة .	١٠ ذى الحجة - ٧ جمادى الاولى سنة ٤٠٢ هـ .	كان شاعرا واديبا .
٧ - محمد بن بزال ، مختار الدولة	ثلاث سنين ونحوها الى ذى الحجة سنة عشرين يوما الى ذى الحجة سنة ٤٠٦ هـ .	كان حكمه مستقرا .
٨ - ساتكين ، سهم الدولة	سنتان من ٤٠٦ هـ - ٤٠٨ هـ	كان تركيا ، ظالما وهو الذى بنى جسر الحديد تحت قلعة دمشق .
٩ - سيد الدولة أبو منصور	من ذى القعدة سنة ٤٠٨ هـ الى ربيع الثانى سنة ٤٠٩ هـ .	كان حكمه غير مستقر .
١٠ - أبو القاسم عبد الرحيم ابن الياس .	نولى امرة دمشق مرتين فى عهد الحاكم بأمر الله ، الاولى فى جمادى الآخرة سنة ٤٠٩ هـ والثانية فى جمادى الاولى ٤١٠ هـ	

اسم الوالى	فترات الحكم	مميزات الحكم
١١ - أبو المطاسع ذو القرنين أبن حمدان .	مدة محدودة من سنة ٤١٢ هـ	الولاية الثانية .
١٢ - سحتكين الملكى ، شهاب الدولة .	سنتان وأربعة أشهر ، مات فى ذى القعدة سنة ٤١٤ هـ .	كان من الموالى الاتراك .
١٣ - أبو المطاسع ذو القرنين	ربيع الاول سنة ٤١٥ هـ - سنة ٤١٩ هـ .	الولاية الثالثة .
١٤ - أنوشتكين اللوزبرى	من ٤١٩ هـ سنة ٤٣٣ هـ	كان تركيسا ، اشتهر باليقظة والذكاء ، ولى بعلبك وقيسارية قبل دمشق ، حارب صالح بن مرداس وبنى الجراح وقضى على الغوضى فى بلاد الشام وبسط نفوذه على حلب وكانت له شعبية كبيرة . مات فى جمادى الاولى سنة ٤٣٣ هـ .

اسم الوالي	فترات الحكم	سميزات الحكم
١٥ - الأمير ناصر الدولة الحسن ابن حمدان	جمادى الآخرة سنة ٤٣٣ هـ - رجب سنة ٤٤٠ هـ . استمر في الحكم سنة نولى لمدة أيام في المحرم سنة ٤٤١ هـ .	ولايته الأولى . في عهده قامت ثورة حسان بن الجراح . مولى تركى . مولى تركى
١٦ - طارق الصقلبي ١٧ - رفق المستنصرى	رجب سنة ٤٤١ هـ - ٤٥٠ هـ .	في ولايته الأولى هذه كان حسن السيرة فاستقر حكمه فترة طويلة .
١٨ - الأمير حيدرة بن عصب الدولة بن مفلح، أبو الكرم أطويط .	رجب سنة ٤٥٠ هـ - ربيع الأول سنة ٤٥٢ هـ .	الولاية الثانية .
١٩ - الأمير ناصر الدولة بن حمدان .	ذو الحجة سنة ٤٥٢ هـ - ربيع سنة ٤٥٣ هـ .	مولى تركى .
٢٠ - سبكتكين المستنصرى	جمادى الأولى سنة ٤٥٣ هـ	كانت له عناية بالحديث .
٢١ - ابن البجناكى ، حسام الدولة .	رمضان ٤٥٣ هـ .	

اسم الوالى	فترات الحكم	مميزات الحكم
٢٢ - ناصر الدولة بن حمدان	رمضان - ذى القعدة سنة ٤٥٣ هـ .	الولاية الثالثة .
٢٣ - حيدر بن عصب الدولة .	حوالى سنة ونصف حتى مات فى ربيع الثانى سنة ٤٥٥ هـ .	الولاية الثانية .
٢٤ - بدر الجمالى ، المستنصرى	من ربيع الثانى سنة ٤٥٥ هـ - رجب سنة ٤٥٦ هـ .	الولاية الاولى ، كان أرمنييا ، وهو من اهل الى . الذين كان لهم اثر كبير فى توجيه سياسة بلاد الشام بل ومصر أيام النشدة العظمى .
٢٥ - الأمير حيدر بن منزو الكرشامى	رمضان - ذى القعدة سنة ٤٥٦ هـ .	مولى تركى ، صرف من دمشق وتولى الرحلة .
٢٦ - دوق المستنصرى ، شهاب الدين الدولة .	لم يحكم سوى مدة محدودة	الولاية الثانية .
٢٧ - بدر الجمالى	جمادى الاولى سنة ٤٥٨ هـ . رمضان سنة ٤٦٠ هـ .	

اسم الوالي	فترات الحكم	مميزات الحكم
٢٨ - الأمير بارز طغان ، قاطب الدولة .	شعبان سنة ٤٦٠ هـ - ربيع الأول سنة ٤٦١ هـ .	دخل دمشق قهراً وبالغ في الظلم وفي عهده ازداد الفلاء وانتشرت المجاعات .
٢٩ - الأمير حسن الدولة حيدر بن حيدر بن منصور الكعكي .	ذى القعدة سنة ٤٦٧ هـ -	اختاره الأهالي ليعيد المسيكة إلى البلاد ولكن لم يلبث إلا أن اتراك السلاجقة أن استولوا على البلد .
٣٠ - القصار بن يحيى المصري ، زين الدولة .	المحرم سنة ٤٦٨ هـ - ذى القعدة سنة ٤٦٨ هـ .	من موالى الحمدانيين المتغلبين على الحكم
(ب) حبيب :	٣٩٩ هـ - ٤٠٦ هـ .	أنعم عليه الحاكم بأمر الله بلقب مرتضى الدولة ، وهو أول من

اسم الوالى	فترات الحكم	مميزات الحكم
٢ - فتح القلعي ، أبو الحسن على بن أحمد المعروف بالضئيف .	٤٠٦ هـ - ٤٠٧ هـ .	اعترف بالسيادة الفاطمية الحقيقية على حلب . ظل تحت طاعة المحاكم بأمر الله .
٣ - الأمير عزيز الدولة أبو شجاع فاتك .	رمضان سنة ٤٠٧ هـ - ربيع الثاني سنة ٤١٣ هـ .	بدأ بطاعة المحاكم بأمر الله ثم استنجد بالروم ضده . ظهر عصيانه بوضوح في عهد سنة الملك ، فدبرت مكيمة فقتل في ربيع الآخر سنة ٤١٣ هـ .
٤ - وفي الدولة بدر .	أربعة أشهر من ربيع الأول سنة ٤١٣ هـ .	ولته ست الملك .
٥ - صفى الدولة ، أبو عبد الله بن محمد أبي الحسن .	رجب سنة ٤١٣ هـ - المحرم سنة ٤١٤ هـ .	كان شاعرا أدبيا ، تولى أبوه الوزارة للمحاكم ، وكان جده القائد

اسم الوالى	فترات الحكم	مميزات الحكم
٦ - علي بن جعفر ابن فلاح الكتامي .	تولى سنة ٤١٣ هـ .	جعفر ابن فلاح ، تولى حكم مدينة حلب .
٧ - يعين الدولة سعادة الخادم ، القلازسي .	تولى سنة ٤١٤ هـ - ربيع	تولى حكم قلعة حلب وكان من المتفهمين في الدين والعلم .
٨ - سئد الدولة أبوه محمد الحسن بن محمد بن ثعبان الكتامي .	المحرم سنة ٤١٤ هـ - ربيع الثاني سنة ٤١٥ هـ .	تولى المدينة مكان صفى الدولة حتى توفي .
٩ - سئيد الملك أبى الحارث ابن ثعبان .	جهاى الاولى سنة ٤١٥ هـ .	تولى مكان أخيه مدينة حلب .
٩ - أبو الحارث موصوف الخادم الصقلاوى الايبى الحساكى .	تولى سنة ٤١٥ هـ .	تولى قلعة حلب .

اسم الوالى	فترات الحكم	مميزات الحكم
١٠ - أسد الدولة أبو علي صالح بن مرداس .	ذو القعدة سنة ٤١٥ هـ - جمادى الأولى سنة ٤٢٠ هـ .	مؤسس الأسرة المرداسية بحلب . فيل في الاقحوانية في جمادى الأولى سنة ٤٢٠ هـ عند قتاله لأنوشتكين المذبذبى .
١١ - شبل الدولة أبو كامل نصر ابن صالح .	٤٢٠ هـ - ٤٢٩ هـ .	فى سنة ٤٢٨ هـ استعان بالروم ضد الفاطهيين .
١٢ - أنوشتكين المذبذبى .	رمضان سنة ٤٢٩ هـ - جمادى الأولى سنة ٤٣٣ هـ .	كان قائدا فاطميا وفى نفس الوقت رابعا على دمشق .
١٣ - معز الدولة أبو علوان ثمال ابن صالح .	جمادى الأولى سنة ٤٣٣ هـ .	استولى على مدينة حلب بعد وفاة المذبذبى هباشة وفى صفر من نفس السنة استولى على القلعة .
١٤ - مكين الدولة أبو علي الحسن بن ملهم .	ذو القعدة سنة ٤٤٦ هـ - ٤٥٢ هـ .	نولى من قبل الخلافة الفاطمية ثم أساء معاملة أهالى حلب .

اسم الوالي	فترات الحكم	مميزات الحكم
١٥ - عز الدولة محمود بن نصر ابن صالح .	تولى في منتصف سنة ٤٥٢ هـ .	كان عهده شديد الاضطراب .
١٦ - نبال بن صالح	ذو الحجة سنة ٤٥٢ هـ - ذو القعدة ٤٥٤ هـ .	الولاية الثانية .
١٧ - أبو ذؤابة عطية بن صالح .	ذو القعدة سنة ٤٥٤ هـ - سنة ٤٥٧ هـ .	كان تولى مكان أخيه نبال .
١٨ - محمود بن صالح بن مرداس .	من أواخر سنة ٤٥٧ هـ .	في عهده قطعت الخطبة للفاطمين في شوال سنة ٤٦٣ هـ وخطب للخليفة القائم والمسلمان السلجوقي ألب أرسلان .

اسم الوالى	فترات الحكم	مميزات الحكم
<p>ثانيا : فترة النفوذ السلجوقي :</p> <p>(١) دمشق :</p> <p>١ - اتسز بن أوق الخوارزمي .</p>	<p>ذو القعدة سنة ٤٦٨ هـ - ربيع الآخر سنة ٤٧٢ هـ .</p>	<p>أول الولاية السلجقية بدمشق وأول من أسس القلعة بها ، لتكون مقر الحكم . بدأ ينشر المذهب السني وكان ظالما .</p>
<p>٢ - تاج الدولة تتش بن الب بن</p>	<p>الثناني سنة ٤٧٢ هـ الى أن قتل في صفر سنة ٤٨٨ هـ .</p>	<p>كان في صراع مستمر مع ابن أخيه السلطان بر كيارق وهو الذي قتله .</p>
<p>٣ - أبو نصر شمس الملوك دقاق</p>	<p>٤٨٨ هـ - ٤٩٧ هـ .</p>	<p>حكم دمشق بعد موت أبيه وكان في صراع مستمر مع أخيه رضوان والى حلب .</p>
<p>ابن تتش بن الب أرسلان .</p>		

مميزات الحكم	فترات الحكم	اسم الوالى
آخر المراداسين .		(ب) حلب :
أحسن السيرة في الأهالي ورخصت في عهده الأسعار ، قتل على يد سليمان ابن قتيش في صفر سنة ٤٧٨ هـ .	٤٦٦ هـ - ٤٦٨ هـ .	١ - جلال الدولة أبو المظفر نصر ابن محمود .
ولاه الأهالي بعد مقتل أخيه مسلم .	٤٧٢ هـ - ٤٧٨ هـ .	٢ - أبو الفضائل سسابق ابن محمود .
ولاه السلطان ملكشاه وكان قد قدم إلى حلب سنة ٤٧٩ هـ فلما استقر الحال بها ولي قسيم الدولة الذي	٤٧٨ هـ - ٤٧٩ هـ .	٣ - شرف الدولة مسلم بن قرش العقيلي
	٤٨٠ هـ - ٤٨٧ هـ .	٤ - أبراهيم بن قرش العقيلي
		٥ - قسيم الدولة آق سنقر .

اسم الوالى	فترات الحكم	مميزات الحكم
٦ - رضوان بن تتش	تولى سنة ٤٨٨ هـ .	<p>نشر العدل بين أهالى حلب وتبجح الفسدين وأبادهم ، ولذا ازدهرت حلب فى عهده . قتله تاج الدولة تتش .</p> <p>ولى حلب بعد وفاة أبيه وساعده أنا بكه جناح الدولة الحسن ابن أيكين . وكان عهده حافلا بالصرار بينه وبين أخيه دقاق حاكم دمشق خطب للأفاطيين أربع جمع ثم قطع الخطبة .</p>

مراجع البحث

أولا : المراجع القديمة :

- ١ - ابن الأثير الجزري : (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٤ م) أبو الحسن على بن أبي الكرم الملقب بعز الدين : الكامل في التاريخ ج ٧ دار الطباعة المنيرية ١٣٥٣ هـ ، ج ٨ مطبعة الاستقامة بالقاهرة .
- ٢ - ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) أحمد بن علي بن محمد ابن محمد بن علي بن أحمد : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، السفر الأول ، الطبعة الأولى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية . الهند ، حيدر آباد الدكن ١٣٤٨ هـ .
- ٣ - أحمد بن زيني دحلان : تاريخ الدولة الإسلامية بالجداول المرضية ، (المطبعة البهية بالقاهرة ١٣٠٦ هـ) .
- ٤ - ابن حوقل : (ت أواخر القرن الرابع الهجري) أبو القسم ابن حوقل النصيبى : صورة الأرض ، الطبعة الثانية ، القسم الأول ، (لندن ١٩٣٨) .

٥ - **ابن الجوزي** : (ت ٥٩٧ هـ) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي
ابن محمد بن علي : المنتظم في تاريخ الملوك والأهمل ، الطبعة
الأولى ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن ،
(ج ٧ ١٣٥٨ هـ ، ج ٨ ١٣٥٩ هـ) .

٦ - **ابن خلدون** : (ت ٨٠٨ هـ) عبد الرحمن بن محمد : العبر
وديوان المبتدأ والخبر ، (طبعة سنة ١٢٨٤ هـ) .

٧ - **ابن خلكان** : (ت ٦٨١ هـ) أبو العباس شمس الدين أحمد
ابن محمد ابن أبي بكر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،
(مطبعة السعادة بمصر ١٣٦٧ هـ - ١٦٢٨ م ، ج ٣ من
الطبعة الأخيرة) .

٨ - **ابن عساکر** : (ت ٥٧١ هـ) أبو القاسم علي بن الحسن
ابن هبة الله بن عبد الله بن الحسين .

١ - التاريخ الكبير : هذبه الشيخ عبد القادر بن أحمد
ابن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد الدومي المعروف بابن
بدران (ت ١٣٤٦ م) مطبعة الترقى بدمشق ١٣٤٩ هـ ،
مطبعة روضة الشام ١٣٢٩ هـ) .

٢ - تاريخ مدينة دمشق : مجلدين ، دمشق ١٣٧١ هـ -
١٩٥١ م .

٣ - نصوص من ابن عساکر : ولاية دمشق في العهد
السلجوقي ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبعة الترقى
بدمشق ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م) .

٩ - ابن العبري : (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) غريغوريوس أبي
الفرج بن هرون الطبيب الملقب : تاريخ مختصر الدول ،
المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٨٩٠ ، ١٩٥٨ .

١٠ - ابن العديم : (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م) كمال الدين
أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله : زبدة الحلب من
تاريخ حلب ، تحقيق سامي الدهان ، ج ١ ، ٢ ، دمشق
١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م .

١١ - ابن العماد : (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٩ م) أبو الفلاح عبد الحى
ابن على بن محمد : شذرات الذهب ، ١٣٥٠ هـ .

١٢ - ابن العميد : الشيخ جرجس بن العميد أبي البأس بن أبي
المكارم بن أبي الطيب : تاريخ المسلمين ، طبعة ١٦٢٥ م .

١٣ - ابن شداد : (ت ٦٨٤ هـ) عز الدين أبو عبد الله محمد
ابن على بن إبراهيم بن شداد الأنصارى الحلبى : الاطلاق
الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، جزئين ، ج ١ نشر
وتحقيق دومينيك سورويل ، دمشق ١٩٥٣ ، ج ٢ نشر سامي
الدهان (عن دمشق) دمشق ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م .

١٤ - ابن الشحنة : (ت ٨٩٠ هـ) أبو الفضل محمد بن محمد
ابن محمد بن محمود بن غازى الثقفى الحلبى الحنفى : الدر
المنتخب فى تاريخ مملكة حلب ، تحقيق أبو اليمن البترونى
(ت ١٠٤٦ هـ) المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٠٩ .

١٥ - ابن الصيرفى المصرى : (اختلف فى سنة وفاته فياقوت
الحموى يذكر أنه توفى بعد ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م وابن ميسر

يذكر أنه توفي ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م) ، أبو القاسم علي
ابن منجب بن سليمان : الاشارة الى من نال الوزارة ،
القاهرة ١٩٢٢ .

١٦ - ابن القلانسي : (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) ابويعلی حمزة بن
أسد بن علي بن محمد التميمي : تاريخ أبو يعلى حمزة بن
القلانسي المعروف بذييل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨ .

١٧ - ابن كثير القرشي : (ت ٧٧٤ / ١٣٧٣ م) عماد الدين
أبو الفدا اسماعيل ابن عمر : البداية والنهاية ، مطبعة
السعادة بمصر ، ١٩٣٢ .

١٨ - أبو الفدا : (ت ٧٣٢ هـ) الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل
أبي الفدا صاحب حماء : المختصر في أخبار البشر ويسمى
أيضا ، تاريخ أبو الفدا أو تاريخ المؤيد ، الطبعة الأولى ،
(المطبعة الحسينية بمصر) .

١٩ - أبو الفضائل أحمد بن علي الحموي : تلخيص الكشف والبيان
في حوادث الزمان . ويسمى أيضا التاريخ المنصوري ، نشر
بپرس غرياز نيويج . موسكو ١٩٦٠ .

٢٠ - ابن مسكويه : (ت ٤٢١ هـ) أبو علي أحمد بن محمد :
تجارب الأمم ، صححه آمدروز ، ج ٥ (١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م) ،
ج ٦ (١٣٣٣ هـ - ١٩١٥ م) .

٢١ - ابن ميسر : (ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م) أبو عبد الله تاج
الدين محمد بن علي بن يوسف ابن شاهنشاه ، وقيل ابن
جلب راغب : أخبار مصر ، ج ٢ ، مصر ١٩١٩ .

٢٢ - أبو المحاسن : (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) جمال الدين
أبو المحاسن يوسف ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى
ملوك مصر والقاهرة ، ج ٤ (١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م) ج ٥
(١٣٥٣ هـ - ١٩٣٥ م) .

٢٣ - ابن الوردى : (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م) أبو حفص زين
الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبى الفوارس
الوردى العربى الشافعى : تمة المختصر فى أخبار البشر ،
يعرف بتاريخ ابن الوردى ، (المطبعة الوهبية بمصر ،
١٢٨٥ هـ) .

٢٤ - ابن ابيك الدوادارى : (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) أبو بكر
ابن عبد الله بن ابيك : كنز الدرر وجامع الغرر ، ج ٦ ،
الدرة المضية فى أخبار الدولة الفاطمية ، لجنة التأليف
والترجمة والنشر ، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م .

٢٥ - الأصفهاني : عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني :
اختصار الامام الفتح بن على بن محمد البندارى الأصفهاني
من رجال القرن السابع الهجرى : تاريخ دولة آل سلجوق ،
مطبعة الموسوعات بمصر ١٣١٨ هـ - ١٩٠٠ م .

٢٦ - الحسينى : أبو الحسن على بن ناصر بن على : أخبار الدولة
السلجوقية ، نشر كلية فنجان ، لاهور ، ١٩٣٣ .

٢٧ - الحصنى : (ت ٨٢٩ هـ) محمد أديب آل تقي الدين
الحصنى : منتخبات التواريخ لدمشق ، دمشق ١٣٤٦ هـ -
١٩٢٧ م .

٢٨ - **الدهبي** : (ب ٧٤٨ هـ) شمس الدين أبي عبد الله محمد
ابن أحمد بن عثمان : العبر في خبر من غير ،
الكويت ١٩٦١ .

٢٩ - **أسامة بن منقذ** : (ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) مؤيد الدولة
أبو مظفر أسامة بن مرشد الكنانى الشيزرى : الاعتبار
جرره فيليب حتى ، مطبعة جامعة برنستون ، الولايات
المتحدة ، ١٩٣٠ .

٣٠ - **العظيمى** : (ت ٥٥٦ هـ ١١٦١ م) محمد بن على التنوخى
الحلبى : منتخبات من تاريخه ، باريس ١٩٣٨ .

٣١ - **الغزى** : (ت ١٣٥١ هـ) كامل بن حسين بن مصطفى بابى
الحلبى : نهر الذهب فى تاريخ حلب ، المطبعة المارونية
بحلب ، ج ٢ ، ٢ (١٣٤٢ هـ) ج ٣ (١٣٤٥ هـ) .

٣٢ - **الصالحى** : (ت ٩٥٣ هـ) محمد بن طولون الصالحى :
القلائد الجوهريّة فى تاريخ الصالحية ، قسمين ، حققه محمد
أحمد دهمان ، دمشق ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م .

٣٣ - **الصفدى** : (ت ٧٦٤ هـ) صلاح الدين خليل بن ايبك :
أمراء دمشق فى الاسلام ، دمشق ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .

٣٤ - **القرمانى** : (ت ١٠١٩ هـ) أبو العباس أحمد حلبى بن يوسف
ابن أحمد الدمشقى : أخبار الدول وآثار الأول ، بغداد ،
١٢٨٢ هـ .

٣٥ - **القاقشندى** : (ت ٨٢١ هـ) أحمد بن عبد الله : مآثر
الأئمة فى معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ،
ج ١ ، الكويت ١٩٦٤ .

٣٦ - **المسعودى** : (ت ٣٤٦ هـ) أبو الحسين علي بن الحسن بن علي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الطبعة الثالثة مطبعة السعادة بمصر ، ١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ م .

٣٧ - **المقدسى** : (ت ٣٧٥ هـ) المعروف بابن الشاري : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، طبع في لندن ، ١٩٠٩ م .

٣٨ - **المقريزى** : (ت ٨٤٥ هـ) تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد :

١ - اتعاض الحنفا ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ، طبعتين بالقاهرة ، الأولى ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م ، والثانية ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .

٢ - الخطط والآثار في مصر والقاهرة وما يتعلق بها من الأخبار ، دار الطباعة المصرية ببولاق ١٢٧٠ هـ .

٣٩ - **النعمى** : (ت ٩٢٧ هـ) محي الدين أبو المفاخر عبد القادر ابن محمد بن عمر بن محمد بن يوسف بن عبد الله بن نعيم : الدارس في تاريخ المدارس ج ١ ، ٢ ، مطبعة الترقى بدمشق ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م .

٤٠ - **اليافعى** : (ت ٧٦٨ هـ) أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي ابن سليمان عفيف الدين اليافعى المكي : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، حيدر آباد الدكن ج ١ (١٣٣٧ هـ) ج ٢ ، ٣ (١٣٣٨ هـ) .

٤١ - **ساويرس بن المقفع** : تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية ، المعروف بسير البيعة المقدسة ، نشره يسى عبد المسيح .

مطبوعات جمعية الآثار القبطية ، ج ٢ القاهرة (١٩٤٨) ،
ج ٣ القاهرة (١٩٥٩) .

٤٢ - سبط بن الجوزى : (ت ٦٥٤ هـ) شمس الدين أبى المظفر
يوسف بن قزاوغلى التركى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان .
القسم الأول من الجزء الثانى (من ٤٩٥ - ٥٨٩ هـ) الهند
١٣٧ هـ - ١٩٥١ م . وهو المطبوع فقط .

٤٣ - ظهر الدين الروزراوى : (ت ٤٨٨ هـ) الوزير أبو شجاع
محمد بن الحسين بن عبد الله ابراهيم : ذل تجارب الأمم .
مطبعة شركة التمدن الصناعى بمصر ١٣٣٤ هـ - ١٩١٦ م .

٤٤ - محمد عز الدين الصيادى : (ت ٨٢٩ هـ) الروضه البهية
فى فضائل دمشق المحمية ، مطبعة المقتبس بدمشق
١٣٣٠ هـ .

٤٥ - مؤلف مجهول : العيون والحدائق فى أخبار الحقائق ، ج ٣ ،
من خلافة الوليد بن عبد الملك الى خلافة المعتصم ، مكتبة
المثنى ببغداد ، ١٨٧١ م .

٤٦ - يحيى بن سعيد الأنطاكى : (من رجال القرن الخامس
الهجرى) تاريخ الذيل ، (ذيل لتاريخ سعيد بن بطريق) ،
(يبدأ الكتاب من سنة ٣٢٦ هـ وينتهى سنة ٤٢٥ هـ)
باريس ١٩٢٤ .

٤٧ - ياقوت الحموى : (ت ٦٢٦ هـ ١٢٢٨ م) شهاب الدين أبى
عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى معجم
البلدان ، بيروت ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .

ثانيا : المخطوطات والميكروفيلم :

- ١ - ابن العديم : (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م) كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بغية الطلب في تاريخ حلب ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم ١٥٦٦ تاريخ .
- ٢ - ابن الشحنة : (ت ٨١٥ هـ) أبو الوليد محب الدين محمد ابن محمد بن محمد روض المناظر في علم الأوائل والأواخر ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٥ م تاريخ .
- ٣ - ابن ظافر : (ت ٦٢٣ هـ) جمال الدين أبو الحسن علي ابن كمال الدين أبو منصور ظافر بن حسين الأزدي الأنصاري الخزرجي . أخبار الدول المنقطعة ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٨٩٠ تاريخ .
- ٤ - ابن الفرات : (ت ٨٠٧ هـ) ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ابن علي بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز بن محمد الجعفي المصري تاريخ الدول والملوك ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣١٩٧ تاريخ .
- ٥ - الحريري : أحمد بن علي : الاعلام والتبين في خروج الفرنج الملائعين على بلاد المسلمين . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٢٨٦ تاريخ تيمور .
- ٦ - الذهبي : (ت ٧٤٨ هـ) شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن أحمد بن عثمان : (١) دول الاسلام ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٢٩٩ تاريخ - (٢) تاريخ الاسلام الكبير . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٢ تاريخ .

٧ - السيوطي : (ت ٩١١ هـ) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي : تاريخ الخلفاء والسلاطين ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم ٨٤٢ تاريخ تيمور .

٨ - العيني : (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) بدر الدين محمد محمود ابن أحمد بن موسى : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، ٢٣ جزءا في ٦٩ مجلدا ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، تصوير شمسي ، رقم ١٥٨٤ تاريخ .

٩ - القضاعي : (ت ٤٥٤ هـ) أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر : تاريخ القضاعي مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم ٢٥٢٥ تاريخ تيمور .

١٠ - الكتبي : (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م) محمد بن شاکر بن أحمد بن عبد الرحمن : عيون التواريخ ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٤٩٧ تاريخ ، ج ١٣ رقم ٩٤٩ تاريخ .

١١ - ريڤي : (ت ٨٤٥ هـ) تقى الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد : اتعاظ الحنفا ، ميكرو فيلم (عن مخطوطة استانبول) معهد المخطوطات بالجامعة العربية رقم ٦ تاريخ . استعنت به من سنة ٣٨٦ هـ أي بعد الجزء المطبوع للدكتور جمال الشيال .

١٢ - النويري : (ت ٧٣٢ هـ) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري المصري الكندي : نهاية الأرب وفنون الأدب . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ تاريخ .

١٣ - بيبرس النواداري : (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م) ركن الدين بيبرس المنصوري الخطائي النواداري : زبدة الفكرة في

تاريخ الهجرة ، ج ٦ ، مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة رقم
٢٤٠٢٦ .

١٤ - سبط بن الجورى : (ت ٦٥٤ هـ) شمس الدين أبى المظفر
يوسف قزاوغلى التركى : مراة الزمان ، مخطوط بدار
الكتب المصرية رقم ٥٥١ تاريخ .

١٥ - سبط بن العجمى الحلبي : (ت ٨٨٤ هـ) موفق الدين أبى
زر أحمد بن ابراهيم : كنوز الذهب فى تاريخ حلب ، جزئين ،
مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٨٣٧ تاريخ تيمور .

١٦ - مؤلف مجهول : قطعة من تاريخ لمؤلف مجهول ، مخطوط
بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٢٦ تاريخ تيمور .

١٧ - أبو الهيجاء : (كان معاصرا لصلاح الدين الأيوبي المتوفى
سنة ٥٨٩ هـ) : تاريخه ، القسم الأول منه من بداية عهد
الرسول الى عهد السلطان صلاح الدين ٥٨٩ هـ ، ميكروفيلم
بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية ، رقم ٩٤٥ تاريخ .

ثالثا : المراجع الحديثة :

١ - أحمد بن ابراهيم الصابوني : تاريخ حماه ، الطبعة الاولى ،
مطبعة حماه ، ١٣٣٢ هـ .

٢ - أحمد عارف الزين : تاريخ صيدا ، مطبعة العرفان ، صيدا ،
١٣٣١ هـ .

٣ - الدبس : يوسف الياس : تاريخ سورية ، المطبعة العمومية ،
بيروت ١٩٠٠ .

- ٤ - أسد رستم : (الدكتور)
الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم
بالغرب ج ٢ بيروت ١٩٠٦ .
- ٥ - السيد الباز الأهرينى : (الدكتور)
١- الدولة البيزنطية ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
٢ - الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، مطبعة
لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٣ .
- ٦ - الطباخ الحلبي : محمد راغب بن محمود بن هاشم : أعلام
النبيلاء بتاريخ حلب الشهباء ، طبعة أولى ، ج ١ ، ٢
(١٣٤٢ - ١٩٢٣) ، ج ٣ (١٣٤٣ - ١٩٢٥) .
- ٧ - يشوف الجرمانى : (الدكتور) تحف الأنبياء فى تاريخ حلب
الشهباء ، بيروت ١٨٨٠ م .
- ٨ - بندلى جوزى : تاريخ الحركات الفكرية فى الاسلام ، القدس ،
١٩٢٨ .
- ٩ - توفيق الطويل : (الدكتور)
قصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية والاسلام ، الاسكندرية
١٣٦٦ - ١٩٤٧ .
- ١٠ - جوزيف نسيم يوسف : (الدكتور)
١ - العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الاولى ،
دار المعارف ، ١٩٦٧ .

٢ - العدوان الصليبي على مصر ، هزيمة لويس التاسع
في المنصورة وفارسكور ، الطبع والنشر ، دار الكتب
الجامعية ، يناير ١٩٦٩ .

١١ - حسن حبشي : (الدكتور)
الحرب الصليبية الأولى ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٤٧ .

١٢ - حسن ابراهيم حسن : (الدكتور)
١ - تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٣ ، مكتبة النهضة
المصرية ١٩٥٥ .

٢ تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد
العرب ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٨ .

١٣ - حسن ابراهيم : طه شرف : المعز لدين الله امام الشيعة ،
القاهرة ، ١٣٦٧ - ١٩٤٨ .

١٤ - حسين أمين : (الدكتور)
تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، رسالة دكتوراه ،
منشورات المكتبة الأهلية ببغداد ، ١٣٨٥ - ١٩٦٥ .

١٥ - خير الدين الزركلي : الاعلام ، مطبعة كوستانتوماس ،
١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م .

١٦ - زامبور : معجم الأنساب والاسرات الحاكمة في الاسلام ،
ج ٢ ، اخراج د . زكي محمد حسن ، د . حسن أحمد محمود ،
مطبعة فؤاد الأول ، ١٩٥٢ .

١٧ - سعيد عبد الفتاح عاشور : (الدكتور)
١ - الحركة الصليبية ، ج ١ ، مطبعة لجنة البيان العربى
١٩٦٣ .

٢ - قبرس والحروب الصليبية ، مطبعة لجنة البيان العربى
١٩٥٧ .

٣ - أوروبا العصور الوسطى ، ج ٢ ، النظم والحضارة ،
مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

١٨ - سيدة اسماعيل كاشف : (الدكتور)
مصر فى عصر الاخشيديين ، مطبعة فؤاد الاول ، القاهرة ،
١٩٥٠ .

١٩ - مسيد على الحريرى : الاخبار السنية فى الحروب الصليبية ،
الطبعة الثانية ، مطبعة النيل بمصر ١٣٢٩ هـ .

٢٠ - على حسنى الخربوطلى : (الدكتور)
العزیز بالله الفاطمى ، من سلسلة اعلام العرب ، يناير ،
١٩٦٨ .

٢١ - عبد المنعم ماجد : (الدكتور) السجلات المستنصرية ، دار
الفكر العربى ، ١٩٥٤ .

٢٢ - عبد النعيم حسنين : (الدكتور)
سلاجقة ايران والعراق ، سلسلة المكتبة التاريخية رقم ٧ ،
الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

٢٣ - عبد الحميد الهادي : المجلد في تاريخ الأندلس ، العدد الأول من المكتبة التاريخية الطبعة الأولى ، ١٩٥٨ .

٢٤ - عمر الصالح البرغوثي و خليل طوطح : تاريخ فلسطين ، نشره بولس ووديع سعيد ، القدس ١٩٢٣ .

٢٥ - عمر كمال توفيق : (الدكتور)

(١) مقدمات العدوان الصليبي على الشرق العربي ، الطبعة الثانية دار المعارف ، ١٩٦٧ .

(٢) تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، دار المعارف ، ١٩٦٧ .

٢٦ - محمد عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله . القاهرة .

٢٧ - محمد جمال الدين سرور : (الدكتور)

(١) النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين الرابع والخامس الهجري ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٩ .

(٢) مصر في عصر الدولة الفاطمية ، من سلسلة الألف كتاب رقم ٢٧٤ ، القاهرة ١٣٧٩ - ١٩٦٠ .

(٣) تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٦٥ .

٢٨ - مصطفى غالب : تاريخ الدعوة الاسماعيلية منذ أقدم العصور حتى عصرنا الحاضر ، دمشق ١٩٥٣ .

٢٩ - ميخائيل موسى ألوف البعلبكي : تاريخ بعلبك ، بيروت ١٨٨٩ م .

٣٠ - محمد ياسين الحموي : دمشق فى العصر الأيوبى ، المطبعة الهاشمية بدمشق ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٦ م .

٣١ - محمد كرد على : (١) خطط الشام ، ٦ أجزاء ، المطبعة الحديثة بدمشق ١٣٤٣ - ١٩٢٥ م .

(٢) الاسلام والحضارة العربية ، ج١ ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة .

٣٣ - محمد العروسى المطوى : الحروب الصليبية فى المشرق والمغرب ، تونس ، انطبعة الاولى ، ١٣٧٤ - ١٩٥٤ .

٣٣ - نعمان قساطلى : الروضة الغناء فى دمشق الفيحاء ، بيروت ١٨٧٩ م .

٣٤ - المجدوع : الشيخ اسماعيل بن عبد الرسول الأجمنى ، من علماء الاسماعيلية فى القرن الثانى عشر للهجرة : فهرسة الكتب والرسائل ولئن هى من العلماء والأئمة والحدود الأفاضل ، منشورات مكتبة الأسدى بطهران رقم ٩ ، ١٣٤٤ هـ - ١٩٦٦ م .

٣٥ - المجلة التاريخية المصرية ، المجلد السادس ١٩٥٧ البحث الخاص بالاقطاع الاسلامى بقلم الدكتور ابراهيم طرخان .

رابعاً : المراجع العربية :

١ - ١ - س - ت - توتون : أهل الذمة فى الاسلام ، ترجمة الدكتور حسن حبشى ، القاهرة ١٩٤٩ .

- ٢ - **أمير علي : سيد : مختصر تاريخ العرب ، نقله للعربية عفيف البعلبكي ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٦١ .**
- ٣ - **أرشيبالد - ر - لويس : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠ - ١١٠٠ م) ترجمة أحمد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية .**
- ٤ - **برنارد لويس : أصول الاسماعيلية ، ترجمة خليل أحمد جلو وجاسم محمد الرحب ، طبع بدار الكتاب العربي بمصر ، منشورات مكتبة المثنى ببغداد ١٩٤٧ .**
- ٥ - **جوستاف لوبون : حضارة العرب ، عربه عادل زعيتر ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٥٦ .**
- ٦ - **خدا بخش : الحضارة الاسلامية ، ترجمة الدكتور علي حسني الخربوطلي ، القاهرة ١٩٦٠ .**
- ٧ - **فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة كمال اليازجي ، بيروت ١٩٥٨ .**
- ٨ - **مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة في الشرق ، عربه كيريو كيريو مكسيموس مظلوم المجلد الأول ، طبع بأورشليم في دير الرهبان الفرنسيين ١٨٦٥ .**
- ٩ - **يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة محمد عبد الله عنان ، الكتاب الأول ، تاريخ الأندلس منذ الدولة الأموية الى مقدم المرابطين ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م .**

١٠ - ج . و . كويلاند ، ب فينوجرادوف : ترجمة الدكتور محمد مصطفى زيادة ، الاقطاع والعصور الوسطى فى غرب أوربا ، طبعة ثالثة ١٩٥٨ ، نشر وطبع مكتبة النهضة المصرية .

١١ - مؤلف مجهول : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة الدكتور حسن حبشى ، الطبع والنشر دار الفكر العربى ، ١٩٥٨ .

خامسا : المراجع الاجنبية :

1. Ameer Ali, Sayed : A Short History Of The Saracens, London, 1949. ,
2. Brockelmann, C. : History Of The Islamic Peoples, London, 1956.
3. Cahen, C. : La Chronique Abrégée D'al Azimi, Paris, 1938..
4. De Geoe : Mémoire Sur Les Carmathes du Bahrain et Les Fatimides. Seconde Edition, 1886.
5. Grousset, R. 1. L'Empire Du Levand, Nouvelle édition, Paris, 1949. ,
2. Histoire Des Croisades et Du Royaume Franc De Jérusalem, V. 1, Paris, 1934.
1. Gibb, H.A.R. : The Damascus Chronicle Of The Crusades, London, 1932.
7. Hitti, P. K. : 1. History Of Têhe Arabs, 4th Edition, London, 1949.

2. History Of Syria, Second Edition, London, 1957.
3. Syria, A Short History, London, 1959.
8. Ivanow, W. : 1. The Alleged Founder Of Ismailism, Bombay, India, 1946.
2. Rise Of The Fatimids, Oxford University Press, London, New York, Bombay, Calcutta, Madras, 1942.
9. Keenath, M. Setton : A History Of The Crusades, University Of Pennsylvania Press, V. I. The First Hundred Years, by : Marshall, W. Baldwin.
10. Lammens, H. : La Syrie, Beyrouth, 1921.
11. Lane-Poole, St. : 1. The Mohammadan Dynasties, 1925.
2. A History Of Egypt, V. I, The Ages, Fifth Edition, London, 1936.
13. O'Leary : A Short History Of The Fatimid Khalifate, 1923.
- 1945.
15. Runciman, St. : A History Of The Crusades, Volume, 1, 2, Cambridge, The University Press, 1951.
16. Vasilier, A .A. History Of The Byzantine Empire, The University Of Wisconsin Press, Madison, 1952.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
تقديم	٥
مقدمة	٧
بحث فى مصادر الرسالة	١٧
الهوامش	٢٣
تمهيد	٣٥
الهوامش	٦٥

الباب الأول

الحياة السياسية فى بلاد الشام فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى (زمن الفاطميين)	٧٧
١ - موقف أهل الشام من الخلافتين : العباسية والفاطمية	٧٧
٢ - مظاهر النفوذ التركى فى الشام منذ العصر العصر الفاطمى الى قدوم السلاجقة	١٠٢
٣ - العلاقات البيزنطية الشامية فى القرن الخامس حتى قدوم السلاجقة	١٢٣
الهوامش	١٥٩

الباب الثاني

١٩٩	• الحياة السياسية في بلاد الشام في العصر السلجوقي
٢٠٥	• • • • • هولا : العلاقات بين السلجقة والفاطميين
٢١٠	• • • • • طونيا : العلاقات السلجوقية البيزنطية
	• • • • • كلالنا : العلاقات السياسية بين السلجقة والقوى
٢١٦	• السياسية في بلاد الشام قبل قدوم الصليبيين
	• • • • • رابعا : انقسام السلجقة والصراع بين القوى
٢٢١	• السلجوقية
٢٢٦	• • • • • خامسا : أثر انتشار المذهب الباطني في بلاد الشام
٢٢٩	• • • • • الهوامش

الباب الثالث

٢٤٥	• • • • • قدوم الحملات الصليبية الى بلاد الشام
٢٤٦	• • • • • بواقع الحروب الصليبية
٢٥٥	• • • • • حملة الصليبية الاولى على بلاد الشام
٢٩٧	• • • • • الهوامش
٣٤٣	• • • • • الخاتمة
٣٢٣	• • • • • مراجع البحث

صدر في هذه السلسلة :

- ١ - مصطفى كامل في محكمة التاريخ •
د. عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ط ٢ ، ١٩٩٤
- ٢ - علي ماهر •
رشوان محمود جاب الله ، ١٩٨٧
- ٣ - ثورة يوليو والطبقة العاملة :
عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٨٧
- ٤ - التيارات الفكرية في مصر المعاصرة •
د. محمد نعمان جلال ، ١٩٨٧
- ٥ - غارات أوروبا على الشواطئ المصرية في العصور الوسطى •
علية عبد السميع الجنزوري ، ١٩٨٧
- ٦ - هؤلاء الرجال من مصر ، ج ١ •
لمى المطيعي ، ١٩٨٧
- ٧ - صلاح الدين الأيوبي •
د. عبد المنعم ماجد ، ١٩٨٧
- ٨ - رؤية الجبرتي لأزمة الحياة الفكرية •
د. علي بركات ، ١٩٨٧
- ٩ - صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل •
د. محمد أنيس ، ١٩٨٧
- ١٠ - توفيق دياب ملحة الصحافة الحزبية •
محمود فوزي ، ١٩٨٧

- ١١ - مائة شخصية مصرية وشخصية •
شكرى القاضى ، ١٩٨٧
- ١٢ - هدى شعراوى وعصر التنوير •
د. نبيل راغب ، ١٩٨٨
- ١٣ - أكلوبة الاستعمار المصرى للسودان : رؤية تاريخية •
د. عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٨ ، ط ٢ ، ١٩٩٤
- ١٤ - مصر فى عصر الولاة ، من الفتح العربى الى قيام الدولة الطولونية •
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٨
- ١٥ - المستشرقون والتاريخ الاسلامى •
د. على حسنى الخربوطلى ، ١٩٨٨
- ١٦ - فصول من تاريخ حركة الاصلاح الاجتماعى فى مصر : دراسة عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢ - ١٩٥٢) •
د. حلمى أحمد شلبى ، ١٩٨٨
- ١٧ - القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى •
د. محمد نور فرحات ، ١٩٨٨
- ١٨ - الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية •
د. على السيد محمود ، ١٩٨٨
- ١٩ - مصر القديمة وقصة توحيد القطرين •
د. أحمد محمود صابون ، ١٩٨٨
- ٢٠ - دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ : المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى •
د. محمد أنيس ، ط ٢ ، ١٩٨٨
- ٢١ - التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ، ج ١ •
د. توفيق الطويل ، ١٩٨٨

- ٢٢ - نظرات فى تاريخ مصر .
جمال بدوى ، ١٩٨٨
- ٢٣ - التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ج ٢ ، امام التصوف
فى مصر : الشعرانى .
د . توفيق الطويل ، ١٩٨٨
- ٢٤ - الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ - ١٩٣٦) .
د . نجوى كامل . ١٩٨٩
- ٢٥ - المجتمع الاسلامى والغرب ،
تأليف : هاملتون جب وهارولد بووين ، ترجمة : د . احمد
عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٨٩
- ٢٦ - تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة ،
د . سعيد اسماعيل على ، ١٩٨٩
- ٢٧ - فتح العرب لمصر ، ج ١ ،
تأليف : ألفريد ج . بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد
١٩٨٩
- ٢٨ - فتح العرب لمصر ، ج ٢ .
تأليف : ألفريد ج . بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد
١٩٨٩
- ٢٩ - مصر فى عصر الاخشيديين ،
د . سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٩
- ٣٠ - الموظفون فى مصر فى عصر محمد على ،
د . حلمى أحمد شلبى ، ١٩٨٩
- ٣١ - خمسون شخصية مصرية وشخصية ،
شكرى القاضى ، ١٩٨٩

- ٣٢ - هؤلاء الرجال من مصر ، ج ٢ ،
لمسى المطيعى ، ١٩٨٩
- ٣٣ - مصر وقضايا الجنوب الأفريقى : نظرة على الأوضاع
الراهنة ورؤية مستقبلية ،
د. خالد محمود الكومى ، ١٩٨٩ .
- ٣٤ - تاريخ العلاقات المصرية المغربية ، منذ مطلع العصور الحديثة
حتى عام ١٩١٢ ،
د. يونان لبيب رزق ، محمد مزين ، ١٩٩٠
- ٣٥ - أعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة ،
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٠
- ٣٦ - المجتمع الإسلامى والغرب ، ج ٢ ،
تأليف : هاملتون بووبن : ترجمة : د. أحمد عبد الرحيم
مصطفى ، ١٩٩٠
- ٣٧ - الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية
فى ربع قرن ،
د. سليمان صالح ، ١٩٩٠
- ٣٨ - فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر
العثمانى ،
د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، ١٩٩٠ .
- ٣٩ - قصة احتلال محمد على لليونان (١٨٢٤ - ١٨٢٧) ،
د. جميل عبيد ، ١٩٩٠
- ٤٠ - الأسلحة النارية ودورها فى حرب فلسطين ١٩٤٨ ،
د. عبد المنعم الدسوقي الجيمى ، ١٩٩٠
- ٤١ - محمد فريد : الموقف والناس ، رؤية عصرية ،
د. رفعت السعيد ، ١٩٩١

- ٤٢ - تكوين مصر عبد العصور ،
محمد شفيق غربال ، ط ٢ ، ١٩٩٠
- ٤٣ - رحلة في عقول مصرية ،
ابراهيم عبد العزيز ، ١٩٩٠
- ٤٤ - الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر العثماني ،
د. محمد عفيفي ، ١٩٩١
- ٤٥ - الحروب الصليبية ، ج ١ ،
تأليف : وليم الصوري ، ترجمة وتقديم : د. حسن حبشي ، ١٩٩١
- ٤٦ - تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩ - ١٩٥٧) ،
ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩١
- ٤٧ - تاريخ القضاء المصري الحديث ،
د. لطيفة محمد سالم ، ١٩٩١
- ٤٨ - الفلاح المصري بين العصر القبطي والعصر الاسلامي ،
د. زبيدة عطا ، ١٩٩١
- ٤٩ - العلاقات المصرية الاسرائيلية (١٩٤٨ - ١٩٧٩) ،
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢
- ٥٠ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ - ١٩٥٤) ،
د. سهير استندر ، ١٩٩٣
- ٥١ - تاريخ المدارس في مصر الاسلامية ،
(أبحاث الندوة التي أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة ، في ايريل ١٩٩١) إعدادها للنشر :
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢

- ٥٢ - مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين ، فى القرن الثامن عشر ،
د . الهام محمد على ذهنى ، ١٩٩٢
- ٥٣ - أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة ،
د . محمد كمال الدين عز الدين على ، ١٩٩٢
- ٥٤ - الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى ،
د . محمد عفيفى ، ١٩٩٢
- ٥٥ - الحروب الصليبية ج ٢ ،
تأليف : وليم الصورى ، ترجمة وتعليق : د . حسن حبشى ، ١٩٩٢
- ٥٦ - المجتمع الريفى فى عصر محمد على : دراسة عن اقليم المنوفية ،
د . حلمى أحمد شلبى : ١٩٩٢
- ٥٧ - مصر الاسلامية وأهل الذمة ،
د . ميدة اسماعيل كاشف ، ١٩٩٢
- ٥٨ - أحمد حلمى سجين الحرية والصحافة ،
د . ابراهيم عبد الله المسلمى ، ١٩٩٣
- ٥٩ - الرأسمالية الصناعية فى مصر ، من التمهيد الى التاميم (١٩٥٧ - ١٩٦١) ،
د . عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٩٣
- ٦٠ - المعاصرون من رواد الموسيقى العربية ،
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٣
- ٦١ - تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث ،
د . عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣
- ٦٢ - هؤلاء الرجال من مصر ج ٣ ،
لمى المطيعى ، ١٩٩٣

- ٦٣ - موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر الاسلامية ،
تأليف : د . سيدة اسماعيل كاشف ، جمال الدين سرور .
وسعيد عبد الفتاح عاشور ، أعدها للنشر : د . عبد العظيم
رمضان ، ١٩٩٣ .
- ٦٤ - مصر وحقوق الانسان ، بين الحقيقة والافتراء دراسة
وثائقية ،
د . محمد نعمان جلال ، ١٩٩٣ .
- ٦٥ - موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧ - ١٩١٧)
سهام نصار ، ١٩٩٣ .
- ٦٦ - المرأة في مصر في العصر الفاطمي
د . نريمان عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٣ .
- ٦٧ - مساعي السلام العربية الاسرائيلية : الاصول التاريخية ،
(أبحاث الندوة التي أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس
الأعلى للثقافة ، بالاشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات
جامعة عين شمس ، في ابريل ١٩٩٣) أعدها للنشر :
د . عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣ .
- ٦٨ - الحروب الصليبية ، ج ٣ ،
تأليف : وليم الصوري ، ترجمة وتعليق : د . حسن
حبشى ، ١٩٩٣ .
- ٦٩ - نبوية موسى ودورها في الحياة المصرية (١٨٨٦ - ١٩٥١) ،
د . محمد أبو الاسعاد ، ١٩٩٤ .
- ٧٠ - اهل اللغة في الاسلام ،
تأليف : أ . س . ترتون ، ترجمة وتعليق : د . حسن حبشى ،
ط ٢ ، ١٩٩٤ .

- ٧١ - مذكرات اللورد كليرن (١٩٣٤ - ١٩٤٦) ،
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد
عمرو ، ١٩٩٤
- ٧٢ - رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر
في العصر الفاطمي (٣٥٨ - ٥٦٧ هـ) ،
أمنية أحمد امام ، ١٩٩٤
- ٧٣ - تاريخ جامعة القاهرة ،
د. رؤوف عباس حامد ، ١٩٩٤
- ٧٤ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية ، ج ١ ، في العصر الفرعوني
د. سمير يحيى الجمال ، ١٩٩٤
- ٧٥ - أهل الذمة في مصر ، في العصر الفاطمي الأول ،
د. سلام شافعي محمود ، ١٩٩٥
- ٧٦ - دور التعليم المصري في النضال الوطني (زمن الاحتلال
البريطاني) ،
د. سعيد اسماعيل علي ، ١٩٩٥
- ٧٧ - الحروب الصليبية ، ج ٤ ،
تأليف : وليم الصوري ، ترجمة وتعليق : د. حسن
حبشي ، ١٩٩٤
- ٧٨ - تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣ - ١٨٩٩) ،
نعمات أحمد عثمان ، ١٩٩٥
- ٧٩ - تاريخ الطرق الصوفية في مصر ، في القرن التاسع عشر ،
تأليف : فريد دي يونسج ، ترجمة : عبد الحميد فهمي
الجمال ، ١٩٩٥
- ٨٠ - قناة السويس والتنافس الاستعماري الأوروبي
(١٨٨٢ - ١٩٠٤) ،
د. السيد حسين جلال ، ١٩٩٥

- ٨١ - تاريخ السياسة والصحافة المصرية ، من هزيمة يونيو الى
نصر أكتوبر ،
د . رمزي ميخائيل ، ١٩٩٥
- ٨٢ - مصر في فجر الاسلام ، من الفتح العربي الى قيام الدولة
الطولونية ،
د . سيدة اسماعيل كاشف ، ط ٢ ، ١٩٩٤
- ٨٣ - مذكراتي في نصف قرن ، ج ١ ،
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٤
- ٨٤ - مذكراتي في نصف قرن ، ج ٢ ، القسم الاول ،
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٥
- ٨٥ - تاريخ الاذاعة المصرية : دراسة تاريخية (١٩٣٤ - ١٩٥٢) ،
د . حلمي أحمد شلبي ، ١٩٩٥
- ٨٦ - تاريخ التجارة المصرية في عصر الحرية الاقتصادية
(١٨٤٠ - ١٩١٤) ،
د . أحمد الشربيني ، ١٩٩٥
- ٨٧ - مذكرات اللورد كلرن ، ج ٢ ، (١٩٣٤ - ١٩٤٦) ،
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة وتحقيق : د . عبد الرؤوف
أحمد عمرو ، ١٩٩٥
- ٨٨ - التلوق الموسيقى وتاريخ الموسيقى المصرية ،
عبد الحميد توفيق زكي ، ١٩٩٥
- ٨٩ - تاريخ الموانئ المصرية في العصر العثماني ،
د . عبد الحميد حامد سليمان ، ١٩٩٥
- ٩٠ - معاملة غير المسلمين في الدولة الاسلامية ،
د . نريمان عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٦

- ٩١ - تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط ،
تأليف : بيتر مانسفيلد ، ترجمة : عبد الحميد فهمي
الجمال ، ١٩٩٦
- ٩٢ - الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ - ١٩٣٦)
ج ٢ ،
نجوى كامل ، ١٩٩٦
- ٩٣ - قضايا عربية في البرلمان المصري (١٩٢٤ - ١٩٥٨) ،
د . نبيه بيومي عبد الله ، ١٩٩٦
- ٩٤ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ - ١٩٥٤) ،
ج ٢ ،
د . سهير اسكندر ، ١٩٩٦
- ٩٥ - مصر وأفريقيا .. الجذور التاريخية الأفريقية المعاصرة ،
(أبحاث الندوة التي أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس
الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات
الأفريقية بجامعة القاهرة)
أعدتها للنشر د . عبد العظيم رمضان
- ٩٦ - عبد الناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ - ١٩٧٠) ،
تأليف : مالكولوم كير ، ترجمة : د . عبد الرؤوف أحمد عمرو
- ٩٧ - العربان ودورهم في المجتمع المصري في النصف الأول من
القرن التاسع عشر ،
د . ايمان محمد عبد المنعم عامر
- ٩٨ - هيكل والسياسة الأسبوعية ،
د . محمد سيد محمد
- ٩٩ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية (العصر اليوناني -
الروماني) ج ٢ ،
د . سمير يحيى الجمال

١٠٠ - موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر القديمة ،
أ . د . عبد العزيز صالحي ، أ . د . جمال مختار ،
أ . د . محمد إبراهيم بكر ، أ . د . إبراهيم نصحي ،
أ . د . فاروق القاضي ، أعدها للنشر : أ . د . عبد العظيم
رمضان

١٠١ - ثورة يوليو والحقيقة الغائبة ،
اللواء / مصطفى عبد المجيد نصير ، اللواء / عبد الحميد
كفافي ، اللواء / سعد عبد الحفيظ ، السفير / جمال منصور
١٠٢ - المقطم جريدة الاحتلال البريطاني في مصر ١٨٨٩ - ١٩٥٢ ،
د . تيسير أبو عرجة

١٠٣ - رؤية الجبرتي لبعض قضايا عصره ،
د . علي بركات

١٠٤ - تاريخ العمال الزراعيين في مصر (١٩١٤ - ١٩٥٢) ،
د . فاطمة علم الدين عبد الواحد
١٠٥ - السلطة السياسية في مصر وقضية الديمقراطية (١٨٠٥ -
١٩٨٧) ،
د . أحمد فارس عبد المنعم

١٠٦ - الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية
في ربع قرن ، ج ٢ ،
د . سليمان صالحي

١٠٧ - الأصولية الإسلامية في العصر الحديث ،
تأليف : دليب هير ، ترجمة : عبد الحميد فهمي الجمال
١٠٨ - مصر للمصريين ، ج ٤ ،
سليم خليل النقاش

١٠٩ - مصر للمصريين ، ج ٥ ،
سليم خليل النقاش

- ١١٠ - مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) ، ج ١ ، د . البيومي اسماعيل الشربيني
- ١١١ - مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) ، ج ٢ ، د . البيومي اسماعيل الشربيني
- ١١٢ - اسماعيل باشا صدقي ، د . محمد محمد الجوادى
- ١١٣ - الزبير باشا ودوره في السودان (في عصر الحكم المصري) ، د . اسماعيل عز الدين
- ١١٤ - دراسات اجتماعية في تاريخ مصر ، أحمد رشدي صالح
- ١١٥ - مذكراتي في نصف قرن ، ج ٣ ، أحمد شفيق باشا
- ١١٦ - أديب اسحق (عاشق الحرية) ، علاء الدين وحيد
- ١١٧ - تاريخ القضاء في مصر العثمانية (١٥١٧ - ١٧٩٨) ، عبد الرازق ابراهيم عيسى
- ١١٨ - النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك ، د . البيومي اسماعيل
- ١١٩ - النقابات في مصر الرومانية ، حسين محمد أحمد يوسف
- ١٢٠ - يوميات من التاريخ المصري الحديث لويس جرجس
- ١٢١ - معركة الجلاء ووحدة وادي النيل (١٩٤٥ - ١٩٥٤) د . محمد عبد الحميد الحناوى

- ١٢٢ - مصر للمصريين ج ٦
سليم خليل النقاش
- ١٢٣ - السيد أحمد البدوي
د. سعيد عبد الفتاح عاشور
- ١٢٤ - العلاقات المصرية الباكستانية في نصف قرن
د. محمد نعمان جلال
- ١٢٥ - مصر للمصريين ج ٧
سليم خليل النقاش
- ١٢٦ - مصر للمصريين ج ٨
سليم خليل النقاش
- ١٢٧ - مقدمات الوحدة المصرية السورية (١٩٤٣ - ١٩٥٨)
ابراهيم محمد محمد ابراهيم
- ١٢٨ - معارك صحفية
جمال بدوي
- ١٢٩ - الدين العام (وأثره في تطور الدين المصري)
(١٨٧٦ - ١٩٤٣)
د. يحيى محمد محمود
- ١٣٠ - تاريخ نقابات الفنانين في مصر (١٩٨٧ - ١٩٩٧)
سمير فريد
- ١٣١ - الولايات المتحدة وثورة يوليو ١٩٥٢ (١٩٥٢ - ١٩٥٨)
تأليف جايل ماير ، ترجمة عبد الرؤوف أحمد عمر
- ١٣٢ - دار المندوب السامي في مصر ج ١ ،
د. ماجدة محمد حمود
- ١٣٣ - دار المندوب السامي في مصر ج ٢ (١٩١٤ - ١٩٢٤)
د. ماجدة محمد حمود

- ١٣٤ - الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثمانى
مخطوطة « ضيا نامة » للدار ندلى
بقلم / عزت حسن أفندى الدار ندلى
ترجمة / جمال سعيد عبد الغنى
- ١٣٥ - اليهود في مصر المملوكية في ضوء وثائق الجنيزة
(٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م)
د . محاسن محمد الوقاد
- ١٣٦ - أوراق يوسف صديق
تقديم ا . د . عبد العظيم رمضان
- ١٣٧ - تجار التوابل في مصر في العصر المملوكى
د . محمد عبد الغنى الأشقر
- ١٣٨ - الاخوان المسلمون
وجذور التطرف الدينى والارهاب فى مصر - السيد يوسف
- ١٣٩ - موسوعة الغناء المصرى فى القرن العشرين
محمد قاييل
- ١٤٠ - سياسة مصر فى البحر الأحمر .
فى النصف الأول من القرن التاسع عشر - طارق
عبد العاطى غنيم .
- ١٤١ - وسائل الترفيه فى عصر سلاطين المماليك
لطفي أحمد نصار .
- ١٤٢ - مذكراتى فى نصف قرن ج ٤
أحمد شفيق باشا .
- ١٤٣ - دبلوماسية البطالة فى القرنين الثانى والأول ق م .
د . منيرة محمد الهمشرى .
- ١٤٤ - كشوف مصر الأفريقية
فى عهد ~~الفنديوى~~ اسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٧٩) -
د . عبد العليم .

- ١٤٥ - النظام الإدارى والاقتصادى فى مصر
فى عهد دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥ م) -
د . منيرة محمد الهمشرى .
- ١٤٦ - المرأة فى العصر المملوكى
د . أحمد عبد الرازق
- ١٤٧ - حسن البنا (متى . كيف . ولماذا ؟)
د . رفعت السعيد
- ١٤٨ - القديس مرقس وتأسيس كنيسة الاسكندرية
تأليف / د . سمير فوزى
ترجمة / نسيم مجلى
- ١٤٩ - العلاقات المصرية الحجازية فى القرن الثامن عشر
حسام محمد عبد المعطى
- ١٥٠ - تاريخ الموسيقى المصرية أصولها وتطورها
د . سمير يحيى الجمال
- ١٥١ - جمال الدين الأفغانى والثورة الشاملة
السيد يوسف
- ١٥٢ - الطبقات الشعبية فى القاهرة المملوكية
(٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م)
د . محاسن محمد الوقاد
- ١٥٣ - الحروب الصليبية (المقاتل السياسية)
د . عليا عبد السميع الجنزورى

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١١٥١٥ / ١٩٩٩

ISBN — 977 — 01 — 6400 — 3